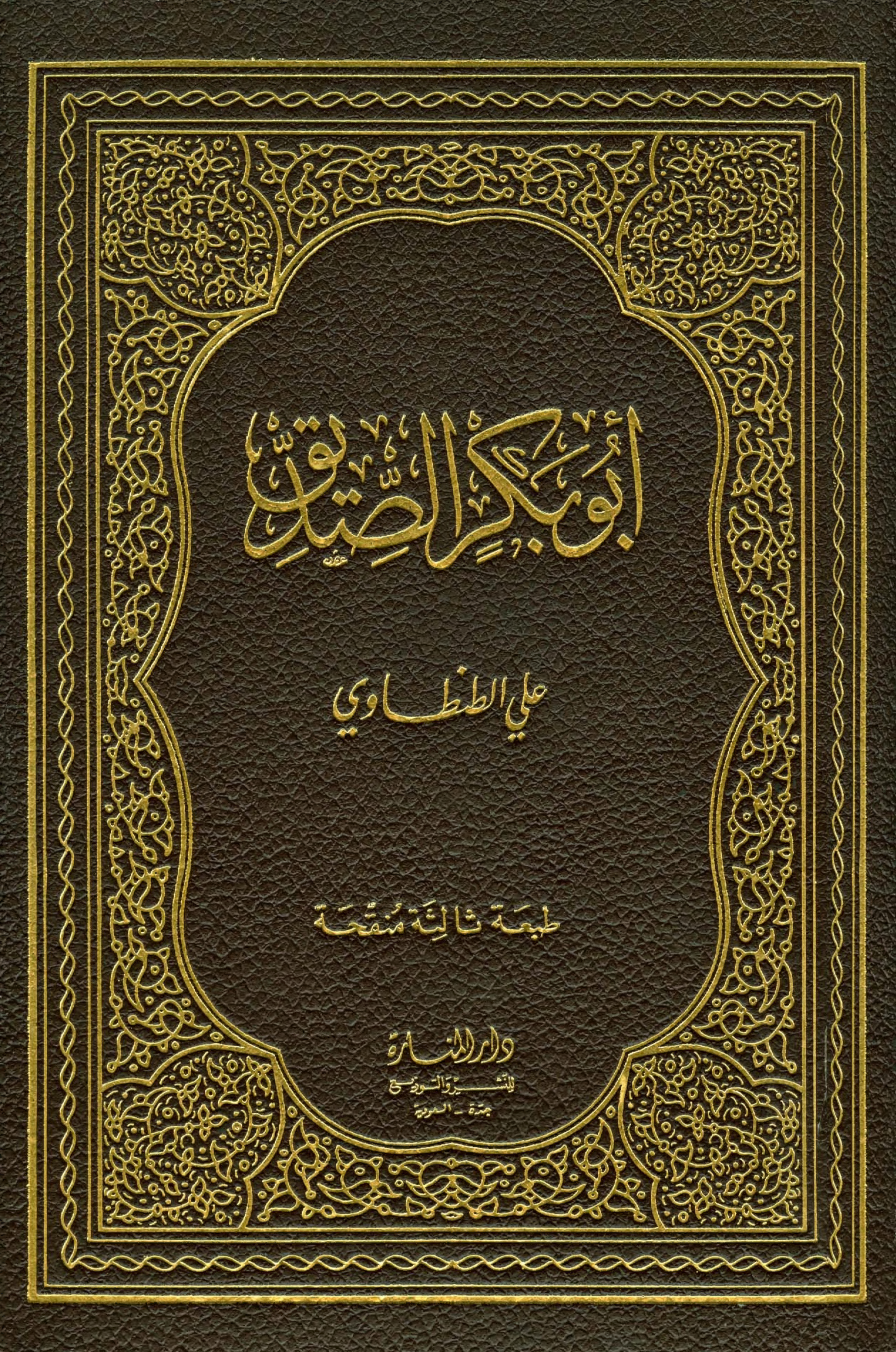
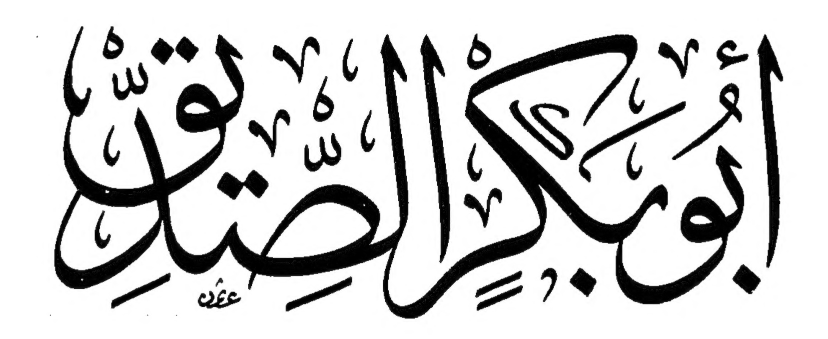

أبو بكر الصديق
علي الطنطاوي
طبعة ثالثة منقحة
دار المنارة
للنشر والتوزيع
جدة - السعودية



أبو بكر الصديق

علي الطنطاوي

طبعة ثالثة منقّحة

الطبعة الثالثة
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

دار المنارة
للنشر والتوزيع جدة: ٢١٤٣١، ص. ب.: ١٢٥٠.
هاتف: ٦٦٠٣٢٣٨ - ٦٦٠٣٦٥٢ - تلكس: ٤٠٣٠٦٧



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة الطَّبْعَةِ الثَّالِثَة

الحمد لله ـ الحمد لله ـ لا أقولها من طرف اللسان ـ بل أقولها بلساني وقلبي وجوارحي وكل خلية في جسديَ ـ وكل ذرة من نفسي، لأن نعم الله تغمرني كلي، فاللهمّ لك الحمد.

هل كان بالإمكان أن أعرف لما صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب قبل ثلاث وخمسين سنة، أني سأتزوج وأرزق بنات، وأن صديقي تيسير حتاحت الرجل الطيب الصالح رحمة الله على روحه، يهب الله له بنين، ثم يتزوج أحد أبنائه نادر صغرى بناتي. وأن الله سيوفقه ويأخذ بيده حتى ينشىء داراً للنشر هي (دار المنارة) جعلها الله منارة هدى ورشاد، وأن يعتزم طبع هذا الكتاب ـ ويطلب مني مقدمة لهذه الطبعة الجديدة؟.

هل كان بالإمكان أن أتخطى حجب الغيب التي أسدلها الله دونه، فلا يرى أحد ما وراءها ـ إلاّ أن يكرم الله نبياً مرسلاً، أو ملكاً مقرباً، أو عبداً صالحاً؛ فيكشف له طرف الستار ـ حتى يريه ما يأذن الله له بأن يراه.

لقد كتبت مقدمات لأكثر من أربعين كتاباً، من مؤلفيها من هو مبتدىء يعتمد على مقدمتي ليقوم فيرى الناس كتابه، ومنهم من هو مثلي لا يحتاج إليّ، ولكن ينوّع مائدته، حين يضع مقدمتي مع كتابه، ومنهم من هو أفضل مني ولكنه كرمني، حين جعلني أقدم كتابه للناس وكتابه متقدم بلا تقديم. . .

. . . ولكني لم أجد مثل الصعوبة التي أجدها اليوم في كتابة هذه

المقدمة، ذلك أني أكتب وأخطب من ستين سنة كاملة (من سنة ١٣٤٥هـ) ولكل كاتب طريقته، وطريقتي أني أجمع المعاني والأفكار وهي مرحلة فيها متعة وفيها لذة، أجمعها في ذهني أو في ورقة في يدي، أشير فيها إشارات إلى رؤوس الموضوعات، وأبو تمام يوصي من يريد أن ينظم (أو يكتب) بأن يرتاد الرياض، وحفاني الحياض، وأن يفرغ لذلك ذهنه، ويحشد له انتباهه، وأنا لا تأتيني الأفكار إلّا إن وقف (عقلي الواعي) ـ فانطلق (العقل الباطن) حين اضطجع للمنام وأنا نعسان، قد نال مني التعب، وبلغ مني الجهد، أو كنت في الترام وسط الزحام، أمسك الفكرة فأودعها هذا العقل الباطن وأدعه يشتغل هو بها، كما يشتغل المحساب (الكمبيوتر) إذا وضعت فيه المعلومات.

ثم أعمد إلى ترتيب ما جمعت ـ وكتابتها، وهذه أصعب المراحل التي أمر بها، لأني ربما كتبت الفكرة الواحدة مرتين أو ثلاثاً، كل مرة بأسلوب. واحدة تزيد من هنا وتنقص من هناك، وأخرى تزيد من هناك وتنقص من هنا، فلا أستطيع جمعها معاً، ولا تطيب نفسي بالتفريط بشيء منها.

ثم أبيضها، وهذه مرحلة فيها لذة، ثم أرسلها للنشر وأرقب نشرها، فإن تأخرت اشتغل ذهني بها، وسألت عنها، فإن جاءت منشورة قرأتها مرة أصحح تطبيعاتها (أي أخطاء الطبع فيها) ولي مع التطبيعات حديث طويل طويل ـ ثم أقرؤها مستمتعاً بها ـ ثم لا أستطيع أن أعود إليها، ولا أن أنظر فيها.

فكيف أعود الآن إلى كتاب أبي بكر؟ كيف يا نادر؟ أبعد نصف قرن تطلب مني أن أسترجع حالة نفسي التي كانت يومئذ عليها، والتي كتبت الكتاب فيها، ولو رجعت إلى أول كتاب الذكريات التي توليت أنت نشرها لرأيت أني لست واحداً وإن لم أكن متعدداً، لأن الإنسان يتبدل وهو نفسه، كماء النهر تطل عليه من فوق الجسر: لا تمر بك قطرة واحدة مرتين، والتي مرت لا ترجع أبداً، فهو يتغير دائماً، ولكنه يبقى هو نفسه، فلا يصير الفرات النيل، ولا النيل الأمازون.

أي أنني أعمل أعمالاً متباينة، ولكن لا أقسم لها نفسي، بل أقسم وقتي. أي أنني اتبع أسلوب (المهايأة). هل تعرف ما المهايأة؟ إذا كان للدار مالكون هم شركاء فيها، ولا يمكن أن تقسم بينهم، فما يصنعون؟ يستعملها كل شريك مدة من الزمان، هذه هي المهايأة. فأنا أكتب الفتاوى، وأكتب القصص، وأؤلف في التاريخ، ولقد عملت في التعليم وفي القضاء. ولي اطلاع (اطلاع فقط) على الموسيقى والرسم، أعرف ذلك نظرياً وإن لم أمارسه عملياً، فكيف أصنع؟ إنني حين أكون في شيء أفرغ نفسي له، وأشغلها كلها به، فإذا فرغت منه، وجهت قوتي كلها إلى غيره.

لذلك أعجز عن أعود إلى ما فرغت منه، ولذلك صعبت علي هذه المقدمة.

* * *

إذا تداول المستأجرون الدار أفيحق لك أن تقحم بابها، على مستأجريها اليوم - لأنك كنت ساكنها بالأجرة منذ سنين؟ فكيف بموضوع كان يشغل ذهني قبل ثلاث وخمسين سنة؟ إذا وضعت زورقك على وجه النهر الجاري فمشى بك ثلاثاً وخمسين كيلاً (كيلومتر) ثم بدا لك[1] فهل تستطيع أن تعود فتسير ضد التيار، حتى تصير حيث بدأت المسير؟.

* * *

لقد كنت شاباً، متوثب النشاط، متفجر الهمة، كفرس السباق، تقيده ليقف، وهو يتململ في قيده، ويتحرك في محبسه، يريد أن ينطلق لأنه لا يطيق السكون، فصرت كالحصان العجوز ما نسي عراقة أصله. ولا كرم محتده، ولا أمجاد صباه، ولكن فقد طاقة الشباب.

أنا الآن أنضج ذهناً، وأوسع اطلاعاً، وأصح على الأمور حكماً، وقد مال أسلوبي إلى البعد عن المبالغات. وهجر الصناعة اللفظية، وصار أقرب

---

(١) أي غيرت رأيك.

إلى العفوية[1]، ولكن مثلي مثل سيارة، قوية المحرك، كاملة العدة، ممتلئة الخزان بالوقود، ولكن الزناد: (المارش) ضعيف، فهي لا تمشي حتى يدفعها الناس بأيديهم - لقد ذهبت همتي - ولا يزال الناس يتكلمون في الشباب والشيخوخة، وفرق ما بينهما. وأنا أقرر بعد أن عشت الشباب والكهولة، وبعد أن صرت شيخاً، أن الاختلاف ليس في الطبيعة، فكلاهما يبتغي بطبيعته الكمال. وكلاهما يحرص على اللذة ويحب الجمال، ويعيش بالآمال، لكن الغرق في السرعة، الشيخ يمشي إلى غايته حذراً متمهلاً - وكدت أقول أنه يمشي خائفاً، والشاب لا يفكر في العواقب، ولا يبالي الأخطار، وأما أنظر إلى نفسي الآن - ويوم ألفت هذا الكتاب فأرى أني تغيرت ولكن الجوهر لم يتغير، فكري اليوم هو فكري بالأمس، ما بدلت خط سيري، ولا مبدئي الذي صدرت عنه، ولا غايتي التي أمشي لها.

فأنا (وأنتم) كالشجرة تطرح ورقاً قد اصفرّ، وتجدد ورقاً نبت واخضرّ، وتثمر ثمراً جديداً، وتلقي عنها ثمراً قديماً، ولكن الجذع قائم... غير أن الإنسان شجرة عجيبة، وثمرها تختلف ألوانه ولكن يبقى طعمه، لقد أثمر قلمي خلال هذه السنين (التي زادت على الخمسين) كثيراً، ولقد كتبت كثيراً، ان الباقي مما كتبت يزيد في العد عن ثلاثة عشر ألف صفحة، ما أعرف من أهل عصرنا من كتب أكثر مما كتبت إلّا الأمير شكيب أرسلان والعقاد - وكتبت كثيراً على هامش التاريخ، قصصاً وحكايات، وفي صلب التاريخ أحاديث ودراسات، وكتبت كثيراً عن الخلفاء الراشدين الذين كانوا لباب البشر، وكانوا نخيلهم لو نخلت البشر جميعاً بأدق المناخل ما جاء معك أصفى ولا أنقى ولا أنعم منهم. ولولا أنهم بشر لقلت أنهم ملائكة يمشون على الأرض.

وكتبت عن أبي بكر خاصة كثيراً، وحاضرت كثيراً، فلما جئت أكتب

---

(١) ويدعونها في مصر التلقائية، وهي ترجمة لكلمة (Spontane) الفرنسية.

هذه المقدمة ترددت هل أصنع هذا الذي كتبت في المقدمة، أم آخذ الأفكار التي تضمنتها، وأحول المسائل إلى عرض لها، فألخصها وأشير إليها، فأطمس بذلك جمالها، وأمحو رونقها.

أم أصنع بالكتاب كما صنعت بأخيه كتاب أخبار عمر بن الخطاب، حين هذبت حواشيه، وبدلت أسلوبه، وصُغت أكثره صياغة جديدة سميتها (أخبار عمر) وهو الذي يتداوله الناس.

ثم رأيت أن أبقي الكتاب على حاله ـ لأنه وإن لم يطبع إلّا طبعتين، مر على أحدثهما ثلث قرن (كانت الطبعة سنة ١٣٧٢هـ)، فلقد وضع في المكتبات العامة والخاصة، وقرأه من لا يحصي عدده إلّا الله، وصار ملكاً للتاريخ.

وشيء آخر قلته من قبل، ونشرته في الصحف، وأيدته بالدليل، هو أن كثيراً ممن كتبوا عن أبي بكر، حتى الأجلّاء منهم، كالعقاد ومحمد حسين هيكل، أخذوا الأخبار التي تعبت في جمعها، ولم يذكروني ولم يشيروا إلى كتابي.

* * *

ولقد قلت في مقدمة (أخبار عمر) أني قرأت سير آلاف العظماء من المسلمين وغير المسلمين، فوجدت فيهم من هو عظيم بفكره، ومن هو عظيم ببيانه، ومن هو عظيم بخلقه، ومن هو عظيم بآثاره، ووجدت عمر قد جمع العظمة من أطرافها، فهو عظيم الفكر والأثر والخلق والبيان.

وأقول اليوم أن أبا بكر كان أعظم من عمر في كل شيء. حتى في القوة التي كانت شعار عمر، وكانت عنوان شخصيته، فإن أبا بكر الضعيف الجسد، الرقيق العود، لما بارى عمر في القوة كان هو الأقوى.

إن عمر عظيم عظيم، ولكن لا يعدل أبا بكر.

إن أبا بكر هو أعظم العظماء بعد الأنبياء. ولقد أقر عمر بذلك بلسانه

على منبر رسول الله ﷺ، وتاريخه كله إقرار بذلك، ولا يعرف الفضل إلّا ذووه، رضي الله عنهما.

وحسبكم أن أبا بكر كان أسبق الرجال إلى الإسلام، وأنه كان أحبهم إلى رسول الله كما خبر بذلك ﷺ.

* * *

الفريق المتماسك في الرياضة الجماعية يعمل معاً، الواحد للكل والكل للواحد، تجد فيه نخبة من الأبطال، لا تستطيع أن تحكم أيهم أقوى، إلّا إن تنازل في مباراة ودية اثنان منهم.

كذلك كان الصحابة الكرام رضي الله عنهم وأرضاهم، وكان الخلفاء الراشدون، والعشرة المبشرون، خيار الصحابة، وكان الشيخان أبو بكر وعمر - كما كانت خديجة وعلي، خيار الخيار، وأبطال الفريق.

ولقد تواجه أبو بكر وعمر، لا مواجهة المتبارين فما كانا يختلفان ولا في المزاح بل مواجهة المتنافسين على (درجة الامتياز) في السباق إلى رضا الله.

تواجها يوم قبض رسول الله ﷺ - ويوم السقيفة، ويوم بعث جيش أسامة، ويوم الردة، وكلها نوازل نزلت بالمسلمين، وفي النوازل الثقال توزن أقدار الرجال، فكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه وعن عمر - أثبت في الشدائد، وأشجع في اقتحام الأهوال، وأكثر علماً بالله، وكان هو الأرجح في الميزان.

وإذا كان العاشق يصدع قلبه، ويكاد يذهب رشده موت حبيبه، وهو عشق أرضي - فماذا يصنع موت رسول الله ﷺ بالصحابة، وحبهم رسول الله حب سماوي، من طراز نادر ما عرفه العشاق، ولا ذاقه المحبون - العاشق إنما يحب في المعشوق لذة نفسه، وهم أحبوا رسول الله أكثر من حبهم أنفسهم، لذلك طاشت عقولهم لما رأوا أن رسول الله كان حياً بين أظهرهم

فغـــدا ميتاً أمام أنظارهم، وكان ينقل إليهم الخبر من السماء، فانقطع بموته خبر السماء، وكان يحمل إليهم كلمات الله فلم يعد يتنزل الوحي بكلمات الله.

لم يصدق عمر أن رسول الله قد مات، وحمله حبه إياه أن يحسب أنه ذهب لميعاد من ربه كميعاد موسى، إذ غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم وسل سيفه وقام يخطب يقول (والله ليرجعن رسول الله فليقطعن أيدي رجال زعموا أنه مات) وكأنه عدها من الشائعات الضارة، التي لا أصل لها، فهدد من يرويها ويشيعها.

وأخذ أكثر القوم بقول عمر، حتى جاء أبو بكر فجاء معه اليقين، وجاءت السكينة، وكان عمر يكلم الناس فما وقف عليه حتى دخل على رسول الله ﷺ وهو مسجى مغطى بثوب يمان[١]، في بيت عائشة ـ فكشف عن وجهه ثم أقبل عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً. ثم رد الثوب على وجهـه، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنصت. فأبى إلاّ أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿ وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين ﴾ قال فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنما هي في أفواههم (قال أبو هريرة): قال عمر: فوالله ما هو إلاّ أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقدت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات.

* * *

(١) يمان نسبة إلى اليمن.

الله قادر على كل شيء، يبدل إن شاء نظام الكون، فيطلع الشمس في جوف الليل، وينقل ماء البحر، فيغطي به رمال الصحراء، ويرجع الشيخ شاباً، ويجعل الطفل في لحظة شيخاً، لا يعجزه شيء وهو خالق كل شيء، ولكنه جلت حكمته، وصنع لهذا الكون سنناً، وقدر لكل سبب سبباً. ولقد كان هذا الموقف من أبي بكر سبب بقاء عقيدة الإسلام.

إننا إذا أردنا أن نقوِّم شيئاً، وندرك قيمته، تصورنا عدمه، ورأينا ماذا نخسر بخسرانه، وأنني لأفكر ماذا كانت حال المسلمين لو لم يقف أبو بكر هذا الموقف؟.

وأنا أقيس بالمقاييس البشرية، لا بمقياس القدرة الإلّهية التي لا يحدها حد؟.

ماذا يكون لو لم يأت أبو بكر في هذه اللحظة الحاسمة، واستمر عمر يقول إن محمداً ﷺ لم يمت ولكنه غاب مثل غيبة موسى، ويهدد بالقتل من يقول إنه قد مات؟.

* * *

ويوم الردة؟ إنه ما مات رسول الله ﷺ حتى عمّ الإسلام الجزيرة كلها، ودخل فيه العرب جميعاً، وامتدت الدعوة إلى البلدان المجاورة وكان أقربها إلى الحجاز وأشدها صلة به دار الشام التي كان يحكمها البيزنطيون.

ولقد وجه الرسول ﷺ الدعوة إلى ملوك هذه البلدان، وكتب إليهم ليدخلوا في الإسلام، وقاد بنفسه قوة عسكرية إلى تبوك، ثم بعث قوة أخرى إلى مؤتة، وكانت فرقة صغيرة لا يجاوز عدد جنودها ثلاثة آلاف، فواجهها جيش ضخم للعدو، يزيد عن مئة وخمسين ألفاً، واستطاعت هذه الفرقة مع ذلك الانسحاب انسحاباً شريفاً سليماً.

وكأن رسول الله ﷺ عزم بعد ذلك على حماية الدعوة في الشام بالقوة، فأعد جيشاً كبيراً، استنفر له الناس استنفاراً عاماً، وكان فيه كبار الصحابة،

وشيوخ الإسلام، وكأن الرسول ﷺ أراد أن يعلمهم أن عماد الحياة العسكرية الطاعة، وأن على المسلمين أن يقبلوا إمارة أيّ مسلم صغيراً كان أو كبيراً، ما دام قد انتخبه أو عيَّنه من له حق الانتخاب أو التعيين، وما دام يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، وينفذ أحكام الشرع، فولّى على هذا الجيش الذي فيه أمثال أبي بكر وعمر شاباً صغيراً عمره سبعة عشر سنة هو أُسامة بن زيد.

وتوفي رسول الله ﷺ والجيش مرابط على أبواب المدينة يتهيأ للمسير، وانتخب أبو بكر، فوقف أسامة أمير الجيش، يتلقى الأوامر الجديدة من الخليفة الجديد.

في ذلك الظرف.. كانت الردة، وانتقص أمر الناس فاستشرى النفاق في المدينة، ورفع المنافقون رؤوسهم التي كان الرسول ﷺ قد أذلَّها بالحق، وجعلت الأخبار تصل إلى المدينة تباعاً، بأن العرب ارتدوا، قبيلة بعد قبيلة، وانتشرت الردة انتشار النار في الهشيم، حتى لم يبق في الجزيرة كلها إلاّ ثلاثة مساجد، لم تصل إلى أهلها الردة وهي؛ مكة والمدينة والبحرين.

وقبل أن أعرض عليكم الموقف العظيم الذي وقفه أبو بكر، أحب أن أبين لكم معنى الردة في العرف الإسلامي، وكيف كانت ردة العرب.

أما الردة فهي الكفر بعد الإيمان، والمرتد هو الذي آمن ثم كفر مرة ثانية، وحكم المرتد في ديننا أشد من حكم الكافر.

فالكفار من أهل الكتاب ـ يجوز أن نعاشرهم بالحسنى ما لم نكن معهم في حالة حرب، ويجوز أن نتزوج بناتهم.. أما المرتدون فمهلتهم ثلاثة أيام، ليرجعوا إلى الإسلام، ويتوبوا ويعلنوا البراءة من الكفر، فإن أبوا وجب الحكم عليهم بعقوبة الموت.

والردة على وجهين: ردة كاملة، بأن يخرج المرتد من الإسلام جملة واحدة، وردة بحكم الكاملة هي أن ينكر جزءاً من الإسلام.

فمن أنكر جزءاً من الإسلام، كأن يرفض آية من القرآن، أو يجحد

كلمة منه، أو يستحل محرماً ويقول إنه ليس بحرام، أو ينكر واجباً ويقول إنه ليس بواجب كان حكمه حكم المرتد.

أما المرتدون من العرب على أثر وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام فكانوا فريقين:

فريق (وهم الأقل) كفروا بالدين كله، وآمنوا برسالة الشيطان إلى أنبيائه سيلمة وطليحة والأسود وسجاح. . . .

وفريق (وهم الأكثر) لبثوا على إيمانهم بنبوة محمد ﷺ وإقامة الصلاة والحج وتلاوة القرآن، ولكنهم منعوا الزكاة. فاعتبرهم أبو بكر مرتدين بمنع الزكاة.

وكان عمر في جيش أسامة، فبعث به أسامة إلى أبي بكر وقال له: إن معي وجوه الناس، ولا آمن على خليفة رسول الله، وعلى أهل المدينة أن يتخطفهم المشركون، فاستأذن لي بالرجوع، وتأجيل السفر. وقالت له الأنصار: بلغ الخليفة إذا أصرّ على توجيه الجيش أننا نطلب قائداً أكبر سناً من أسامة.

فخرج عمر بأمر أسامة حتى أتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة. وقال له: يا خليفة رسول الله إن العرب قد ارتدت على أعقابها كفاراً كما قد علمت وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة، وفي جيش أسامة جماعة العرب وأبطال الناس، فلو أبقيته عندك لتقويت به على من ارتد من هؤلاء العرب.

فقال أبو بكر: والله لو علمت أن السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته، ولا حللت لواء عقده رسول الله.

قال عمر: إن الأنصار أمروني أن أبلغك أنهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلاً أقدم سناً من أسامة.

فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر. وقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب. . ولاّه رسول الله وتأمرني أن أعزله؟.

فرجع عمر إلى الناس فقالوا: ما وراءك؟ قال: امضوا ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله.

* * *

وقام أبو بكر فخطب الناس، فكان مما قال: إنما أنا متبع ولست بمبتدع، ولست بخير من أحدكم، فراقبوني فإن رأيتموني استقمت فتابعوني، وإن رأيتموني زغت فقوِّموني، ألا وأن لي شيطاناً يعتريني (يريد أن عنده حدة مزاج) فإذا أتاني (أي إذا غضبت) فاجتنبوني لئلا ينالكم مني ما تكرهون.

هذه ـ لا الديمقراطية التي يعرفها غيرنا ـ هذه التي لا يعرفها التاريخ إلّا عندنا.

وذهب يودع الجيش، وكان يمشي مع أسامة على رجليه وأسامة راكب، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، والله لتركبن أو لأنزلن، قال والله لا تنزل ولا أركب، وما عليَّ أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة... حتى إذا انتهى الوداع قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر، فافعل، فأذن له.

ووصى الجيش وصيته المشهورة، التي أجمل بها قواعد الحرب الإسلامية التي وضعها رسول الله ﷺ، فقال لهم: لا تخونوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً ولا شيخاً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلّا لمأكلة..

* * *

وتوجه الجيش، وجعل لا يمر بقبيلة تريد الارتداد إلّا قالوا: لو أن لهؤلاء قوة ما خرج هذا الجيش من عندهم.

والتفت أبو بكر إلى أهل الردة، وكانوا قد بعثوا بوفود إلى المدينة فقالوا: نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله، ولكنا لا نعطيكم أموالنا.

ونزل الوفد على وجوه الناس، وتوسلوا بهم إلى أبي بكر، فكلموه وقال له عمر: كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى

يقولوا لا إله إلّا الله، فإن قالوها فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلّا بحقها.
فقال أبو بكر: والله لو منعوني عقالاً (وفي رواية عناقاً)[1] لجاهدتهم عليه.

قال عمر: يا خليفة رسول الله تألّف الناس وارفق بهم.

فقال له أبو بكر: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك، أجبار في الجاهلية وخوار في الإسلام؟ إنه قد انقطع الوحي، وتم الدين، أو ينقص وأننا حي؟.

وواجه أبو بكر هذا الموقف بإيمان أثبت من الجبل وأعصاب أمتن من الحديد.

أما إيمانه فقد منعه أن ينقص أمراً كان أبرمه رسول الله، ولو نقضه لكان لذلك مسوّغ شرعي، ولكنه لم يفعل.

وأما قوة أعصابه، فقد ثبّتته في هذا المضطربَ الذي يميل فيه أشد الرجال.

ولم يدخل دازة، ويغلق عليه بابه، مستريحاً إلى أن أمضى أمر رسول الله، بل حصّن المدينة بعد خروج الوفود منها، وعين علياً والزبير وطلحة وابن مسعود قواداً للدفاع عنها من جهاتها الأربع، والزم الناس جميعاً الاجتماع في المسجد كل يوم، على أهبّة الاستعداد وقال لهم: إن الأرض كافرة ،قد رأت وفود المرتدين قلّتكم، وأنكم لا تدرون أياتونكم ليلاً أم نهاراً، فاستعدوا واعدوا. . . .

ولم تمض ثلاث ليال، حتى وصلت أوائلهم المدينة، فهاجموها ليلاً، يحسبونها لقمة سائغة، فوجدوا الحاميات أمامهم فكان اصطدام. . ووصل الخبر إلى أبي بكر فأمرهم بالثبات، وخرج مع الجند المجتمعين في

---

(١) أي جَذْياً صغيراً.

المسجد، فردوهم، وانهزموا، ولكنهم عمدوا إلى حيلة معروفة عند العرب، فأخذوا قرب السمن، فنفخوها وربطوها بالحبال، ودحرجوها تحت أرجل جمال المسلمين ليلاً، والجمال لا تفزع من شيء فزعها منها. . فنفرت بالمسلمين حتى دخلت بهم المدينة وسلّم الله فلم يصب منهم أحد.

وظن المرتدون أن المسلمين ضعاف، فجمعوا جموعهم، وعزموا على غزو المدينة واحتلالها، ولم يفزع أبو بكر، ولم يتحصن في البلد ويغلق أبوابه، بل أعد حملة عسكرية، قادها بنفسه، وانتقل بها بسرعة وكتمان، فهاجم بها المرتدين ليلاً، وهم يزيدون أضعافاً مضاعفة على المسلمين، فما شعروا إلّا والسيوف فوق أعناقهم، فما طلع النهار حتى ردوهم وهزموهم، وكسر الله بهم شوكتهم، وكان هذا كله، وسلسلة الانتصارات التي جاءت بعده ثمرة من ثمار إيمان أبي بكر الذي هان عليه معه كل عزيز في الدنيا. شهد له سيد الخلق ﷺ بأنه وحده الذي دخل الإسلام قلبه لما عرضه عليه بلا تردد، وما أحد غيره إلّا تردد شيئاً قليلاً، إلّا خديجة شريكة حياته، وعلياً ربيبه وابن عمه. وقبل منه الرسول ماله كله، وما قبل من عمر إلّا نصفه، وقال لسعد وللمسلمين: الثلث والثلث كثير، وولّاه لما مرض الصلاة بالمسلمين. وأثبت الله صحبته بنص القرآن، فمن أنكرها خرج من زمرة أهل القرآن. . . ولن أفيض في سرد مناقب أبي بكر فهذا الكتاب كله في مناقب أبي بكر (أعظم العظماء بعد الأنبياء).

* * *

ولقد آثرت أن أتركه على حاله لا أبدل اليوم فيه شيئاً، وكيف أبدله والناس يقرؤونـه من أكثر من نصف قرن؟.

ولئن قلتم إن سرد الأخبار أسلوب قديم ـ قلت: إنه أيضاً جديد، وأقدر كتاب العصر على التعريف بالرجال، أو أقدر من أعرف منهم أندريه موروا الفرنسي وإميل لودفغ الألماني.

ولقد قرأت فصلاً لإميل لودفغ عن فولتير ـ فما رأيته زاد على اختيار

عشرة أخبار من قصة حياته سردها سرداً، وعرضها كما هي ليجد القارىء بنفسه معالم حياته من هذه المشاهد.

أقول هذا لمن لا يرى الحق حقاً، ولا الفضل فضلاً، إلّا أن جاء من الغرب وكان عليه الدمغة الغربية،

وأسأل الله أن ينفع بهذا الكتاب قارئيه اليوم كما نفعهم بالأمس، وأن يكتب لي ولأخي الأستاذ أحمد عبيد الثواب عليه، فلقد كان هو الذي اقترح عليّ تأليفه، وأعانني على الوصول إلى المصادر، وكان لـه فيه جهد ظاهر.

وآخر الدعوى أن الحمد لله رب العالمين.

مكة المكرمة: يوم الوقفة الكبرى في عرفة سنة ١٤٠٥هـ

علي الطنطاوي

مُقَدِّمَة الطَّبْعَةِ الثَّانِيَة

هذا كتابٌ ألَّفتُه من عشرين سنة، لم أستطع النظرَ فيه قبل تجديد طبعه، ولم أُبدّل حرفاً واحداً منه. وأنا راض عن أُسلوبه البياني، وعن وجهته الإسلامية، وإن كانت الأيام قد مالت بأسلوبي إلى (البساطة) والوضوح، وبآرائي إلى القصد والاعتدال. أما الأفكار والآراء فأحسب أني لو أعدتُ النظر فيها، لعدَّلتُ بعضاً منها.

أقدِّم الطبعة الجديدة بهذه الكلمة، شاكراً الناشر راجياً منه جَودة الطبع، شاكراً القارىء راجياً له الفائدة والنفع. ولله الحمد أولاً وأخيراً، وأسأله التوفيق في العمل، والإخلاص في النية، وأستغفر الله وأصلي على رسوله محمد وعلى آله وصحبه.

منتصف رمضان ١٣٧٢

علي الطنطاوي

المستشار في محكمة النقض



مُقدِّمة الطَّبعَةِ الأولى

اللهمّ لك الحمد، وبك الاستعانة، ومنك التوفيق، ولا حول ولا قوّة إلّا بك. اللهمّ صلّ على سيدنا محمّد خاتم المرسلين، وعلى خلفائه الراشدين، الهادين المهديين، وعلى آله وصحبه وسلم وبارك.

وبعد فإن مما قويت به الأمم الغربية علينا، وضَعُفنا به عنها، إجلالَها عظماءَها، وتدوينَها سيرَهم، واقتفاءها آثارها، وذهابها في ذلك إلى أقصى ما يبلغ «الغرور القومي»... فهي تسمو بهم إلى ذروة العظمة، وتسلك إلى إحياء أسمائهم شتى الطرق، فتنشىء المعاهد على ذكراهم، وتفتح المدارس بأسمائهم، وتَنْحِت التماثيل على صورهم[1] وتؤلف الكتب في سِيَرِهم وأخبارهم وتكثر منها حتى تَخصّ الخُلُقَ من أخلاق العظيم... والصفة من صفاته، والعمل من أعماله بالكتاب الضخم. فينشأ الشاب من شبانها وقد ألمّ بسير العظماء من قومه، واستقرّ في نفسه ـ لطول ما سمع من الثناء عليهم بالحق وبالباطل ـ أنهم عظماء الدنيا وأباطل العالمين....

أما الشاب العربيّ، فإنه ينشأ نشأة يكاد يجهل معها عظماء أمته، لا يدري ما خبرهم، لأن أخبارهم متفرقة في بطون «الكتب القديمة» وقد نشّؤوه

---

(١) أردنا من ذكر التماثيل بيان ما للقوم من عناية بعظمائهم، أو ما يحسبونه عناية، ويظنون أن فيه فائدة ونفعاً، ونحن بحمد الله مسلمون نعتقد أن نصب التماثيل حرام في ديننا. وأن كل ما يقال في تجويزه لا طائل تحته، وأن إنفاق المئات من الدنانير على نحت صنم في أمة لا تزال تعوزها المدارس والمصانع ضرب من الجنون.

على احتقار هذه الكتب، والزراية عليها، والانصراف عنها، ثم علّموه تعظيم «الكتب الجديدة» والإقبال عليها، والإيمان بكلّ ما فيها. . . فقرأها وآمن إيماناً لا شكّ فيه، بأنّ العظمة والعلم والخير كله إنما هو الذي يأتي من هناك. . . . وأنّ الضعة والجهل والشرّ كله إنما هو الذي يأتي من هنا.

وأفهموه أن تاريخ نابليون ولويس الرابع عشر، هو تاريخ الإنسان الراقي المهذّب. وأنّ تاريخ الصدّيق والفاروق هو تاريخ البداة المتأخرين المتوحشين. فعرف من تاريخ نابليون أو لويس الرابع عشر كلّ صغيرة وكبيرة، وقرأه مفصّلاً ومختصراً، وحفظه وأعاده وناقش فيه. . . وهو لا يعرف بعدُ، سيرة سعد بن أبي وقّاص، ولم يسمع قطُّ باسم القعقاع بن عمرو.

هذه الحال المخزية التي لا يَصْبر عليها مسلم، ولا تبلغها أمة، إلّا أوشكت أن تبلغ حافة القبر، الذي تدفن فيه تاريخها ومجدها وحياتها. . . هي التي حفزت همم السادة آل عبيد «أصحاب المكتبة العربية في دمشق» إلى نشر التاريخ الإسلامي مرّة ثانية، ليعرف الشبّانُ المسلمون أبطالهم وعظماءهم، وجلال ماضيهم وسموّ تاريخهم، وبدأت بنشر سيرة نابغة الدنيا في فنّ الحرب «خالد» وأرادت أن تقفّي على أثرها بسيرة أعظم العظماء بعد الأنبياء «أبي بكر»، وانتبدتني لكتابة هذه السيرة الجليلة، فأجبت على عجزي وضعفي، آملاً أن أكون عاملاً صغيراً، في هذا العمل الكبير، ويكون لي شرف مؤازرة «المكتبة العربية» في هذا المشروع.

وكنت على أن أسلك في هذا الكتاب، سبيل «الدراسة التحليلية» فأصف «الحياة العقلية والاجتماعية والسياسية» للعصر الذي عاش فيه أبو بكر رضي الله عنه، والبيئة التي نشأ فيها، وما كان لذلك من الأثر فيه. وأدرس أخلاقه وسجاياه، وأبحث العوامل التي عملت في تكوينها، وأبيّن الإسلام فيها، وأثرها في التاريخ الإسلامي. . وما إلى ذلك من «عناصر الدراسة التحليلية»[1].

---

(١) وقد أفردت هذا البحث بالتأليف، ولي فيه رسالة عنوانها «التحليل الأدبي. لطلاب =

ولكنّ «المكتبة العربية» ترى أن هذا الأسلوب لا يمثل إلّا رأيَ صاحبه وأنّ الرأي قد يخطىء الحقيقة، وقد يصيبها، وهي لا تحب أن تخرج للناس «درساً» فيه الخطأ وفيه الصواب، بل «تاريخاً» صحيح السند، مضبوط الرواية، على مثال الكتاب الذي أخرجته من قبل في سيرة «الخليفة العبقريّ» عمر بن عبد العزيز. ووفقت فيه التوفيق كلّه، ولم تسألني إلّا كتابة سيرة الصدّيق الأعظم على منواله، وأن أجمع في كتاب واحد ما تفرّق من هذه السيرة في عشرات من الكتب لا يعرفها ولا يصل إليها إلّا رجل له بصر في التاريخ، وصَبْرٌ على البحث، وباع في الأدب، ومشاركة في العلوم الإسلامية كلها... ثمّ لا يحصل منها في يده، إلّا روايات مقطّعة مكرّرة، لا تخلو أحياناً من التضارب!

وقد كرهت بادي الرأي هذا الأسلوب، وكنت امرءاً لا صَبْر له على المراجعات الكثيرة، ولم يألف من الكتابة إلّا الكتابة الأدبيّة الوصفية، ولم يُقبل على غيرها من سنين طويلة... حتى صارت هيّنة عليه، بمقدار ما رأى هذه صعبة. وقلت: كيف أحبس نفسي على كتاب واحد، وأحمل همّه أياماً طويلة، وأنا لا أحمل همّ ما أكتب ولا أفكر فيه إلّا حين أكتب، ولا أطيق أن أعود إليه، بتصحيح أو تنقيح؟.

وإذا أنا فعلت، فكيف أجوز أصعب الشقتين، فأجمع المواد وأفحصها وأنقحها ، وأسبكها وأؤلف بينها، ثم أثبتها في الكتاب كما هي، فيأتي «آخر...» فيأخذها هيّنة ليّنة، فينشىء منها كتاباً تحليلياً، تكون فاتحته انتقاصي وذمّي، بأني لم أنشىء منها كتاباً تحليلياً...؟.

ألست إذن كمن يقطع الأحجار ويصقلها، ويعدّ الخشب وينجره، ويخط الأرض ويشقها، ويهيىءُ كل لازم للدار، حتى إذ لم يبق إلّا جمع هذا إلى ذلك، تركه ليجىء «غيره...» فيعمل منه داراً، ويغلق دونه بابها؟.

= البكالوريا» أودعتها كتابي (فكر ومباحث).

وأزمعت الانصراف عن هذا العمل.

ثم بدا لي. فقلت: لا بأس. فإنه مهما يكن للأسلوب التحليلي من المزايا، ومهما يكن للأسلوب العربي من العيوب فإن الصحة ليست في غير الأُسلوب العربيّ، وليس لأُمة من الأُمم، ما للأمة العربية من الضبط في الرواية، والتحقيق فيها، والتثبت منها. ولا يدري أكثر من نعرف من الشبان من أمر هذه الرواية شيئاً، بل إنهم ليجهلونها مرّة واحدة، وينْبزُونها حماقة وجهلاً... «بالكتب الصفراء»[1] لما وضعوا في نفوسهم، من أن الخير لا يكون خيراً لذاته، ولكن للطابع الغربيّ الذي (يشترط أن يكون) عليه... وأن الشر لا يكون شرّاً لذاته ولكن للسمة الشرقية التي يتّسم بها، فكل ما كان من الغرب فهو الخير وإن كان شرّاً، وكل ما كان من الشرق فهو الشرّ وإن كان خيراً.

وذكرت أن اتباع الأسلوب العربيّ ـ على ما سينالنا من لوم على اتباعه! ـ خير لشباننا ـ وهم جمهرة القراء، وأجدى عليهم، وأنّ في طوق كثير من الناس، أن يكتبوا التاريخ التحليلي لأبي بكر، إذا وجدوا الصحيح من أخباره مجموعاً في كتاب واحد، ولكنه يُعجز الكثير منهم أن يجمعوا هذه الروايات ويتفحصوها ويرتبوها.

فنزلت على إرادة «المكتبة العربية». وكان سبيلي في هذا الكتاب أني جمعت من أخبار أبي بكر رضي الله عنه ما وجدته في هذه الكتب التي قرأتها، وأثبت أسماءها في قائمة المصادر. ثم عارضت بعض هذه الأخبار ببعض، وتحرّيت الصحيح منها ـ على مقدار ما وهب الله لي من قوّة ـ ثم جمعت ما صحّ عندي من الروايات الكثيرة وجعلتها كالحديث الواحد، ونبّهت إلى مصدر كل رواية، ودرجة كل حديث؛ إلاّ ما لم أقف على

(١) يعنون بالكتب الصفراء الكتب الإسلامية التي تحوي أجل تراث علمي وفيها خلاصة ما أنتجته عقول أربعة عشر قرناً، وذلك أنّهم جهلوا هذه العلوم ثمّ لم يستروا جهلهم بسكوتهم، بل ضموا إليه الوقاحة والرقاعة والإلحاد...

تخريجه من الأحاديث، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لنبّهت إلى الجزء والصفحة التي أخذت منها الخبر، ووفرت على من يريد الرجوع إلى الأصول مشقة كبيرة[1]، ولكني غفلت عن هذا الأمر، ولم أنتبه إليه إلاّ في آخر الطريق.

وقد بذلت جهدي في التثبت من النقل. والانتباه عند العزو، ولكني لا أزعم لكتابي الخلوّ من الخطأ، ولا أدّعي لنفسي العصمة من الغلط.

فإذا رضي القراء عن عملي فللّه الحمد، وإن غضبوا فما أردنا إلاّ رضاء الله وخدمة دينه، والله حسبنا ونعم الوكيل. ونسأله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به. وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلّم تسليماً كثيراً.

دمشق: رجب ١٣٥٣

---

(١) وقد صنعت ذلك في كتابي عن عمر.



بين يدي الكتاب

فصل وضع في صدر الطبعة الأولى

هذه حياة فخمة. . . ليست حياة واحد، ولكنها حياة أمة، أمة حملت مصباح النور، حين عمّ الكونَ الظلام، وأرشدت العالم التائه في عُباب الجهل، إلى شاطىء العلم، وكانت حضارتها المدرسة التي خرّجت العقل البشري وثقّفته، كما خرّجته المدرسة اليونانيّة من قبلُ وثقّفته. . . فكان لها الفضل على كلّ إنسان، وكانت حضارة أساسها التوحيد والفضيلة، وأساس حضارة اليونان الشرك والرذيلة، ينسبونها إلى آلهتهم المزعومة، ويودعونها الميتولوجي التي فيها أخبارهم.

حياة أبي بكر هي الصفحة الأولى من التاريخ الإسلامي، الذي بهر كل تاريخ وبذّه، والذي لم تَحْوِ تواريخ الأمم مجتمعةً بعض ما حوى من الشرف، والمجد، والإخلاص.

ذلك لأنه تاريخ الكمال الإنساني على وجه الأرض. . . تاريخ المعجزة التي ظهرت في بطن مكة على يد رجلٍ واحدٍ؛ فلم تلبث حتى عمت مكة، ثمّ امتدت حتى شملت الجزيرة، ثم امتدت حتى بلغت أقصى الأرض. . . فكانت أكبر من الأرض، فامتدت في الزمان. . . وَسَتَبْلى الأرض، ويفنى الزمان، والمعجزة باقية:

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾.

ذلك لأنه تاريخ الإسلام، الذي بدا سرّه في هذه الأُمة البادية الجاهلة المتفرقة، فجعل منها أمّة لم يكن ولن يكون لها نظير... امتزجت روح الإسلام بأرواح المسلمين، وغلبت عليها، ثم استأصلت منها حبّ الدنيا، وانتزعت منها الطمع والحسد، والغشّ والكذب، وأنشأت من أصحابها قوماً هم خلاصة البشر، وغاية ما يحبلغه السموّ الإنساني.

أنشأت من أصحابها قوماً يغضبون لله، ويرضون لله، ويصمتون لله وينطقون لله، قد ماتت في نفوسهم الأهواء، وبادت منها الشهوات، ولم يبق إلّا دين يهدي، وعقل يستهدي.

قوم كان دليلهم الدين، وقانونهم هدى سيد المرسلين، وشعارهم شعارَ المساكين، وعيشهم عيشَ الزاهدين، ثم كانت فتوحهم فتوح الملوك الجبّارين، وكانوا سادة العالمين؛ لم يمنعهم زهدهم من أن يكونوا بأطال الحروب، وسادة الدنيا، ولم يفتنهم ما نالوا من مجد، وما بلغوا من جاه، عن دينهم وتقواهم.

قوم ينصب لهم أميرهم قاضياً، فيلبث سنة لا يختصم إليه اثنان![1] ولم يكونوا ليختصموا وبين أيديهم القرآن، وكل واحد منهم يعرف ما يحقّ له، فلا يطلب أكثر منه، ويعرف ما يجب عليه، فلا يقصر في القيام به، ويحبّ أحدهم لأخيه ما يحب لنفسه، ويسعى ليسلم الناس من لسانه ويده: إذا مرض المسلم عاده المسلمون، وإذا افتقر أعانوه، وإذا أحسن شكروه، وإذا ظُلم نصروه، وإذا ظَلم ردعوه، دينهم نصيحة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر؛ ففيمَ يختصمون؟.

أما إنهم لا يختصمون إلّا على مكرمة وإحسان، ولقد كان عمر يتعاهد

---

(١) الأمير أبو بكر والقاضي عمر رضي الله عنهما. وهذا مثال على أنّ في تاريخنا المثل الأعلى لكل فضيلة في التاريخ فلا يعجبن شباننا بأنّ سويسرة قليل من يرتاد المحاكم من أهلها، ولا يروا هذا من مخترعات القرن العشرين الذي يقولون إنّه قرن النور! فإنّ المدينة قد سبقت فيه. جنيف.. كما سبقت في غيره، ولكن شباننا بتاريخهم جاهلون.

عجوزاً عمياء، في بعض حواشي المدينة، فكان يجيئها سحراً، فيجد امرءاً قد سبقه إليها فبرّها وأحسن إليها، واستسقى لها وأصلح من أمرها، فيعجب منه ويزيد في البكور، فلا يسبقه، فرصده مرّة من أوّل الليل، حتى جاء فإذا هو أبو بكر الصديق، وهو يومئذ خليفة![1].

أبو بكر وعمر يستبقان إلى برّ عجوز عمياء، في بعض حواشي المدينة. . . الله أكبر! عقمت أم التاريخ أن تلد مثل هذا الخلق الذي يأتي بسيد الأمة، في ثوب خادم الأمة، حتى يفتش في الليل عن عجوز عمياء، أو رجل مقعد، أو أسرة محتاجة، أو مظلوم ضعيف، أو ظالم عاتٍ ـ ليخدم العجوز، ويحمل المقعد، ويساعد المحتاج، وينصر المظلوم، ويأخذ على يد الظالم، لا يبتغي على ذلك جزاءً ولا شكوراً، لأنه يعمل لله، ولا يرجو الثواب من غير الله.

الله أكبر! ضل قوم زعموا أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، لا والله! إنما انتشر بمثل هذه الأخلاق السماوية، إنما فتح المسلمون ثلاثة أرباع العالم المتمدن، بهذا الإيمان الذي ملأ قلوبهم، وهذا النور الذي أشرق على نفوسهم، وهذه القوة التي عادت بها عليهم عقيدة التوحيد.

علموا أن الله هو الفعال لما يريد، وأنه المتصرف في جميع الأكوان، وأن كل شيء بقضاء منه وقدر، وأنهم إن غُيِّب عنهم القدر، وخفي عليهم علمه، فقد أنزل عليهم القرآن ووضح لم سبيله. فاتبعوا القرآن ووقفوا عند أمره ونهيه فكتبوا في سجل القدر من السعداء.

والمؤمن الذي يعلم أن الله هو الفرد الصمد الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وأنه لا يجير عليه من نبي ولا رسول ولا يشفع عنده إلّا بإذنه، وليس بينه وبين العبد واسطة ولا نسب، ويعلم أن يَنصُر مَن ينصره وأنه لا يضيع أجر من أحسن عملاً. لا يسأل إلّا الله ولا يستعين

---

(١) منتخب كنز العمال قال: رواه الخطيب.

إلّا بالله ولا يبالي بشيء إذا كان مع الله ولا يطمع في جوار أحد إذا كان جاراً لله ولا يحفل بالدنيا وما فيها إذا باع نفسه من الله راضياً مختاراً بأن له الجنة. . .

* * *

كانت هذه العقيدة أصل كل خير ناله المسلمون الأولون، وكان وهنها في النفوس أصل كل شرّ نال المسلمين المتأخرين الذين أفسدوا عقيدة التوحيد بما شرعوا لأنفسهم من البدع والعقائد فتفرقوا أيدي سبا وذلّوا في أرضهم وهوجموا في عقر دارهم. وحفظ المسلمون الأولون على هذه العقيدة صفاءها وجمالها ففتحوا ما فتحوا وكان فتحهم أعجوبة التاريخ يقف أمامها العقل خاشعاً للعظمة والجلال، حائراً للغموض والخفاء.

أمة بدوية على غاية ما تكون عليه الأمم البادية من الخلاف والجهل. لا دين يوحد قبائلها ويهذب من نفوسها، ولا جامعة تجمعها، ولا حكومة تدير أمورها. اللهمّ إلّا حكومة في العراق تخضع لملوك العجم وحكومة في الشام تطيع ملوك الروم وتلبث على ذلك عصوراً. . . ثم تنهض نهضة الأسد تحمل في يمناها نور القرآن تضيء به للشعوب طريق المجد في الدنيا والسعادة في الأخرى. وفي يسراها السيف تردُّ به الضالين المعاندين المصرّين على الضلال إلى سبيل الحق والهدى.

ويبدو فيها سر الإسلام بيّناً جليّاً، فإذا هذا التفرق وهذه الجاهلية أخوَّة في الإسلام وتمسّك بالفضائل. وإذا هذا الضعف قوّة لا تعدلها قوّة، وإذا هذه الحميّة الجاهلية تواضع لله ورضا بأحكامه ونزول عند أوامره ونواهيه، وإذا بدوي من بني وُهيب[1] يكون بسرِّ الإسلام ـ قائداً من أعظم قواد الدنيا ـ يهدُّ أقوى صرح للظلم، ويدك أكبر بنيان للجور على وجه الأرض، ويغرس في (القادسية) مكان الجبروت الفارسي بذور الحضارة الإسلامية التي نمت وأزهرت حتى أظلّت الدنيا.

---

(١) سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

وإذا بدويّ قاسٍ غليظ من بني عديّ[1] يكون بسرّ الإسلام عظيماً من عظماء التاريخ يبرّز في العلم والسياسة والبلاغة ويكون له القِدح المعلّي في فنون الفكر وفنون الحرب وفنون القول، ويسوس وحده الجزيرة وسورية والعراق ومصر وإفريقية. فلا يعرف التاريخ أعدلَ ولا أقومَ ولا أفضلَ منه ـ حاشا رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار.

وإذا تاجر من تجار مكة[2] يكون بسرّ الإسلام أعظم العظماء بعد الأنبياء.

* * *

هذه أعجوبة التاريخ، وهذا هو الفتح الأعظم!.

أجل! إن الفتح الإسلامي لهو الفتح الأعظم الذي لم يعرف التاريخ فتحاً مثله. وكثيرٌ هم الفاتحون الذين فتحوا بلاداً واسعة بسيوفهم وأخضعوها بجندهم، وحكموها بقوتهم وسطوتهم، ولكن ليس فيهم مثل المسلمين الذين فتحوا البلاد بإيمانهم، وفتحوا القلوب بعدلهم، وفتحوا العقول بعلمهم، فكانوا أصحاب السلطان، وكانوا دعاة الإيمان، وكانوا بُناة المجد والحضارة والعمران.

طبّقوا في القرن السابع قواعد الحرب الإنسانية ـ التي علمت بها أوروبة في القرن التاسع عشر وسعت إلى تطبيقها في القرن العشرين فلما لم تفلح وغلبت طباعها الذئبية على إنسانيتها المصطنعة اكتفت منها بتسطيرها في كتب الحقوق الدولية، وأخذ المجدّدين من الشرقيين... ببريقها ولمعانها.

لقد فتحنا ثلاثة أرباع العالم المتمدن، ولكنا كنا نحمل العلم والهدى والعدل والغنى إلى البلاد التي نفتحها، وكنا لا نعمد إلى الحرب إلّا إذا اختار أعداؤنا الحرب، وأبوا أن يلبوا داعي الله ـ ثم لا نخون ولا نغدر ولا نغل ولا

---

(١) عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) أبو بكر رضي الله عنه.

نمثل ولا نقتل رسولاً ولا نهدم منزلاً ولا ننازل عُزلاً ولا نهيج معتزلاً ولا نمس عابداً متبتّلاً[١].

ثم إذا صَالَحنا أعداؤنا ودخلوا في ذمتنا حميناهم مما نحمي منه أولادنا وأهلينا وإذا أسلموا كانوا إخواننا لهم مالنا وعليهم ما علينا، لا يفرّق بين المسلمين عرق ولا لغة ولا جاه ولا نسب؛ ولا فضل لأحد على أحد إلّا بالتقوى[٢].

فأين هذه الفتوح من فتوح الاستعمار التي أثارتها أوروبا؟ فتحنا البلاد فتركنا أهلها أحراراً في دينهم ومعابدهم، أحراراً في قضائهم ونظمهم، أحراراً في أموالهم وأولادهم، فملكنا بالعدل قلوب الناس، وأسعدناهم بالعلم، وبسطنا عليهم ظلال الأمن، ونشرنا فوقهم لواء الحضارة، حتى لقد صار أهل البلاد يستصرخون المسلمين على حكوماتهم ويبذلون لهم عونهم على ملوكهم[٣] لا بغضاً بملوكهم ولا عداء لأوطانهم ولكن حبّاً بالعدل ورغبة في الإسلام وشوقاً إلى العلم والحضارة والعمران.

فتحنا الحِيرة فأهدى أهلها طائعين مختارين هدية إلى أبي بكر فقبلها

---

(١) اقرأ وصية أبي بكر رضي الله عنه لأسامة وجيشه في هذا الكتاب.

(٢) أي إنَّ الوطنية في الإسلام هي الدين، والأخوة أخوة الإسلام. أمَّا هذه البدعة الجديدة، بدعة القوميات والوطنيات التي فرقوا بها بين المسلمين، وقالوا: تركي وعربي، ومصري وعراقي فليست من الإسلام في شيء - والغرب نفسه بدأ يعدل عن الجامعة القومية الضيقة إلى جامعة إيمانية واسعة، أي إنّه بدأ يرجع لقواعد الإسلام.

(٣) كما وقع في حمص أثناء الفتح، وفي الأندلس من بعد: روى البلاذري في فتوح البلدان أنَّه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين إقبالهم إليهم لوقعة اليرموك ردوا على أهل حمص ما كانوا أخذوا منهم من الخراج، وقالوا: قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فأنتم على أمركم. . فقال أهل حمص: لولايتكم وعدلكم أحب إلينا مما كنا فيه من الظلم والغشم، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم، فأغلقوا الأبواب وحرسوها، وكذلك فعل أهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا: إن ظهر الروم وأتباعهم على المسلمين صرنا إلى ما كنا عليه، وإلّا فإنَّا على أمرنا ما بقي للمسلمين عدد.

وعدها من الجزية عدلاً وتعففاً، وخشية أن يظلم أهل ذمّته أو أن يكلفهم شططاً، وتفتحون البلاد فَتَبْتَزُّون أموالها ابتزازاً، وتمتصون دماءها امتصاصاً وتمدون أيديكم إلى كل خير فيها.

هكذا كانت فتوحنا وهذه فتوحكم:

ملكْنا فكانَ الْعَدْلُ مِنّا سَجِيَّةً ... فَلَمَّا مَلَكْتُمْ سالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ

وَحَلَّلْتُمُ قَتْلَ الأُسارىٰ وَطالَمَا ... غَدَوْنا عَلَى الأَسْرىٰ نَمُنُّ وَنَصْفَحُ

فَحَسْبُكُمُ هذا التَّفَاوُتُ بَيْنَنَـا ... فَكُلُّ إناءٍ بِالَّذِي فِيـهِ يَنْضَحُ

* * *

ولم يظهر سر الإسلام في الفتوح وفي الخلفاء والأمراء فقط، بل لقد ظهر في المسلمين جميعاً فجعل من نفوس النساء والعجائز والأطفال مناراً يهتدى به الناس ومثلاً أعلى للنفوس الكبيرة، حتى إن أبا بكر ليقسم مالاً بين النساء ويبعث إلى عجوز من بني النجار بقسمها من هذا المال مع زيد بن ثابت فتقول:

ـ ما هذا؟

ـ فيقول: مال قسمه أبو بكر بين النساء.

ـ فتقول: أترشونني عن ديني؟

ـ فيقـول: لا

ـ فتقول: أتخافون أن أدع ما أنا عليه؟

ـ فيقول: لا.

ـ فتقول: والله لا آخذ منه شيئاً[1].

لا تأخذ منه شيئاً لأنها لم تسلم رغبة ولا رهبة ولكنها أسلمت لله فهي تبتغي ما عند الله.

لا تأخذ منه شيئاً لأنها لا تحب أن يدخل المال بينها وبين ربها فيشغلها

---

(١) ابن سعد في الطبقات.

عن الإخلاص لدينها ويطمعها المال في المال فتزيد في العبادة وتبالغ في التديّن فتكون كأنما تعبدت للمال. وعقيدة التوحيد التي استقرت في نفس هذه العجوز كما استقرت في نفوس كبار الصحابة وعلمائهم تدفعها إلى أن تعمل لله وحده، وتسأل الله وحده، وتؤمن بالله وحده.

وتجتمع فئة من المسلمين معارضة تريد أن تستأثر بالحكم لأنها ترى لها فيه حقّاً ولا تقبل في ذلك هوادة، ثم يأتيها ثلاثة رجال من الفئة التي تعارضها وتجتمع لتناوئها فترجع عما اعتزمته بكلمة واحدة تبصر فيها ضياء الحق.

قال عمر للأنصار يوم السقيفة:

- ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قدَّم أبا بكر للصلاة؟.
- قالوا: بلى.
- قال: فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم من قدّمه رسول الله ﷺ؟.
- قالوا: لا أحد!.
- ثم قاموا يبتدرون البيعة[1].

فأين هذا من منازعات الأحزاب على الحكم في الدول الراقية في القرن العشرين؟ وأين ديموقراطية أوروبا ودعواها الخلاص من الحكم الفردي من ديموقراطية المسلمين الأولين؟.

أما إن استبداد لويس الرابع عشر هو استبداد روبسبير وهو هو استبداد هتلر لم تنجُ أوروبا من الاستبداد في الحكم يوماً واحداً ولم يحقق النظام البرلماني شيئاً من أمانيها الديموقراطية ومبادئها البراقة التي تخدع بها الأطفال الكبار من الشرقيين[2].

---

(١) رواه النسائي والحاكم وصححه.

(٢) يقول ذلك الأستاذ جيز أحد جهابذة الحقوق العامة الإفرنسية ويثبته بالحجج والأرقام، في مقال له ممتع، في الصفحة ١٦٦ من العدد الثاني من مجلة الحقوق العامة والعلم السياسي في السنة ١٩٢٧. وهذا المقال صفعة قوية لأنصار هذا النظام.

أما نظام الحكم في الإسلام فهو النظام الديموقراطي الصحيح الذي لا يجعل من أمير المؤمنين أكثر من منفذ للقانون الإلّهي الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وكان المسلمون الأولون يفهمون هذا النظام أصح فهم وأجودَه، وكان العامل من عمالهم يعلم أنه إنما يسأل عن عمله بين يدي الله وإنما يقوم به لمصلحة المسلمين لا لرضاء أمير المؤمنين. وقد يبالغون في ذلك حتى إن معاذُ بن أيمن يقدم المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ فيقول له أبو بكر: ادفع حسابك. فيقول أحسابان: حساب من الله وحساب منكم؟ والله لا ألى لكم عملاً أبداً[1].

ويطلب أمير المؤمنين عثمان من خازنه مالاً فيأباه عليه. فيقول: «إنما أنت خازن لنا إذا أعطيناك فخذ وإذا سكتنا عنك فأسكت».

فيقول الخازن لأمير المؤمنين: «ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك إنما أنا خازن المسلمين» ثم يجيء يوم الجمعة وأمير المؤمنين يخطب فيقول: «أيها الناس! زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته وإنما كنت خازناً للمسلمين وهذه مفاتيح بيت مالكم» ويرمى بها..

* * *

هـذا هو تـاريخ المعجـزة التي جـاء بهـا سيـد العـالمين محمـد رسول الله ﷺ، وهذا هو تاريخ الإنسانية الكاملة تاريخ المسلمين الأولين خلاصة البشرية. فطالعوه يا شبان المسلمين، وتدارسوه، واسعوا لتكتبوا هذا التاريخ مرة ثانية على صفحة الحياة.. وتقولوا للعالم بأفعالكم لا بأقوالكم: نحن أبناء أولئك الآباء..

---

(١) عيون الأخبار.



أبو بكر الصديق

عائشة تصف أباها(*)

بلغ عائشة رضي الله عنها أنّ أقواماً يتناولون أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فأرسلت إلى أزْفِلَة[1] من الناس، فلما حضروا أسدلِت أستارها، وعلت وسادها، ثم قالت:

أبي، وما أبيه، أبى والله لا تَعطوه الأيدي[2]، ذاك طود منيف[3] وفَرع مديد[4] هيهات كذبت الظنون، أنجح[5] إذْ أكدَيتُم[6] وسبق إذ وَنَيْتُم[7] سَبْقَ الجواد إذا استولى على الأمد[8] فتى قريش ناشئاً، وكهفها كهلاً[9]، يفكّ

(*) إذا كان يجوز الحكم على صحة النص أو عدمها بأسلوبه، فإني أحسّ أن أسلوب هذا الفصل يدل على أنه موضوع مصنوع ليس من كلام السيدة عائشة، لأنه لا يشبه أسلوبها ولا أسلوب عصرها، والتصنع فيه واضح: من تعمد الغريب، وطول الوصف، والمبالغة فيه، وكل ذلك مخالف لما صحّت روايته عنها ـ والله أعلم ـ.

(١) أي جماعة.

(٢) تتناوله.

(٣) أي جبل مشرف.

(٤) الفرع: أعلى الشيء وفرع القوم: شريفهم.

(٥) صار ناجحاً.

(٦) الكدية: الأرض الغليظة القوية، وأكدى أي بلغ هذه الأرض فلم يمكنه الحفر.

(٧) أي قصرتم وضعفتم.

(٨) الأمد: الغاية.

(٩) الكهف: الملجأ، والكهل: من جاوز الرابعة والثلاثين ولم يجاوز الواحدة والخمسين.

عَانِيَها[١]، ويَريش مُمْلقها[٢]، ويرأب شَعْبها[٣]، ويلمّ شَعْثَهـا، حتى حلِيَتْه[٤] قلوبها، ثم استشرى[٥] في دين الله، فما برحت شكيمته[٦] في ذات الله عزّ وجلّ، حتى اتخذ بفِناء داره مسجداً، يحيي فيه ما أمات المبطلون.

وكان رحمه الله غزيرَ الدمعة وَقِيذ الجوانح[٧] شجيَّ النشيج؛ فانصفقت إليه نسوان مكة وولدانها، يسخرون منه ويستهزئون به ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾[٨] فأكبرت ذلك رجالات من قريش، فَحَنَتْ قِسيَّها، وفوَّقت سهامها[٩]، وامتثلوه غرضاً، فما فلّوا له صَفاةً، ولا قصفوا له قناةً. ومرّ على سِيسائه[١٠]حتى إذا ضرب الدين بجرانه، ورست أوتاده، ودخل الناس فيه أفواجاً، ومن كل فرقة أرسالاً وأشتاتاً. اختار الله لنبيه ما عنده. فلما قبض الله نبيه، ضرب الشيطان رُواقه ومدّ طُنُبه[١١]ونصب حبائله، وأجلب بخيله ورَجله[١٢]، واضطرب حبل الإسلام ومرج عهده[١٣]وماج أهله وبُغي الغوائل، فظن رجال أن قد أكثبت[١٤]

---

(١) أي أسيرها.

(٢) راش السهم أي وضع فيه الريش والمراد يساعد فقيرها.

(٣) أي يصلح صدعها.

(٤) أي استحلته.

(٥) غضب ولج.

(٦) الشكيمة: .

(٧) الوقيذ: الصريح المشرف.

(٨) العمه: التردد في الضلال.

(٩) أي جعلت لها أفواقاً، والفوق: موضع السهم من الوتر.

(١٠) السيساء عظم الظهر، والمراد به الشدة.

(١١) الطنب: الحبل الذي يشد به السرادق أو الوتد.

(١٢) أجلب: صاح، الخيل: الخيالة، الرجل: كالصحب جمع راجل.

(١٣) أي فسد واختلط.

(١٤) قربت.

أطماعهم ولات حين الذي يرجون، وأنّى والصدّيق بين أظهرهم فقام حاسراً مشمراً، فجمع حاشيتيه[١] ورفع قطريه[٢] فردّ نشر الإسلام على غرّة[٣] ولمّ شعثه بطبّه، وانتاش الدين بنعشه[٤]، فلما أراح الحق على أهله. وقرّر الرؤوس على كواهلها، وحقن الدماء في أهُبها، أتته منيته، فسد ثُلْمَته بنظيره في المرحمة، وشقيقه في السيرة والمعْدِلة ذاك ابن الخطاب، فلله درّ أم حفلت له ودرّت عليه، لقد أوحدت به[٥] فَفنّخ الكفرة[٦] وديّخها[٧] وشرّد الشرك شَذَرمَذَر[٨] وبعج الأرض وبخعها[٩] فقاءت أُكُلَها، ولفظت خَبأها. ترأمه ويصدف عنها[١٠] وتصدّى له ويأباها، ثم وزع فيها فيأها، وودّعها كما صحبها، فأروني ماذا ترتؤون؟ وأيّ يومي أبي تنقمون؟: أيوم إقامته إذا عدل فيكم، أم يوم ظعنه إذ نظر لكم[١١]؟ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم. ثم أقبلت على الناس فقالت: أنشدكم الله هل أنكرتم مما قلت شيئاً؟ قالوا: اللهمّ لا[١٢].

---

(١) حاشية الشي: طرفه.
(٢) القطر: الناحية.
(٣) أي على طيه وكسره الأول والمراد أنّه أعاده إلى حالته التي كانت على عهد رسول الله ﷺ.
(٤) انتشله.
(٥) أي ولدت واحداً لا نظير له.
(٦) أي اذل.
(٧) دوخها: أي قهرها.
(٨) أي في كل وجه.
(٩) أي شقها واستخرج.
(١٠) أي تعطف عليه ويعرض عنها.
(١١) أي بتوليته عمر.
(١٢) نهاية الأرب، والرياض النضرة، والفائق، ومفتاح الأفكار، وجمهرة الخطب، وغيرها.



اسْمُهُ وَلَقَبُهُ وَكُنْيَتُهُ

اسمه ولقبه وكنيته

اسمه عبد الله، ولقب بعتيق وبالصديق. وكنيته أبو بكر:

عبدالله:

جمهور أهل النسب على أن اسمه الأصلي عبدالله، سمّاه به النبي ﷺ لما أسلم، وكان اسمه من قبل عبد الكعبة[1] وجزم البخاري[2] وغيره من المحدّثين بأن اسمه عبدالله[3] يؤيدهم في ذلك أحاديث كثيرة، منها حديث عبدالله بن الزبير[4]: كان اسم أبي بكر عبدالله بن عثمان. فقال له النبي ﷺ: أنت عتيق الله من النار فسمى عتيقاً[5] ويؤيدهم في ذلك أن أبا بكر كتب: من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من يقرأ كتابي[6]

---

(١) قاله المحب الطبري في الرياض النضرة في مناقب العشرة، وهو أبو جعفر أحمد بن عبدالله المشهور بالمحب الطبري الحافظ المحدث الفقيه مات سنة ٦٩٤.

(٢) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أمير المؤمنين في الحديث كتب عن أكثر من ألف شيخ وكتابه أصح الكتب بعد كتاب الله وفضائله كثيرة توفي ليلة عيد الفطر سنة ٢٥٦.

(٣) قاله الزرقاني في شرح المواهب، وهو أعظم كتاب في السيرة، يكاد يغني وحده عن كل كتاب، ولا يغني عنه كتاب.

(٤) هو أول مولود في الإسلام وفارس قريش شهد اليرموك وبويع له بعد موت يزيد وغلب على اليمين والحجاز والعراق وخراسان وكانت دولته تسع سنين وكان فصيحاً عالماً شجاعاً قتل بمكة سنة ٧٣.

(٥) رواه الترمذي وهو محمد بن عيسى الحافظ الضرير أحد الأئمة الأعلام وصاحب الجامع والتفسير مات سنة ٢٧٩ ـ وهو أيضاً في مسند البزار والطبراني بسند جيد ـ قاله السيوطي.

(٦) قال ذلك الدولابي في كتاب الأسماء والكنى وهو أبو بشر محمد بن أحمد الدولابي المتوفي في العرج بين مكة والمدينة في ذي القعدة سنة ٣١٠.

قال ابن عساكر[1]: كادت الروايات تجمع على أن اسمه عبدالله ولقبه عتيق، وأخرج عن عائشة رضي الله عنها، أن اسم أبي بكر الذي سمّاه به أهله عبدالله ولكن غلب عليه اسم عتيق.

عتيـق:

وكثير من المحدثين على أن اسمه عتيق[2] يؤَيدهم قول بعض الأنصار يوم السَّقيفة:

فقلتم حرام نصب سعدٍ ونصبكم عتيقَ بن عثمان حلالٌ أبا بكر
وأهلٌ أبو بكر لها خير قائم بها وعليّ كان أخلق بالأمر[3]

واختلفوا في من سمّاه بعتيق ومتى سمي به، فقال قوم سمي به في الإسلام سمّاه به النبي ﷺ، قالت عائشة رضي الله عنها والله إني لفي بيتي ذات يوم. ورسول الله ﷺ وأصحابه في الفناء والستر بيني وبينهم إذ أقبل أبو بكر، فقال النبي ﷺ: من سرّه أن ينظر إلى عتيق من النار فلينظر إلى أبي بكر[4].

وقال ابن إسحاق[5] بل سمّاه به أبوه.

وقال آخرون: بل سمته أمه حين استوهبته الله فعاش[6] وقال المحب

---

(١) هو الحافظ أبو القاسم علي بن الحسين صاحب التاريخ الكبير وغيره توفي بدمشق ١١ رجب سنة ٥٧١ قال فيه النووي حافظ الدنيا، وما انفرد بروايته يعد خبراً ضعيفاً.

(٢) قاله المحب الطبري.

(٣) الاشتقاق لابن دريد.

(٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده. وابن سعد والحاكم وصححه. قاله السيوطي، وروى مثله الترمذي.

(٥) هو أبو بكر محمد ابن إسحاق المطلبي إمام أهل المغازي وثقه أصحاب الحديث وأخذوا عنه توفي سنة ١٥١ وأشهر من روى عنه عبد الملك بن هشام صاحب السيرة المتوفي بمصر سنة ٢١٣، والمشهور أن سيرة ابن إسحاق فقدت، وقد نبهت من أكثر من خمسين سنة من تاريخ هذه الطبعة إلى أنها موجودة أو موجود أكثرها في تاريخ الطبري، يرويها عن محمد بن سلمة عن ابن إسحاق كما يروى ابن هشام، عن البكائي، عن ابن إسحاق.

(٦) قاله المحب الطبري.

الطبري ولا تضادّ بين هذه الأقوال كلها، إذ يجوز أن يكون أحد أبويه سمّاه بذلك لمعنى ثم تابعه عليه الآخر ثم استعملته قريش ثم أقرّ عليه بعد الإسلام. اهـ.

والصحيح ما قاله ابن عساكر والنووي [١] والسيوطي [٢] أن عتيقاً لقب له وليس اسماً.

معنى عتيق:

قال الليث بن سعد ومصعب بن الزبير وجماعـة[٣]: هو من العتاقة أي الجمال يؤيدهم ما قاله ابن قتيبة[٤] أنَّ النبي ﷺ لقَّبه بعتيق لجمال وجهه[٥] وقال موسى بن طلحة[٦]: بل هو من العتق وذلك أنَّ أمَّه لم يكن يعيش لها ولد فلما ولدته استقبلت به الكعبة وقالت: اللهمَّ إن هذا عتيقك من النار فهبه لي فعاش فسمي عتيقاً[٧].

وقال أبو نعيم[٨]: هو من العتق أي القدم فهو عتيق أي قديم في

(١) هو الإمام الكبير محيي الدين النووي من كبار ائمة الشافعية وصاحب التصانيف توفي الأربعاء ١٤ رجب سنة ٦٧٦. ولي عنه كتاب بصغير في سلسلتي: أعلام التاريخ.

(٢) هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الإمام البحاث الحافظ المؤرخ الأديب توفي في القاهرة سنة ٩١١ وله نحو ٥٠٠ مصنف. وأكثرها جمع لا ابتكار.

(٣) كابن دريد في كتابه الاشتقاق، والليث هو عالم مصر وفقيهها ورئيسها، كان دخله ٨٠٠٠٠ دينار ولم تجب عليه زكاة قط، أي لا يحول عليه الحول وعنده منها شيء وهو ثقة ولد ١٤ شعبان سنة ٩٤ ومات ١٥ شعبان سنة ١٧٥. ولي عنه فصل في كتابي: رجال من التاريخ. وأمَّا مصعب بن الزبير فهو أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام نشأ بين يدي أخيه عبد الله ابن الزبير وقتل سنة٧١.

(٤) في كتابه المعارف وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة البغدادي المشهور بالدينوري لأنَّه ولي القضاء بدينور وله مؤلفات كثيرة جليلة توفي في رجب سنة ٢٧٦ قالوا: هو للسنة كالجاحظ للمعتزلة، وليس مثله.

(٥) قال السيوطي: أخرجه الطبراني عن ابن عباس.

(٦) التميمي المدني ثقة مات آخر سنة ١٠٣.

(٧) الرياض النضرة.

(٨) قال السيوطي في (تاريخ الخلفاء): هو الفضل بن دكين. وهو أبو نعيم الكوفي الأحول الحافظ العلم أجمعوا على أنَّه كان غاية في الإتقان مات سنة ٢١٩. وكتابه الحلية فيه كثير من الأخبار الضعيفة.

الخير، قال ابن الأعرابي[1] العرب تقول عتيق لما بلغ غاية الجودة. وروى الدُّولابي عن عائشة أنَّه ولد لأبي قُحافة أولاد فسمي واحداً عتيقاً وآخر معتقاً، وسمي أبا بكر عتيقاً (باسم أحدهما) وروى السيوطي في تاريخ الخلفاء عن عائشة أنَّهم عتيق ومعتق ومعيتق.

أبو بكر:

كنيته أبو بكر، وهي من البكر وهو الفتى من الإبل، والجمع بكارة وأبكرُ وقد سمَّت العرب بكراً، وهو أبو قبيلة عظيمة[2].

روى الدُّولابي عن أبي بكر بن أبي زهير الثقفي أنه لما نزلت ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ قال أبو بكر: يا رسول الله! كيف الصلاح بعد هذه الآية؟ فقال يا أبا بكر! ألست تصاب؟ ألست تحزن؟ أليس تصيبك اللأواء (أي الشدة)؟ قال: بلى، يا رسول الله، قال: فهذا بهذا.

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما[3] أنَّه لما نزلت ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ بكى أبو بكر، فقال له النبي ﷺ: ما يبكيك يا أبا بكر؟ لولا أنَّكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم، لخلق أمة من بعدكم يخطئون ويذنبون فيغفر لهم.

وربما حرَّف بعض خصومه أبا بكر فجعلوها أبا فَصيل. قال أبو سفيان لما استخلف أبو بكر: مالنا ولأبي فصيل إنما هي بنو عبد مناف، إنَّما هي بنو

---

(١) محمد بن زياد الراوية الناسب العلامة باللغة قالوا إنه لم ير أحد أعلم منه بالشعر واللغات مات سنة ٢٣١.

(٢) الاشتقاق لابن دريد.

(٣) عبدالله بن عمر بن الخطاب هاجر مع أبيه وشهد الخندق وبيعة الرضوان له ١٦٣٠ حديثاً كان إماماً متيناً واسع العلم كثير الاتباع وافر النسك كبير القدر متين الديانة عظيم الحرمة ذكر للخلافة يوم التحكيم وخوطب في ذلك فقال: على أن لا يجري فيها دم مات سنة ٧٤. وجملة (رضي الله عنهما) تستعمل في هذا المقام، وفي فصاحتها نظر.

عبد مناف! قالوا قد ولّى ابنك، قال: وصلته رحم![1].

الصديق:

اشتهر منذ الجاهلية بلقب الصدِّيق، وذلك أنَّه كان رئيساً من رؤساء قريش[2] وكانت إليه الأشناق (وهي الدِّيات)، فإذا تحمل شنقاً أمضت قريش حمالته وقامت معه، وإذا تحملها غيره خذلوه ولم يصدقوه[3].

ودعى في الإسلام الصديق، ليلة أسري بالنبي ﷺ، فأصبح يحدِّث الناس بذلك، فارتدَّ أناس كانوا آمنوا به، وسعى رجال من المشركين إلى أبي بكر، فقالوا: هل لك إلى صاحبك؟ يزعم أنَّه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس! قال: وقد قال ذلك؟ قالوا: نعم، قال: لئن قال ذلك لقد صدق،

---

(١) تاريخ الطبري وهو محمد بن جرير أبو جعفر الطبري المؤرخ المفسر الإمام وهو أوثق مؤرخي المسلمين وأكبرهم له التاريخ والتفسير وكتب أخرى مات سنة ٣١٠، وهو يروي الصحيح وغيره، وقد صرّح هو بذلك.

(٢) وذلك أنَّ الشرف انتهى قبل ظهور الإسلام إلى عشرة رهط من عشرة أبطن. فالعباس بن عبد المطلب من بني هاشم وكان يسقي الحجيج في الجاهلية وبقي له ذلك في الإسلام، وأبو سفيان بن حرب من بني أمية وكان عنده العقاب راية قريش فإذا لم تجتمع قريش على واحد رأسوه هو وقدموه. والحارث بن عامر من بني نوفل وكانت إليه الرفادة وهي ما تخرجه قريش من أموالها وترفد به منقطع الحاج، وعثمان بن طلحة من بني عبد الدار وكانت إليه السدانة والحجابة. وقد بقيت في ذريته إلى اليوم. ويزيد بن زمعة بن الأسود من بني أسد وكانت إليه المشورة فلا تجمع قريش على أمر حتى يعرضوه عليه فإن وافق ولا هم عليه وإلَّا تخير وكانوا له أعواناً، وأبو بكر الصديق من بني تيم وكانت إليه الأشناق وهي الديات والمغارم، فكان إذا حمل شيئاً فسأل فيه قريشاً، صدقوه وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه. وخالد بن الوليد من بني مخزوم وكانت إليه القبة والأعنة، أمَّا القبة فإنَّهم كانوا يضربونها ثمَّ يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش وأما الأنة فإنَّه كان على خيل قريش في الحرب. وعمر بن الخطاب من بني عدي وكانت إليه السفارة في الجاهلية، وصفوان بن أمية من بني جمح وكانت إليه الأزلام. والحارث بن قيس من بني سهم وكانت إليه الحكومة وأموال آلهتهم - عن بلوغ الأرب للألوسي، وهو أجمع كتاب عن أحوال العرب.

(٣) الرياض النضرة.

قالوا: تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وعاد قبل أن يصبح؟ قال نعم إني لأصدِّقه فيما هو أبعد من ذلك، من خبر السماء في غدوة أو روحة، ثمَّ انتهى إلى النبي ﷺ، فطفق يسمع منه ويصدِّقه ويقول: أشهد إنك لرسول الله، حتى إذا انتهى، قال وكنت يا أبا بكر الصديق[١].

وعن أبي تحيي حُكيْم بن سعد[٢] قال: لا أحصي كم سمعت عليّاً يقول على المنبر: إنَّ الله عزَّ وجلَّ سمى أبا بكر ـ على لسان نبيه ﷺ ـ صدِّيقاً، وكان عليّ يحلف بالله إنَّ الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق[٣].

وخرَّج النووي عن علي رضي الله عنه أنَّه قال: سمي أبو بكر صدِّيقاً، لأنَّه بادر إلى تصديق الرسول ﷺ، ولازم الصدق، ولم تقع منه هنات في حالٍ من الأحوال.

وروي أنَّ النبي ﷺ قال: قلت لجبريل ليلة أسري بي: إنَّ قومي لا يصدِّقونني، فقال: يصدِّقك أبو بكر وهو الصدِّيق[٤] وعرف منذ ليلة الإسراء، بلقب الصدِّيق.

---

(١) الحديث متفق عليه وهو بهذا السياق من الرياض النضرة والفقرة الأخيرة قال السيوطي في تاريخ الخلفاء عن سعيد بن منصور قال: لما رجع رسول الله ﷺ ليلة أسري به فكان بذي طوي، قال: يا جبريل إنَّ قومي لا يصدقونني، قال: يصدقك أبو بكر وهو الصديق.
(قال) وأخرج الطبراني في الأوسط موصولاً. وأخرج الحاكم في المستخرج عن النزال بن سبرة (قال) قلنا لعلي: يا أمير المؤمنين، أخبرنا عن أبي بكر.
قال: ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل وعلى لسان محمد وكان خليفة رسول الله على الصلاة رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا (إسناده جيد).

(٢) الحديث مروي في (الإصابة)، واسمه فيها وفي (تاريخ الخلفاء) يحيى بالياء قال في (خلاصة التذهيب) وهو أبو تحيى بتاء مكسورة. حكيم (بالتصغير) بن سعد الكوفي ثقة. والحديث منقول في الموافقة لابن السمان. قال الزرقاني: ورواه الطبراني برجال ثقات وحكمه الرفع فلا مدخل للرأي فيه.

(٣) رواه السيوطي في تاريخ الخلفاء.

(٤) الرياض النضرة.

قال أبو مِحجن الثقفي:

وسميت صـدِّيقـاً وكـل مهـاجـر   سـواك يسمَّى بـاسمـه غيـر منكـر
سعيت إلى الإسـلام والله شـاهـد   وكنت جليساً في العريش المشهَّر[1]

وقال الصَّلَتان العبدي[2] في كلمة له:

فـملّتـنـا أنـنـا الـمـسـلـمـون   عـلى دين صـدِّيـقنـا والـنبـي[3]

وقال ابن قيس الرقيات[4]:

نحن منا النبي أحمد والصدِّيق منا التقيّ والحكمـاء

وقال النابغة الجعدي[5]، يمدح ابن الزبير:

حكيت لنـا الصـدّيق حين وليتنـا   وعثمان والفاروق فارتـاح معدم

وأنشد الأصمعي[6]:

ولـكـنـي أحبّ بـكـل قـلبـي   وأعـلم أنَّ ذاك مـن الـصـواب
رسـولَ الله والـصـدِّيـقَ حـبًّـاً   بـه أرجـو غـداً حسـن الثـواب

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه[7] أنَّ النبي ﷺ صعد أحداً فتبعه أبو بكر وعمر وعثمان فرجف بهم، فضربه النبي ﷺ برجله،

---

(١) أسد الغابة، ـ وأبو محجن هو عمرو بن حبيب أحد الأبطال الشعراء الكرماء في الجاهلية والإسلام كان له في القادسية أحسن البلاء وهو يشير إلى العريش الذي نصب لرسول الله ﷺ يوم بدر.

(٢) هو قثم بن خبيئة من عبد القيس كان معاصراً لجرير والفرزدق وحكم بينهما.

(٣) الكامل للمبرد.

(٤) هو عبدالله بن قيس شاعر قريش في العصر الأموي لقب بابن قيس الرقيات لأنَّه كان يتغزل بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهنَّ رقية توفي نحو سنة ٨٥.

(٥) هو حسان بن قيس الجعدي شاعر صحابي من المعمرين كان ممن هجر الأوثان ونهى عن الخمر قبل الإسلام وشهد صفين مع علي ومات في أصبهان سنة ٥٠.

(٦) هو عبد الملك بن قريب الباهلي راوية العرب، ونابغة الدنيا في الحفظ، توفي سنة ٢١٦.

(٧) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين وله ١٢٨٦ حديثاً، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة مات سنة ٩٠ وقد جاوز المائة سنة.

وقال: «اثبت أحُدُ، فما عليك إلاَّ نبيّ وصدِّيق وشهيدان» [1].

وقال عليّ كرَّم الله وجهه في كلمته التي رثى بها أبا بكر رضي الله عنه:

وأسماك الله في كتابه صدِّيقاً قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ يريد محمداً ويريدك [2].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري وأحمد الترمذي وأبو حاتم.

(٢) نهاية الأرب للنويري.

نَسَبُهُ وَصِفَتُهُ



نَسَبُهُ وَصِفَتُهُ

هو عبدالله (وهو عتيق) بن أبي قحافة (وهو عثمان)[1] بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ ابن عدنان.

وأمه أم الخير سلمى ابنة صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تَيم بن مرة. وهي ابنة عم أبيه[2].

ويلتقي نسبه بنسب النبي ﷺ عند مرة بن كعب وبين كل واحد منهما وبين مرة ستة آباء[3].

أبو قحافة (والده)

عثمان بن عامر وأمه آمنة بنت عبد العزي العدوية وقيل اسمها قَيلة[4].

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها[5] قالت: لما هاجر رسول

(١) القحافة: كل شيء قحفته من إناء أو غيره فأخذته بأجمعه، وعثمان فعلان من العثم وهو أن ينكسر العظم ثمَّ يجبر فلا يستوي ـ قاله ابن دريد في الاشتقاق.

(٢) هي ابنة عم أبي عثمان قال في الرياض النضرة: هذا ما عليه جمهور أهل النسب ومن شذ فقال بنت صخر بن عامر بن عمرو فجعلها ابنة عمه فليس بصحيح.

(٣) عن الرياض النضرة وهو في أسد الغابة والإصابة وغيرهما من كتب الرجال.

(٤) الإصابة.

(٥) مهاجرية جليلة كانت تسمى ذات النطاقين أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً وهي آخر المهاجرات =

الله ﷺ، وهاجر أبو بكر معه، احتمل أبو بكر ماله كله، خمسة آلاف درهم أو ستة خرج بها معه، فدخل علينا جدي أبو قحافة، وقد ذهب بصره، وقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله كما فجعكم بنفسه، قلت: كلا يا أبت، إنَّه قد ترك لنا خيراً كثيراً، وأخذت أحجاراً فوضعتها في كَوَّة البيت الذي كان أبي يضع فيه ماله، ثمَّ وضعت عليها ثوباً، ثمَّ أخذت بيده، وقلت: يا أبت ضع يدك على هذا المال، فوضع يده عليه، وقال: لا بأس إذا كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ[1].

إسلامه:

أسلم أبو قحافة يوم الفتح، وكان بصره مكفوفاً، فقال لابنة له والمسلمون بذي طوي[2] أي بنية! أظهري بي على أبي قُبيس[3] فأشرفت به عليه. فقال: يا بنيَّة ماذا ترين؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً، قال: تلك الخيل، قالت: وأرى رجلاً يسعى بين ذلك السواد مقبلاً ومدبراً، قال: ذاك يا بنية الوازع الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها، ثمَّ قالت: قد والله انتشر السواد، فقال: قد دفعت الخيل فأسرعي بي إلى بيتي. فانحطت به، فلما دخل رسول الله ﷺ مسجد مكة، أتاه أبو بكر رضي الله عنه بأبيه يقوده، فلما رآه النبي ﷺ قال: هلاَّ تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه؟ قال أبو بكر: هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه، ثمَّ مسح صدره، وقال: أسلم، فأسلم وكان

= وفاة توفيت بمكة سنة ٧٣ وقد بلغت مائة سنة لم تسقط لها سن ولم ينكر لها عقل، وموقفها يوم قتل ابنها عبدالله بن الزبير موقف لا يكاد التاريخ يعرف له شبيهاً، وفيه موضوع مائة قصيدة ومائة رواية، لو كان أدباؤنا يعرفون كيف يسجلون أمجادهم..

(١) الرياض النضرة: وقال في الإصابة: أخرجه ابن حبان في صحيحه.

(٢) مثلثه الطاء: وبنون: كان قرب مكة فصار الآن في وسطها ـ القاموس، قال ياقوت: والفتح أشــهر.

(٣) قال ياقوت: هو الجبل المشرف على مكة ونقل عن ابن هشام أنَّه سمي بأبي قيس بن شامخ رجل من جرهم (في خبر طويل). وقد ضربت العرب المثل بقدم أبي قبيس.

رأسه كالثّغامة[1] فقال رسول الله ﷺ: «غَيِّرُوا هذا من شعره»[2].

وفي رواية أنَّ أبا بكر رضي الله عنه قال: أما والذي بعثك بالحق لأنا كنت أشدَّ فرحاً بإسلام إبي طالب[3] مني بإسلامه أبتغى بذلك قرَّة عينك، قال: صدقت[4].

شفقته على ابنه:

وقال لابنه أبي بكر حين أعتق من أعتق: يا بني أراك تعتق رقاباً ضعافاً، فلو أنَّك إذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جُلداً، يمنعونك ويقومون دونك، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا أبت إني أريد ما عند الله فأنزل الله عزَّ وجل فيه قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾[5].

يوم قبض رسول الله ﷺ:

عن سعيد بن المسيّب[6] قال: لما قبض رسول الله ﷺ ارتجت مكّة فسمع بذلك أبو قحافة فقال: ما هذا؟ قالوا: قبض رسول الله ﷺ، قال: أمر جَلَل فمن ولي الأمر بعده؟ قالوا: ابنك قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف

---

(١) الثغام نبت واحدته ثغامة وهو أبيض كالثلج يشبه به الشيب.

(٢) رواه أحمد وأبو حاتم وابن إسحاق. ورواية مسلم: غيروا رأسه بشيء واجتنبوا السواد. والسواد مكروه إلا في الحرب، ولابن الجوزي رسالة في جوازه خالف فيها العلماء.

(٣) أبو طالب عم رسول الله ﷺ دافع عنه وأيَّده كني باسم أكبر ولده وهم طالب فعقيل فجعفر فعلي وكل كان أكبر ممن يليه بعشر سنين وأختهم أم هانيء أسلموا كلهم إلاَّ طالباً ومثله أبو طالب على الصحيح. وأظن أنه شقيق عبد الله والد رسول الله ﷺ، أمهما واحدة، وما يروى في إسلامه لم يثبت، ولو أسلم لورثه ابنه علي ولم يرثه عقيل.

(٤) قال في الرياض النضرة: خرجه صاحب فضائل أبي بكر وقال حديث حسن.

(٥) ابن عساكر.

(٦) سيد التابعين الإمام العلم مات سنة ٩٣ ومرسلاته صحاح لأنَّ لها مسانيد.

وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم، قال: لا مانع لما أعطي الله، ولا معطي لما منع[1].

في عمرة أبي بكر رضي الله عنه:

اعتمر أبو بكر رضي الله عنه في رجب سنة اثنتي عشرة، فدخل مكة ضحوة فأتى منزله، وأبو قحافة جالس على باب داره، معه فتيان أحداث يحدثهم، إلى أن قيل له: هذا ابنك، فنهض قائماً وعجل أبو بكر أن ينيخ راحلته، فنزل عنها وهي قائمة وجعل يقول: يا أبت لا تقم ثمَّ لاقاه فالتزمه وقبَّل بين عيني أبي قحافة وجعل الشيخ يبكي فرحاً بقدومه، وجاء وإلى مكة عَتَّاب بن أَسِيد[2] وجاء سهيل، وعكرمة والحارث بن هشام[3] فسلموا عليه بالخلافة فجعل أبو بكر رضي الله عنه يبكي حين يذكرون رسول الله ﷺ ثمَّ سلموا على أبي قحافة فقال أبو قحافة يا عتيق[4] هؤلاء الملأ فأحسِن صحبتهم. فقال: يا أبت لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، طُوِّقت عظيماً من الأمر، لا قوَّة لي به إلَّا بالله.

ثمَّ دخل فاغتسل وطاف، وسأل الناس حوائجهم، ورجع العصر إلى المدينة[5].

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) استعمله النبي ﷺ على مكة عام الفتح فحج بالناس سنة ثمان ولم يزل على مكة حتى مات يوم مات أبو بكر رضي الله عنهما.

(٣) أما سهيل فهو سهيل بن عمرو القرشي العامري خطيب قريش وأحد ساداتها في الجاهلية أسر يوم بدر وأسلم. مات بالطاعون في الشام سنة ١٨.
وأمَّا عكرمة فهو ابن أبي جهل أسلم بعد الفتح وكان من أشراف قريش وحسن إسلامه. استشهد يوم اليرموك بعد أن أبلي أحسن البلاء.
وأمَّا الحارث بن هشام فهو ابن عم خالد بن الوليد أسلم يوم الفتح وكان شريفاً كبير القدر استشهد يوم اليرموك وقيل مات في طاعون عمواس رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) في هذا حجة لمن قال إنَّ عتيقاً اسم لأبي بكر.

(٥) الطبقات لابن سعد.

وبلغ أبا بكر رضي الله عنه عن أبي سفيان[1] فأمر فأحضره وأقبل يصيح عليه وأبو سفيان يتملقه ويتذلل له، وأقبل أبو قحافة فسمع صياح أبي بكر فقال لقائده: على من يصيح ابني؟ قال: على أبي سفيان. فدنا من أبي بكر وقال: أعلى أَبي سفيان تصيح وترفع صوتك يا عتيق؟ لقد تعديت طورك، وجُزْت مقدارك، فتبسم أبو بكر رضي الله عنه ومن حضره من المهاجرين والأنصار، وقال له: يا أبت إنَّ الله رفع بالإسلام قوماً وأَذلَّ به آخرين[2].

عند موت أبي بكر رضي الله عنه:

وقال سعيد بن المسيب: ثمَّ ارتجت مكة برجة هي دون الأُولى، فقال أبو قحافة: ما هذا؟ قالوا: ابنك مات! قال: رزء جليل، فمن ولي الأمر بعده؟ قالوا: عمر. قال: صاحبه.

ارثه من أبي بكر رضي الله عنه:

ورث أبو قحافة السدس من مال أبي بكر، فكلم فيه فقال: قد رددته على ولد أبي بكر.

موته:

ولم يعش أبو قحافة بعد ابنه إلَّا ستة أشهر، ثمَّ مات في المحرَّم سنة ١٤ وهو ابن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى[3].

---

(١) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية من كبار أشراف قريش وقائدهم في أحد وصاحب عيرهم أسلم يوم الفتح وكان من المؤلفة قلوبهم شهد حنيناً وأعطى من غنائمها مائة بعير وأربعين أوقية وشهد الطائف واليرموك وأبلى فيه بلاء حسناً ذهبت فيه عينه. مات سنة ٣٢.

(٢) مروج الذهب للمسعودي.

(٣) الطبقات لابن سعد.

أم الخير (أمّه)

هي سلمى بنت صخر، أسلمت قديماً في دار الأرقم بن أبي الأرقم[1] وذلك أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ اجتمعوا وكانوا تسعة وثلاثين رجلاً، فألحَّ أبو بكر على رسول الله ﷺ بالظهور قال: يا أبا بكر إنا قليل، فلم يزل يلحُّ على رسول الله ﷺ حتى ظهر، وتفرَّق المسلمون في نواحي المسجد، وقام أبو بكر رضي الله عنه خطيباً، ورسول الله ﷺ جالس، فكان أوَّل خطيب دعا إلى الله عزَّ وجل وإلى رسوله[2]، وثار المشركون عليه وعلى المسلمين، فضربوهم في نواحي المسجد ضرباً شديداً، ودنا عتبة بن ربيعة[3] من أبي

---

(١) هو الأرقم بن عبد مناف بن أسد المخزومي. صحابي رفيع الشأن لم يسبقه إلى الإسلام غير ستة من الصحابة شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وتوفي بالمدينة سنة ٥٥ ـ أمَّا الدار فقد زارها ابن جبير محمد بن أحمد الرحالة الأندلسي في حدود سنة ٥٨٠ ووصفها في رحلته فقال: هي الدار التي كان منها منشأ الإسلام وهي بإزاء الصفا ويلاصقها بيت صغير عن يمين الداخل إليها كان مسكن بلال ـ ويدخل إليها على حلق كبير شبيه الفندق، قد أحدقت به بيوت للكراء من الحاج، والدار المكرمة دار صغيرة يجدها الداخل إلى الحلق المذكور عن يساره وهي مجددة البناء أنفق في بنائها ألف دينار، وعن يمين الداخل إليها باب يدخل إلى قبة كبيرة بديعة البناء فيها مقعد النبي ﷺ والصخرة التي كان إليها مستنده وعن يمينه موضع أبي بكر إلخ.

قلت: ومن هذه الدار ظهر النور الذي أضاء الدنيا، ومنها خرج المسلمون وهم دون الأربعين من الرجال، فما زالوا يجاهدون في سبيل الله، ويحملون من أذى المشركين ما لا تحمله الجبال الشم، حتى أيَّدهم الله بنصره، وكتب لدينه الغلبة والظفر فأصبح المسلمون اليوم أربعمائة مليون. . . . ولكن أربعين من أولئك خير من أربعمائة ألف مليون من هؤلاء، لأنهم كانوا مسلمين بقلوبهم وجوارحهم، وحركاتهم وسكناتهم، وسرهم وعلانيتهم، قلت: وقد كان في مكانها لما جئت مكة بناء جديد، ثم هدم لما فتحت هذه الشوارع حول الحرم.

(٢) كان الصديق أول من ألح على رسول الله ﷺ بالظهور وذلك قبل إسلام عمر رضي الله عنهما وإن كان الناس يظنون أنَّ عمر أوَّل من ظهر وأوَّل من ضرب المشركين وضربوه، لما اشتهر من سيرة عمر وما اختفى من سيرة أبي بكر. على أنَّك لا تزن عمر بواحد من الصحابة إلَّا رجح به غير أبي بكر. ولم يزل أبو بكر السباق إلى كل خير كما قال عمر وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

(٣) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، كان شريفاً من أشراف قريش وفارساً من فرسانها وكان أوَّل من برز يوم بدر فقتل كافراً هو وأخوه شيبة وابنه الوليد.

بكر رضي الله عنه، وجعل يضربه بنعلين مخصوفين حتى لم يعد يعرف أنفه من وجهه، وجاءت بنو تيم تتعادى، فأجلوا المشركين عن أبي بكر، وحملوه في ثوب حتى أدخلوه بيته، لا يشكُّون في موته، ورجع بنو تيم فدخلوا المسجد، فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة.

ورجعوا إلى أبي بكر، فجعلوا يكلمونه، حتى أجابهم آخر النهار، فكان أوَّل ما قاله:

ما فعل رسول الله...؟[١].

فنالوه بألسنتهم وعذلوه، ثمَّ قالوا لأم الخير بنت صخر (أمه): انظري أن تطعميه شيئاً، أو تسقيه. فلما خلت به وألحت جعل يقول: ما فعل رسول الله...؟ قالت: والله ما أعلم بصاحبك، قال: فاذهبي إلى أم جميل بنت الخطاب[٢] فاسأليها عنه.

فخرجت حتى جاءت إلى أم جميل، فقالت: إنَّ أبا بكر يسألك عن محمد بن عبدالله. قالت: ما أعرف أبا بكر ولا محمد بن عبدالله وإن شئت ذهبت معك إليه، قالت: نعم.

فمضت معها حتى وجدت أبا بكر صريعاً دَنفاً، فدنت منه أم جميل

---

(١) لم يذكر ألمه المرمض، ولم يذكر ما ناله من بلاء، ولم يأسف على ما فاته من احترام قريش إياه، وإجلالهم قدره. فإنَّ ذلك كله لم يكن يعنيه، ولم يخطر له على بال، ولم يكن يعنيه إلاَّ رسول الله ﷺ، فهو يسأل ملحفاً: ما فعل رسول الله؟ وهو يخشى أن تكون قد أصابته أذية، أو حاق به مكروه.

هذا لعمري هو الإخلاص، الذي ليس بعده إخلاص، وهذا هو الإيمان الذي لا تزلزله الحوادث، ولا يلعب به الطمع، وما كان أبو بكر يبتغي من رسول الله ﷺ مالاً، فهو رب أربعين ألف درهم، ولم يكن يطمع بالجاه والمجد، فقد كان سيداً في قريش، وما كان يريد شيئاً من الدنيا، وما هو إلاَّ الإيمان العجيب، والسمو بالنفس عن الرهبة والرغبة والعواطف والميول، والفناء في الحق ـ وهو أعلى مراتب العظمة والبطولة.

(٢) أم جميل وقيل فاطمة بنت الخطاب القرشية العدوية أخت عمر وزوج سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة رضي الله عنهم.

وأعلنت بالصياح، وقالت: إنَّ قوماً نالوا منك لأهل فسق، وإني لأرجو أن ينتقم الله لك.

قال: ما فعل رسول الله...؟

قالت: هذه أمك تسمع! قال: لا عين عليك منها.

قالت: سالم صالح.

قال: أنَّى هو؟.

قالت: في دار الأرقم قال: فإنَّ لله عليَّ أليَّةً أن لا أذوق طعاماً ولا شراباً، أو آتيَ رسول الله. فأمهلتاه حتى إذا هدأت الرِّجل، وسكن الناس، خرجتا به يتكيء عليهما، حتى دخلتا به على رسول الله ﷺ، فانكب عليه فقبَّله، وانكب عليه المسلمون، ورقَّ له رسول الله ﷺ رقَّة شديدة. فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي ليس بي إلاَّ ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برَّة بوالديها وأنت مبارك فادعها إلى الله، وادع الله لها، عسى أن يستنقذها بك من النار، فدعا لها فأسلمت[١].

ورثت أم الخير أبا بكر وماتت قبل أبي قحافة[٢].

صفة أبي بكر

قيل لعائشة رضي الله عنها: صفي لنا أبا بكر، فقالت: كان أبيض نحيفاً خفيف العارضين، أَجَنْأ (أي منحنياً) لا يستمسك إزاره، يسترخي عن حقويه (أي كشحيه والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف) معروق

---

(١) رحم الله أبا بكر لم ينسَ وهو في هذا البلاء أن يدعو لهذا المبدأ الذي اعتنقه، ويقوي هذا الدين الذي آمن به. ويخلص أمة من ظلمة الكفر، وقد جزاه الله على ذلك خيراً، فاجتمع له أبوان مسلمان وخرج من بيته أربعة بعضهم أبناء بعض لكل منهم صحبة لرسول الله ﷺ: أبوه، وهو، وولده، وولد ولده، ولم يكن ذلك لغيره من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) الإصابة.

الوجه (أي قليل اللحم) غائر العينين، ناتىء الجبهة، عاري الأشاجع (وهي أصول الأصابع)[1].

وعن قيس بن أبي حازم[2] قال: قدمت على أبي بكر في مرضه الذي مات فيه، فرأيته رجلاً خفيف اللحم[3].

وكان أفرع (كثير الشعر)، فقيل لعمر: الفُرعان خير أم الصلعان؟ فقال: بل الفرعان، وكان عمر أصلع وأبو بكر أفرع، فوقع في نفسه أنَّه يُسأل عنه وعن أبي بكر رضي الله عنهما[4].

وكان يخضب بالحناء والكتم (وهو نبت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر)، وقد ذكر عند عائشة رضي الله عنها رجل يخضب بالحناء فقالت: إن يخضب فقد خضب أبو بكر قبله بالحناء[5].

قال رسول الله ﷺ: غيروا ولا تشبهوا باليهود، فصبغ أبو بكر وصبغ عمر فاشتد صبغه وصفَّر عثمان[6].

---

(١) الرياض النضرة.
(٢) البجلي الكوفي من أعيان التابعين، ثقة مات سنة ٩٨.
(٣) الرياض النضرة.
(٤) الكامل للمبرد.
(٥) طبقات ابن سعد.
(٦) روى الحديث أحمد والنسائي وابن سعد وأبو نعيم، قال في الجامع الكبير: حديث حسن صحيح.



خَبَرُهُ قَبْلَ الإِسْلَام

خبره قبل الإسلام

كان أبو بكر رضي الله عنه أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان فيها من خير وشر، وكان رجلاً تاجراً ذا خُلق ومعروف، وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه، لغير واحد من الأمر: لعلمه وتجارته وحسن مجالسته[1] وكان مشيراً لهم ومحبباً إليهم، فلما جاء الإسلام آثره على ما سواه ودخل فيه أكمل دخول[2].

وكان خِدناً للنبي ﷺ وصفيّاً له في الجاهلية[3] وكان معه حين ذهب مع عمه إلى الشام واجتمع ببحيرا الراهب[4] وكان النبي ﷺ في بدء الوحي إذا برز سمع من يناديه: يا محمد! فإذا سمع الصوت انطلق هارباً، فأسرَّ ذلك إلى أبي بكر وكان نديماً له في الجاهلية[5].

وقال ﷺ لخديجة: إني إذا خلوت وحدي سمعت نداء، وقد والله خشيت، فقالت: معاذ الله ما كان الله ليفعل بك فوالله إنك لتؤدي الأمانة وتصل الرحم، وتصدق الحديث، فلما دخل أبو بكر ولم يكن رسول الله ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام.
(٢) النووي في تهذيب الأسماء.
(٣) المحب الطبري عن أم سلمة.
(٤) مروج الذهب وتاريخ الطبري.
(٥) المحب الطبري عن أم سلمة.

هناك، ذكرت له حديثه وقالت: يا عتيق! اذهب مع محمد إلى ورقة[١].

داره:

كانت داره في مكة في بني جُمَح[٢].

لم يشرب خمراً:

قالت عائشة رضي الله عنها: حرم أبو بكر الخمر في الجاهلية فلم يشربها في جاهلية ولا إسلام، وذلك أنَّه مر برجل سكران يضع يده في العَذِرة ويدنيها من فيه، فإذا وجد ريحها صدف عنها. فحرمها أبو بكر على نفسه[٣].

تجارته:

كان في الجاهلية تاجراً. ودخل بُصرى من أرض الشام[٤] وكان مع أبي طالب في قافلته إلى الشام[٥]. وكان رأس ماله أربعين ألف درهم، فأنفقه كله في نصرة الإسلام فقيل له: ماذا أبقيت لعيالك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

---

(١) الرياض النضرة، والأسماء والكنى للدولابي، والبيهقي في الدلائل.

(٢) من خبر عتق بلال في الرياض النضرة، وأبو بكر تيمي ولكنه كان يقيم في حي الجمحيين.

(٣) رواه أبو نعيم وله طرق أخرى انظر تاريخ السيوطي ومنتخب كنز العمال. وأنت ترى (إن صحّت الرواية) كيف توصل أبو بكر بصفاء طبعه، وحدة فؤاده، إلى ضرر الخمر فحرمها على نفسه، وكيف أن أوامر الإسلام ونواهبه لا تخالف العقل المستقيم، والذوق القويم، فإذا كان أبو بكر قد حرَّمها على نفسه، ولم ينزل بها وحي، ولم تمنعها شريعة، والناس في جاهلية، فكيف يحلها اليوم لأنفسهم بعض المسلمين وبين أيديهم كتاب الله وقد تمَّ الدين وبان الحق؟

(٤) ابن عساكر.

(٥) المسعودي وابن جرير الطبري.

مروءته:

قال الزبير بن بكار[1]: إنَّ رجلاً دعا أبا بكر الصديق في الجاهلية إلى حاجة له، استصحبه أن يمرَّ في طريق غير التي يمرُّ منها، فقال أين تذهب؟ هذه الطريق! قال: إنَّ فيها أُناساً نستحي منهم أن نمرّ عليهم، فقال أبو بكر رضي الله عنه: تدعوني إلى طريق تستحي منها؟ ما أنا بالذي أصاحبك[2].

هو والأصنام:

قال أبو بكر رضي الله عنه في مجمع من أصحاب رسول الله ﷺ: ما سجدت لصنم قط، وذلك أنّي لما ناهزت الحلم أخذني أبو قُحافة بيدي فانطلق بي إلى مُخدع فيه الأصنام، فقال لي: هذه آلهتك الشمَّ العوالي، وخلّاني وذهب، فدنوت من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني فلم يجبني، فقلت: إني عار فاكسني فلم يجبني. فألقيت عليه صخرة فخرَّ لوجهه[3].

---

(١) ابن عبدالله بن مصعب بن ثابت بن عبدالله بن الزبير صاحب كتاب النسب وثقه الدارقطني والخطيب مات سنة ٢٥٦.

(٢) منتخب كنز العمال.

(٣) أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر.



إِسْلَامُهُ وَإِسْلَامُ نَاسٍ عَلَى يَدَيْهِ



إِسْلَامُهُ وَإِسْلَامُ نَاسٍ عَلَى يَدَيْهِ

أول سماعه بالدين:

قال أبو بكر رضي الله عنه: كنت جالساً بفناء الكعبة، وكان زيد بن عمرو بن نُفيل[1] قاعداً، فمرَّ به أُمية بن أَبي الصلت[2] فقال: كيف أصبحت يا باغي الخير؟ قال: بخير. قال: هل وجدت؟ قال: لا ولم آل من طلب. فقال:

كـلّ ديـن يـوم الـقـيـامـة إلاَّ ما قـضـى الله والـحـنـيـفـةُ بـورُ

أما إن هذا الذي ينتظر منا أو منكم أو من أهل فلسطين...

قال أبو بكر رضي الله عنه: ولم أكن سمعت قبل ذلك بنبيٍّ يبعث أو ينتظر، فخرجت أُريد ورقة بن نوفل[3] وكان كثير النظر في السماء. كثير همهمة الصدر، فاستوقفته ثمَّ قصصت عليه الحديث.

---

(١) ابن عبد العزي القرشي العدوي كان على دين إبراهيم لا يأكل الميتة والدم ولا يذبح للأصنام، مات قبل البعثة بخمس سنين.

(٢) أمية بن عبدالله أبي الصلت الثقفي شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف قدم دمشق قبل الإسلام وكان مطلعاً على الكتب القديمة نبذ عبادة الأوثان ولبس المسوح وحرم على نفسه الخمر، فلما جاء الله بالإسلام حسد رسول الله ﷺ فلم يسلم، ومات في السنة الخامسة للهجرة.

(٣) ابن أسد بن عبد العزي القرشي اعتزل الأوثان قبل الإسلام وامتنع من أكل ذبائحها وقرأ كتب الأديان أدرك أوائل عصر النبوة ولم يدرك الدعوة.

فقال: نعم يابن أخي، ولكن أبى أهل الكتاب والعلماء، إلَّا أنَّ هذا النبيّ المنتظر من أوسط العرب نسباً، ولي علم بالنسب، وقومك أوسط العرب نسباً. قلت: يا عمّ! وما يقول النبي؟ قال: يقول ما قيل له، إلَّا أنَّه لا ظلم ولا تظالم[1].

في اليمن:

قال أبو بكر رضي الله عنه، خرجت أُريد اليمن قبل أن يبعث النبي ﷺ، فنزلت على شيخ من الأزْد عالم، قد قرأ الكتب، وعلم علماً كثيراً. فلما رآني، قال: أحِرْميّ أنت[2]؟ قلت: نعم. أنا من أهل الحَرَم. قال: وقرشيّ؟ قلت: نعم أنا من قريش. قال: وتيميّ؟ قلت: نعم أنا عبدالله بن عثمان من تَيم بن مرَّة (فأخبره أنَّه سيكون صاحباً لنبيّ يبعث في الحرم، وذلك في خبر طويل)[3].

في الشام:

قال ربيعة بن كعب[4]: كان إسلام أبي بكر شبيهاً بالوحي من السماء، وذلك أنَّه كان تاجراً في الشام فرأى رؤيا. فقصَّها على بحيرا الراهب. فقال له: من أين أنت؟ قال: من مكة. قال: من أيِّها؟ قال: من قريش، قال: فأيّ شيء أنت؟ قال: تاجر، قال: إن صدق الله رؤياك، فإنَّه يبعث نبيّ من قومك، تكون وزيره في حياته، وخليفته بعد موته، فأسرّ ذلك أبو بكر في نفسه[5].

---

(١) أسد الغابة وتاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) هكذا ترد النسبة إلى الحرم على خلاف القياس قال الشاعر:

لا تأوين لحرمي مررت به   يوماً ولو ألقى الحرمي في النار

ويروى لحزمي.

(٣) أسد الغابة وتهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٤) هو ربيعة بن كعب الأسلمي صحابي من أهل الصفة توفي سنة ٦٣.

(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر والرياض النضرة. وهذه الأخبار كلها غير صحيحة، بل الصحيح أن الرسول ﷺ نفسه لم يكن يعلم أنه النبي المنتظر.

إسلامه:

كان أبو بكر رضي الله عنه خدناً للنبي ﷺ وصديقاً له، فلما بعث انطلق رجال من قريش إلى أبي بكر، فقالوا: يا أبا بكر، إنَّ صاحبك.. قال: وما شأنه؟ قالوا: هو ذلك في المسجد يدعو إلى عبادة إلّه واحد. ويزعم أنَّه نبي! قال أبو بكر رضي الله عنه: وقال ذاك؟ قالوا: نعم. فأقبل أبو بكر إلى النبي ﷺ، فطرق عليه الباب فاستخرجه، فلما ظهر له قال: يا أبا القاسم! ما الذي بلغني عنك؟ قال: وما بلغك عني يا أبا بكر؟ قال: بلغني أنَّك تدعو إلى توحيد الله، وزعمت أنَّك رسول الله قال: نعم يا أبا بكر، إنَّ ربي جعلني بشيراً ونذيراً، وجعلني دعوة إبـراهيم، وأرسلني إلى الناس جميعاً، قال أبو بكر رضي الله عنه، والله ما جرَّبت عليك كذباً، وإنَّك لخليق بالرسالة لعظم أمانتك، وصلتك لرحمك. وحسن فعالك، مدّ يدك فإني مبايعك.

ويروى أنَّه قال له: يا محمد ما الدليل على ما تدَّعي؟ قال: الرؤيا التي رأيت في الشام، فعانقه وقبَّل بين عينيه، وقال: أشهد أن لا إلّه إلَّا الله، وأشهد أنَّك رسول الله[١].

أوَّل من أسلم:

قال رسول الله ﷺ: ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلَّا كانت منه عنده كبوة ونظر وتردُّد، إلَّا ما كان من أبي بكر، ماعكم (تلبث) عنه حين ذكرته له، وما تردَّد فيه[٢].

وكان أول ذكر آمن بعد خديجة، صدّيق الأمة، وأسبقها إلى الإسلام أبو بكر[٣].

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) سيرة ابن هشام.

(٣) الزرقاني في شرح المواهب. وقد نقل عن جماعة أنَّ أبا بكر أوَّل من آمن. ونقل مثله ابن السمان في الموافقة، والمحب الطبري في الرياض، وقد اكتفينا بهذا التنبيه عن سرد الروايات كلها.

وسأل الشعبي[1] ابن عبَّاس[2]: أيّ الناس كان أوَّل إسلاماً؟ قال أبو بكر: أما سمعت قول حسان بن ثابت[3].

إذا تذكرت شجواً من أخي ثقةٍ فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خيرَ البريَّة أتقاها وأعدلها بعد النبيّ وأوفاها بما حملا
والثانيَ التاليَ المحمود مشهده وأول الناس منهم صدَّق الرسلا
وثانيَ اثنين في الغار المنيف وقد طاف العدوّ بهم إذ صعَّد الجبلا[4]

وروى أنَّ النبي ﷺ، لما سمع هذه الأبيات ضحك حتى بدت نواجذه، ثمَّ قال: صدقت يا حسان، هو كما قلت[5].

وقيل لأبي بكر رضي الله عنه: أخبرنا عن نفسك، هل رأيت شيئاً قط قبل الإسلام من دلائل النبوَّة؟ قال: نعم، وهل بقي أحد من قريش أو غير قريش لم يجعل لمحمد في نبوَّته حجة عليه؟ فإنَّ الله هدى به من شاء، وأضلَّ به من شاء. ثمَّ قال:

بينا أنا قاعد في فيء شجرة في الجاهلية، إذ تدلى عليَّ غصن من أغصانها، حتى صار على رأسي، فجعلت أنظر إليه، وأقول: ما هذا؟ فسمعت صوتاً من الشجرة يقول: هذا النبي يخرج فقهِ وآوه تكن من أسعد الناس به، فقلت: بيِّنه، ما اسم هذا النبيّ؟ قال: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب الهاشمي (قال أبو بكر) قلت صاحبي وحبيبي وأليفي، ثمَّ سمعت

---

(1) هو عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الإمام العلم توفي سنة ١٠٣ وهو علم زمانه.

(2) عبدالله بن عباس بن عبد المطلب حبر الأمة وابن عم النبي ﷺ لازمه وروى عنه وله في الصحيحين ١٦٦٠ حديثاً وكان أعلم الناس بالحلال والحرام والعربية والأنساب والشعر والتاريخ وكان آية في الذكاء والحفظ ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ومات سنة ٦٨ بعد أن كفَّ بصره رضي الله عنه.

(3) الخبر في الرياض النضرة، وهو حسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ المؤيد بروح القدس توفي سنة ٥٤ وقد عاش ١٢٠ سنة، وكذا عاش أبوه ثابت وجده المنذر وجد أبيه حرام.

(4) الرياض النضرة ورواه في المواهب عن الطبراني في معجمه الكبير.

(5) الرياض النضرة.

منها بعد ذلك صوتاً، يابْن أبي قحافة جدّ وشمّر، قد جاء الوحي وربّ موسى لا يسبقك إلى الإسلام أحد... (وذكر بعد ذلك في خبر طويـل كيف آمن)[١].

وخرَّج في الرياض النضرة (في حديث طويل): أنَّ أبا بكر قال لعلي رضي الله عنهما: أنا أسلمت قبلك، فلم ينكر ذلك عليٌّ.

وعن أبي سعيد الخدري[٢]، قال: لما بويع أبو بكر رضي الله عنه رأى من الناس انقباضاً. قال: يا أيها الناس: ألست أحقّ الناس بها؟ (يعني الخلافة)، ألست أوَّل من أسلم؟[٣].

وفي صحيح مسلم[٤] (في قصة طويلة): أنَّ عمرو بن عَبَسة[٥] أتى النبيّ ﷺ بمكة، فقال: من معك في هذا الأمر؟ قال: حرّ وعبد... (وليس معه إلَّا أبو بكر وبلال).

وذكر ابن سعد، أن رجلاً قال لبلال رضي الله عنه: من سبق؟ قال: محمد، قال: من صلَّى؟[٦] قال: أبو بكر. قال الرجل: إنما أعني في الخيل، قال بلال: وأنا إنما أعني في الخير.

وكان عليّ رضي الله عنه يقول إذا ذكر عنده أبو بكر: السبَّاق. والذي

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر، وهو من الأخبار الموضوعة.

(٢) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري صحابي كان من ملازمي النبي ﷺ غزا اثنتي عشرة غزوة وله في الصحيحين ١١٧٠ حديثاً توفي في المدينة سنة ٧٤.

(٣) رواه الترمذي وابن عساكر ورواه ابن حبان في صحيحه ـ قاله السيوطي.

(٤) هو مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري الحافظ الإمام العلم صاحب الصحيح أشهر من أن يعرف توفي يوم الخميس ٢٥ رجب سنة ٢٦١.

(٥) هو عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي أسلم قديماً في أول الإسلام وكان قبل أن يسلم اعتزل عبادة الأوثان وكان يقول: لقد رأيتني وإني لربع الإسلام قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: وأظنه مات في خلافة عثمان فإنني لم أر له ذكراً في الفتنة ولا في خلافة معاوية.

(٦) المصلي هو الذي يأتي ثانياً في الخيل والأول المجلي والثالث المسلي والعاشر الفسكل.

نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير قطّ، إلاَّ سبقنا إليه أبو بكر[1] وذكر النووي في التهذيب أنَّ الثعلبي ادَّعى الإجماع على أن أبا بكر أوَّل الناس إسلاماً[2].

* * *

والأولى ما قاله المحبّ الطبري: وهو التوفيق بين هذه الروايات وغيرها، فيقال: إنَّ أوَّل من أسلم مطلقاً خديجة بنت خويلد، وأوَّل ذكر أسلم عليٌّ ابن أبي طالب، وهو صبي لم يبلغ وكان مستخفياً بإسلامه، وأوَّل رجل عربيّ بالغ أسلم وأظهر إسلامه أبو بكر، وأوَّل من أسلم من الموالي زيد بن حارثة[3] وهذا متفق عليه ولا خلاف فيه، وعليه يحمل قول عليّ رضي الله عنه: أوَّل من أسلم من الرجال أبو بكر (أي الرجال البالغين).

يؤيد ذلك ما خرَّجه الترمذي من أنَّ أوَّل من أسلم من الرجال أبو بكر وأسلم عليّ وهو ابن ثمان سنين، وأوَّل من أسلم من النساء خديجة. قال ابن الصلاح[4]: إنَّ ذلك هو الأورع. قال السيوطي: وأوَّل من ذكر هذا الجمع الإمام أبو حنيفة رحمه الله[5].

وجاء رجل إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقال: يا أمير

---

(١) ابن السمان في الموافقة.

(٢) هذا ما قاله النووي في التهذيب، وفي شرح المواهب أنَّه إنَّما ادَّعى اتفاق العلماء على أنَّ أوَّل من أسلم خديجة وأنَّ اختلافهم إنَّما هو فيمن أسلم بعدها. والثعلبي أو الثعالبي هو أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو إسحاق النيسابوري. قال الذهبي: كان حافظاً رأساً في التفسير والعربية متين الديانة والزهادة مات سنة ٤٢٧.

(٣) زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي حب رسول الله ﷺ ومولاه، شهد بدراً وقتل بمؤتة أميراً سنة ثمان وهو الذي ذكر باسمه في القرآن.

(٤) نقله في المواهب وابن الصلاح هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن الصلاح الكردي الإمام الحافظ المتبحر في الأصول والفروع والتفسير والحديث مات سنة ٦٤٣.

(٥) هو النعمان بن ثابت التيمي الكوفي الإمام الأعظم أراده ابن هبيرة على القضاء فامتنع ورعاً وأراده المنصور بعد ذلك على قضـاء ببغداد فأبى فحلف عليه فحلف أبو حنيفة أنَّه لا يفعل فحبسه ثمَّ أطلقه. كان جواداً حسن المنطق قوي الحجة ومناقبه كثيرة أفردت بالتأليف توفي رحمه الله ببغداد سنة ١٥٠.

المؤمنين، كيف سبق المهاجرون والأنصار إلى بيعة أبي بكر، وأنت أسبق منه سابقة؟ قال علي: سبقني أبو بكر إلى أربع لم أوتهن، ولم أعتض منهن بشيء: سبقني إلى إفشاء الإسلام، وقِدَم الهجرة، ومصاحبة النبيّ في الغار، وإقام الصلاة، وأنا يومئذٍ بالشعب، يظهر الإسلام وأخفيه، وتستحقرني قريش وتستوفيه. والله لو أنَّ أبا بكر زال عن مزيّنه، ما بلغ الدين العَبْرين[1]، ولكان الناس كرَعةً ككرَعة طالوت[2]، ويلك إنَّ الله ذم الناس، ومدح أبا بكر، فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوه فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فرحمة الله على أبي بكر[3].

وسئل محمد بن الحنفية[4] أكان أبو بكر أوَّل القوم إسلاماً؟ قال: لا، قيل: فبأي شيء علا وسبق حتى ما يذكر معه غيره؟ قال: بأنَّه أسلم يوم أسلم وكان خيرهم إسلاماً، ولم يزل على ذلك حتى توفاه الله تعالى[5].

من أسلم على يديه

لما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله. وكان رجال قريش يأتونه ويألفونه، فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به ممن يغشاه من قومه ويجلس إليه، فأسلم بدعائه فيما بلغني - يقول ابن إسحاق -

---

(١) أي الجانبين.

(٢) كرعة جمع كارع كركبة جمع راكب. والكرع: الشرب بالفم دون إناء قال المحب: ولعلَّه أراد والله أعلم أنَّه لولا أبو بكر لخالف الناس الدين كما خالفه كرعة طالوت بالشرب من النهر الذي نهوا عن الشرب منه.

(٣) الرياض النضرة والموافقة.

(٤) هو محمد بن علي بن أبي طالب أمه خولة بنت جعفر الحنفية نسب إليها قال إبراهيم بن الجنيد: لا نعلم أحداً أسند عن علي رضي الله عنه أكثر ولا أصح مما أسند محمد بن الحنفية مات سنة ٨٠.

(٥) الموافقة.

عثمان بن عفان[١] والزبير بن العوَّام[٢]، وعبد الرحمن بن عوف[٣] وسعد بن أبي وَقَّاص[٤] وطلحة بن عبيدالله[٥] فكان هؤلاء النفر الثمانية (يعني عليّاً وزيداً وأبا بكر ومن أسلم على يدي أبي بكر) هم الذين سبقوا إلى الإسلام وصدَّقوا رسول الله ﷺ[٦].

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّ أبا بكر لما أسلم راح بعثمان وطلحة والزبير وسعد فأسلموا، ثمَّ جاء الغد بعثمان بن مظعون[٧] وأبي عبيدة[٨] وعبد

---

(١) أمير المؤمنين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية ثالث الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين وأحد الرجال الذين اعتزَّ بهم الإسلام. ولد بمكة قبل الهجرة بـ ٤٧ سنة وكان غنياً شريفاً في الجاهلية وفي الإسلام، جهَّز نصف جيش العسرة من ماله، وفتحت أيام خلافته أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرس، وأتم جمع القرآن، ووسع الحرمين، توفي رضي الله عنه شهيداً صبيحة عيد الأضحى سنة ٣٥.

(٢) الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي الصحابي الشجاع ابن عمة النبي ﷺ صفية بنت عبد المطلب أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى وأوَّل من سل سيفه في سبيل الله. كان موسراً كثير المال خلف أملاكاً بيعت بنحو ٤٠ مليون درهم وكان طويلاً جداً قتله ابن جرموز غيلة يوم الجمل سنة ٣٦ وله نيف وستون عاماً.

(٣) عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري القرشي من أكابر الصحابة وأحد العشرة جواد شجاع. شهد بدراً والمشاهد كلها. كان تاجراً كبير الثروة تصدق بقافلة فيها ٧٠٠ راحلة تحمل الحنطة والدقيق والطعام وأوصى بألف فرس و ٥٠٠٠٠ دينار في سبيل الله. له في الصحيحين ٦٥ حديثاً توفي سنة ٣٢.

(٤) سعد بن أبي وقاص مالك بن وهيب بن عبد مناف الزهري القرشي فاتح العراق وأول من رمي في سبيل الله بسهم وأحد العشرة. وقد شهد بدراً، وهو الذي بني الكوفة وظلَّ والياً عليها مدة عمر وأقره عثمان زمناً ثمَّ عزله، فعاد إلى المدينة فأقام قليلاً ثمَّ فقد بصره فمات في العقيق على عشرة أميال من المدينة سنة ٥٥ وحمل إليها. وله في الصحيحين ٢٧١ حديثاً.

(٥) طلحة بن عبيدالله بن عثمان التيمي القرشي كان يسمى طلحة الجواد وهو أحد العشرة شهد أحداً وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت وشهد الخندق وسائر المشاهد وكانت له تجارة مع العراق وافرة وكان جواداً كريماً. قتل يوم الجمل سنة ٣٦ وهو بجانب عائشة. وله في الصحيحين ٣٨ حديثاً.

(٦) ابن هشام.

(٧) عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجمحي كان من حكماء العرب في الجاهلية يحرم الخمر. هاجر إلى الحبشة مرتين وشهد بدراً ولما مات قبله النبي ﷺ ميتاً حتى رئيت دموعه تسيل على خد عثمان مات رضي الله عنه في السنة الثانية.

(٨) عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال الفهري القرشي الأمير القائد فاتح الشام. أحد العشرة، =

الرحمن، وأبي سلمة[1] والأرقم فأسلموا.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كنت بفناء الكعبة، فقيل: أنكح محمد عتبة ابنته رقيَّة، فدخلتني حسرة على ألاَّ أكون سبقت إليها، فانصرفت إلى منزلي فوجدت خالتي سعدى بنت كريز[2] فأخبرتني أنَّ الله أرسل محمداً (وذكر حثّها إياه على اتباعه)، وكان لي مجلس من الصدّيق فأصبته فيه وحده، فسألني عن تفكيري، فأخبرته بما سمعت من خالتي (وذكر حثّ أبي بكر إياه على الإسلام) فما كان أُسرعِ من أن مرَّ ﷺ، ومعه عليّ يحمل له ثوباً، فقام أبو بكر فسارّه، فقعد ﷺ ثمَّ أقبل عليَّ فقال: أَجِب الله إلى جنَّته فإني رسول الله إليك وإلى جميع خلقه. فوالله ما تمالكت نفسي حين سمعته أن أُسلمت، ثمَّ لم ألبث أن تزوجت رقيَّة[3].

أمَّا الزبير بن العوَّام بن خويلد فقد أسلم وهو ابن اثنتي عشرة سنة، فكان عمُّه يعلِّقه في حصير ويدخن عليه بالنار، ويقول: ارجع. فيقول: لا أكفر أبداً وأسلم سعد بن أبي وقاص بعد ستَّة فكان سابعهم. وكان ابن تسع عشرة سنة[4].

وأما طلحة بن عبيدالله، فقال:

= ولد بمكة وشهد المشاهد كلها توفي بطاعون عمواس سنة ١٨ ودفن في غور بيسان وانقرض عقبة. وله في الصحيحين ١٤ حديثاً.

(١) هو عبدالله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي من السابقين الأولين إلى الإسلام وكان أخا النبي ﷺ من الرضاعة وابن عمته برة وزوج أم سلمة التي أصبحت بعده أم المؤمنين وأوّل من هاجر بظعينة إلى الحبشة ثمَّ إلى المدينة توفي رضي الله عنه سنة أربع بعد منصرفه من أحد.

(٢) صحابية عبشمية (من عبد شمس).

(٣) وكان من خبر رقية ما رواه الطبري في تاريخه من أنَّ قريشاً مشت إلى عتبة بن أبي لهب فقالوا له: طلق ابنة محمد، ونحن نزوجك أي امرأة من قريش شئت، قال: إن زوجتموني ابنة أبان بن سعيد بن العاص أو ابنة سعيد بن العاص فارقتها، فزوجوه ابنة سعيد بـن العاص وفارقها. ولم يكن عدو الله دخل بها، فأخرجها الله من يده كرامة لها، وهواناً له، فخلف عليها عثمان رضي الله عنه.

(٤) شرح المواهب للزرقاني.

حضرت سوق بصرى، فإذا راهب في صومعة يقول: سلوا أهل هذا الموسم، أفيهم أحد من أهل الحرم؟ قلت: نعم أنا. فقال: هل ظهر أحمد؟ قلت: من أحمد؟ قال: ابن عبدالله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، فإياك أن تُسبق إليه، فوقع في قلبي، فخرجت سريعاً حتى قدمت مكة، فقلت: هل من حدث؟ قالوا: نعم. الأمين تنبأ[1].

ثمَّ إنَّ قريشاً قالت: قيِّضوا لأبي بكر رجلًا يأخذه. فقيَّضوا له طلحة بن عبيدالله. فأتاه وهو في القوم. فقال: يا أبا بكر، قم إليَّ. قال: إلامَ تدعوني؟ قال: أدعوك إلى عبادة اللات والعزى. قال أبو بكر: من اللات والعزى؟ قال: بنات الله! قال فمن أمهنّ؟

فسكت طلحة، وقال لأصحابه: أجيبوا صاحبكم. فسكتوا. فقال طلحة: قم يا أبا بكر. فإني أشهد أن لا إلَه إلَّا الله وأنَّ محمداً رسول الله.

فأخذ أبو بكر بيده. فأتى به النبي ﷺ فأسلم[2].

قال محمد بن عبدالله[3]:

كان إسلام خالد بن سعيد بن العاص قديماً[4]، وكان أول إخوته أسلم، وكان بدء إسلامه أنَّه رأى أنَّه واقف على شفير النار، فذكر من سعتها ما الله أعلم ورأى كأنَّ أباه يدفعه فيها، ورأى رسول الله ﷺ آخذاً بحقويه لا

---

(١) هذه رواية ابن سعد، وقد قطعناها لنكملها برواية عيون الأخبار، إذ كأنَّها تتمة لها، وهي من الأخبار التي لم يقم على صحة روايتها دليل.

(٢) عيون الأخبار.

(٣) ابن عمرو بن عثمان بن عفان يعرف بالديباج ويعرف أبوه بالمطرف لحسنهما، قتله المنصور سنة ١٤٥ وكان جواداً ممدحاً وفيه يقول أبو وجزة السعدي:

وجدنا المحض الأبيض من قريش　　فتى بين الخليفة والرسول

(٤) خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس أوذي في سبيل الله وهاجر إلى الحبشة وعاد فحضر فتح مكة وتبوك وكان يكتب للنبي ﷺ ثمَّ بعثه عاملاً على اليمن ثمَّ دعاه أبو بكر لما استخلف ووجهه لحرب الفتح في الشام فحضر أجنادين وقتل في وقعة مرج الصفر قرب دمشق سنة ١٤.

يقع، ففزع من نومه، وقال: أحلف بالله، إنَّ هذه لرؤيا حق.

فذهب فلقي أبا بكر، فذكر له ذلك، فقال له أبو بكر: أُريد بك خير، هذا رسول الله ﷺ فاتبعه، والإسلام يحجزك أن تدخل النار، وأبوك واقع فيها، فلقي النبي ﷺ وهو بأجياد[1]، فقال: يا محمد، إلامَ تدعو؟ قال: إلى الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وتخلع ما أنت فيه، فأسلم.

وكان أبو بكر رضي الله عنه قد ابتنى بفناء داره مسجداً، يصلي فيه ويقرأ القرآن، فيجتمع عليه الناس ويستمعون إلى قراءته وصلاته وبكائه، فكان ذلك سبباً في إسلام كثيرين، وذلك مشهور من خبره[2].

وقد قال بعض من تقدم من الشعراء في صدر الإسلام، يذكرهم (أي النفر الذين سبقوا إلى الإسلام):

فيا سائلي عن خيار العبا ... دِ صادفت ذا العلم والخبره
خيار العباد جميعاً قريش ... وخير قريش ذوو الهجره
وخير ذوي الهجرة السابقو ... ن ثمانية وحدهم نصره
عليٌّ وعثمان ثم الزبير ... وطلحة واثنان من زهره
وشيخان قد جاورا أحمداً ... وجاور قبراهما قبره
فمن كان بعدهما فاخراً ... فلا تذكروا عندهم فخره[3]

---

(١) قال ياقوت: أجياد موضع بمكة يلي الصفا، قلت: وهو معروف سكنت فيه عشرين سنة.

(٢) الرياض النضرة. قلت: وهذا مما امتاز به أبو بكر رضي الله عنه، فإنَّه لم يؤمن ويعلم أنَّ الإسلام هو الحق، وأنَّ الذي عليه قريش هو الباطل، حتى دخل الإيمان قلبه وأشربته روحه فانطلق يدعو إليه، وبدأ بأصحابه وأصدقائه الأدنين، فدعاهم إلى الله وإلى رسوله، فلبوا الدعوة، وابتدروا الإيمان، فكان منهم هؤلاء الرجال العظام الذين رفع لهم في التاريخ منار عال، وأصبحوا بالإسلام عظماء وأبطالاً. رحم الله أبا بكر ورحم أصدقاءه في الجاهلية، وأعوانه على الحق في الإسلام ورضي عنهم.

(٣) مروج الذهب للمسعودي وأسلوب الأبيات يدل على أنها ليست من شعر صدر الإسلام.

دفاعه عن رسول الله ﷺ[1]
ومواقفه قبل الهجرة

عن علي رضي الله عنه. قال:

لما كان بعد وفاة أبي بثلاثة أيام اجتمعت قريش تريد قتل رسول الله ﷺ، فلم يُعِنْه يومئذٍ إلاَّ أبو بكر. ولأبي بكر يومئذٍ ضفيرتان، فأقبل يجادل هذا ويدفع هذا ويقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وَالله إنَّه لرسول الله. وتقطعت في ذلك اليوم إحدى ضفيرتي أبي بكر.

وقال كرَّم الله وجهه يوماً لأصحابه: ناشدتكم الله، أيّ الرجلين خير: مؤمن آل فرعون، أو أبو بكر؟ فأمسك القوم، فقال عليّ: والله ليوم واحد من أبي بكر خير من مؤمن آل فرعون، ذاك رجل كتم إيمانه فأثنى الله عليه. وهذا بذل لله نفسه ودمه[2].

وقيل لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: ما أشدَّ ما رأيتِ المشركين بلغوا من رسول الله ﷺ؟ فقالت: كان المشركون قعوداً في المسجد الحرام فتذاكروا رسول الله ﷺ، وما يقول في آلهتهم. فبينما هم كذلك، إذ دخل رسول الله ﷺ المسجد، فقاموا إليه، وكانوا إذا سألوه عن شيء صدَّقهم، فقالوا: ألست تقول في آلهتنا كذا وكذا؟... قال: بلى. (قالت) فتشبثوا به بأجمعهم، فأتى الصريخ أبا بكر أن أدرك صاحبك، فخرج أبو بكر فوجد رسول الله ﷺ، والناس مجتمعون عليه، فقال: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فلهوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبي بكر يضربونه، قالت: فرجع إلينا فجعل لا يمس شيئاً من

---

(١) تقدم طرف من ذلك في حديث إسلام أمه.
(٢) الموافقة لابن السمان.

غدائره إلاَّ جاء معه! وهو يقول: تباركت ياذا الجلال والإكرام[١].

وقال عمرو بن العاص[٢]: اجتمعت يوماً قريش في الحِجْر وأنا معهم أسمع ما يقولون، فقال بعضهم لبعض: ما رأينا مثل ما بلغ هذا الرجل منا قطّ، وما أُدخل رجلٌ على قوم مثل ما أدخل علينا: فرَّق جماعتنا وشتت أمرنا، وعاب ديننا، وسبَّ آباءنا، وسفَّه أحلامنا، فلا ندري على ماذا ندعه؟ فبينما هم على ذلك إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى أتى الركن، ثمَّ مرَّ بهم طائفاً فغمزوه ببعض الكلام فعرفتها والله في وجهه، ثمَّ مرَّ بهم في الطواف الثالث فغمزوه بمثلها، فقال: يا معشر قريش لقد جئتكم بالذَّبح[٣] فأطرق والله القوم حتى ما فيهم رجل إلاَّ كأنَّما كان على رأسه طير وقع، حتى إن أشدَهم فيه وصباً ليتلقاه بأحسن ما يجد من الكلام حتى إنَّه ليقول له: يا أبا القاسم ما كنت جهولاً.. (قال): فانصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا، حتى إذا كان الغد جلسوا مجلسهم ذاك فذكروه وقالوا هممتم به وذكرتم ما صنع بكم حتى إذا استقبلكم بما تكرهون تركتموه. فبينما هم على ذلك إذ طلع رسول الله ﷺ فوثبوا إليه وثبة رجل واحد، يقولون: أنت الذي تقول كذا وكذا؟ قال: نعم. (قال): فلقد رأيت رجلاً أهوى إليه فأخذ بمجامع ردائه ودخل أبو بكر بينهم وبينه وهو يقول: ويلكم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ثمَّ انصرفوا عنه

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي فاتح مصر، أحد عظماء العرب ودهاتهم، أسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي ﷺ إمرة ذات السلاسل، وأمده بأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو الذي افتتح قنسرين وصالح أهل حلب ومنبج، ثم كان مع معاوية وولى له مصر. توفي في القاهرة سنة ٤٣ وله في الصحيحين ٣٩ حديثاً.

(٣) قال الزرقاني في شرح المواهب: وروي البخاري وأبو يعلي وابن حبان عن عمرو بن العاص قال: ما رأيت قريشاً أرادوا قتل النبي ﷺ إلا يوم أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس وهو يصلي عند المقام فقام إليه عقبة فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه وتصايح الناس وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله ﷺ من ورائه، وهو يقول: (أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله). ثم انصرفوا عنه. فلما قضى صلاته مرّ بهم فقال: والذي نفسي بيده ما أرسلت إليكم إلا بالذبح. فقال له أبو جهل: يا محمد ما كنت جهولاً. فقال: أنت منهم.

ورجع أبو بكر وقد صدَّعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته وكان رجلاً كثير الشعر[1].

وذكر المحب الطبري أنَّ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: لما نزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ أقبلت العوراء بنت جميل بن حرب ﴿حمَّالة الْحَطَب﴾ ولها ولولة، وفي يدها فِهر (أي حجر) وهي تقول:

مُذَمَّماً أَبَيْنَا　　ودينَه قَلَينا　　وأمرَه عصينا

والنبيُّ ﷺ جالس في المسجد، ومعه أبو بكر رضي الله عنه، فقال أبو بكر لما رآها: يا رسول الله قد أقبلت وإني أخاف أن تراك، قال رسول الله ﷺ: إنَّها لن تراني وقرأ قرآناً فاعتصم به كما قال الله عزَّ وجل: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِيْنَ لاَ يُؤْمِنُوْنَ بِالآخِرَةِ حِجَاباً مَسْتُوراً﴾ فوقفت على أبي بكر فقالت: يابن أبي قحافة، ما شأن صاحبك ينشد فيَّ الشعر؟ فقال: والله ما صاحبي بشاعر. فقالت أليس قد قال: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ فما يدريه ما جيدها؟ قال النبي ﷺ: قل لها هل ترين عندي أحداً؟ فقال لها أبو بكر. فقالت: أتهزأ بي يابن أبي قحافة؟ والله ما أرى عندك أحداً، وقد بلغني أنَّه يهجوني، ووالله لو وجدته لضربته بهذا الفهر. فقال أبو بكر: لا ورب هذا البيت ما هجاك، فولَّت وهي تقول: قد علمت قريش أني ابنة سيِّدها.

وكان رسول الله ﷺ يقول: ألا تعجبون مما صرف الله عني من أذى قريش؟ يهجون مذمَّماً وأنا محمد (وكانت قريش تسميه مذمَّماً ثمَّ تسبُّه فلا يناله من السباب شيء)[2].

---

(١) سيرة ابن هشام.

(٢) كان أبو بكر قبل الإسلام على أفضل ما يكون عليه الرجل في قومه مجداً وغنى واطمئناناً. ولم يكن ينقصه شيء مما يكون به الرجل في الجاهلية عظيماً، فلما جاء الله بالإسلام وعرف أبو بكر أنه الحق، آثره على كل ما سواه وكان أسبق الناس إليه، لم يتردد في قبوله حين عرضه عليه رسول الله ﷺ ولم يبق على شيء في سبيل نصرته وتأييده، ولم يأل جهداً في الدفاع عن =

من أعتقه أبو بكر

كان الصديق رضي الله عنه إذا مرَّ على أحد من العبيد يعذَّب اشتراه من ساداته وأعتقه ابتغاء وجه ربِّه الأعلى[1]، فأعتق سبعة كانوا يعذبون في الله:

بلال[2] - وعامر بن فُهَيرة[3] - وزِنيّرة - وأم عُبيس[4] - والنهدية - وابنتها - وجارية ابن عمرو بن مؤمل[5]. وكان قد اشترى بلالاً وهو مدقوق بالحجارة بخمس أواقٍ ذهباً، فقالوا: لو أبيت إلَّا أوقية لبعناك، قال: لو أبيتم إلَّا مائة أوقية لأخذته، وكان بلالُ بن رباح صادق الإسلام، طاهر القلب وكان أميَّة بن خلف[6] يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره، في بطحاء مكة، ثمَّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صلبه، ثمَّ يقول له: لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد، وتعبد اللات والعزى.

= رسول الله ﷺ، بنفسه وبماله، حتى عدا عليه المشركون، وضربوه على وجهه بالنعال، فكان أثبت الناس جناناً، وأقواهم إيماناً لم يلن ولم يهن، ولم يأس على شيء فاته من الدنيا. ولم يضن على الإسلام بشيء: بذل من ماله ثم بذل، حتى بلغ آخر درهم منه، فقيل له: ماذا أبقيت لعيالك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. جزاه الله عن الإسلام خيراً ورضي عنه وأرضاه.

(١) الزرقاني في شرح المواهب.

(٢) هو بلال بن رباح ويقال ابن حمامة أمه الحبشي المؤذن. مولى أبي بكر، شهد بدراً والمشاهد كلها، وسكن دمشق ومات بها سنة ٢٠ عن بضع وستين سنة، ولم يؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ إلا مرة واحدة.

(٣) هو عامر بن فهيرة التميمي أحد السابقين الذين عذبوا في الله. كان من مولدي الأزد أسود اللون مملوكاً للطفيل أخي عائشة لأمها. شهد بدراً وأحداً وقتل يوم بئر معونة سنة أربع وهو ابن أربعين سنة.

(٤) هي زوج كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس ولدت له عبيساً فكنيت به أسلمت أول الإسلام وكانت ممن استضعفه المشركون فعذبوها.

(٥) قال في شرح المواهب: رواه البيهقي - وزاد ابن إسحاق: أبا فكيهة - وزاد ابن عبد البر: أم بلال.

(٦) الجمحي: كان من رؤوس الكفر قتل يوم بدر كافراً.

فيقول: أحد. أحد[1].

وكان ورقة بن نوفل، يمر عليه وهو يعذب بذلك، ويقول: أحد، أحد، فيقول ورقة: أحد، أحد: والله يا بلال. ثمَّ يقبل على أميَّة ومن يصنع به ذلك من جمح، فيقول: أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لأتخذنه حناناً[2]. وكان ورقة على دين عيسى عليه السلام. حتى مرَّ به أبو بكر وهم يصنعون ذلك به، وكانت دار أبي بكر في بني جمح. فقال لأمية: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتى متى؟ قال: أنت أفسدته، فأنقذه مما ترى؟ قال: أفعل. عندي غلام أجلد منه وأقوى وأعطيكه به. قال: قد قبلت. فأعطاه أبو بكر غلامه وأخذه[3] (فقال بلال: إن كنت اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله عزَّ وجل، فدعني وعمل الله عزَّ وجلَّ)[4] فأعتقه، ثمَّ أعتق معه على الإسلام قبل أن يهاجر ستة رقاب.

وكانت زِنّيرة الرومية أمة عمر بن الخطاب أسلمت قبله فكان يضربها حتى أصيب بصرها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلَّا اللَّات والعُزَّى، فقالت وهي لا تبصر: والله ما هو كذلك وما يدري اللات والعزى من يعبدهما، وربي قادر على أن يرد عليَّ بصري، فردَّ الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة. فقالت قريش: هذا من سحر محمد، فاشتراها أبو بكر فأعتقها وكانت قريش تقول: لو كان خيراً ما سبقتنا إليه زِنّيرة. فأنزل الله عزَّ وجل

---

(١) هذا هو سر الإسلام الذي جعل من هذا العبد الضعيف قوة ينهزم أمامها جبروت القرشيين، ويتضاءل حتى يختفي ويضمحل، وتضمحل من ورائه قريش، ولا يبقى إلا (الأحد)، الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية: أي لأجعلن قبره موضع حنان، أي مظنة من رحمة الله، فألم به كما يلم بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية، فيرجع ذلك عاراً عليكم وسبة عند الناس.

(٣) ذكر المحب وغيره هاتين الروايتين قلت: ويمكن التوفيق بينهما بأن ثمن العبد الذي بادل به على بلال خمس أواق ذهباً فأرادوا أن يدخلوا الندم على أبي بكر فأجابهم بالذي أجاب والله أعلم.

(٤) البخاري من حديث عمر رضي الله عنه وصدره: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا (يعني بلالاً).

﴿وَقَالَ الَّذِيْنَ كَفَرُوا لِلَّذِيْنَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْراً مَا سَبَقُوْنَا إِلَيْهِ﴾[١] . . الآية.

وأمَّا النهدية وابنتها، فقد كانتا لامرأة من بني عبد الدار، فمرَّ بهما أبو بكر وقد بعثتهما سيدتهما إلى طحين لها، وهي تقول: والله لا أعتقكما أبداً، فقال أبو بكر: حِلًّا يا أم فلان (أي تحللي من يمينك)، فقالت: حِلًّا، أنت أفسدتهما فأعتقهما. فقال: فبكم هما؟ قالت: بكذا وكذا، قال: قد أخذتهما وهما حرتان، أرجعا إليها طحينها، قالتا: أو نفرغ منه يا أبا بكر، ثمَّ نرده، قال: ذلك إن شئتما.

ومرَّ بجارية من بني مُؤمل (حي من بني عدي) وكانت مسلمة، وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الإسلام، وهو يومئذٍ مشرك، فيضربها، حتى إذا ملَّ قال: أعتذر إليك. إني لم أتركك إلَّا مللًا! فتقول: فعل الله بك. فابتاعها أبو بكر وأعتقها[٢].

أبو بكر وأبيّ بن خلف

اقتتل الروم وفارس في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يوم أذْرعات[٣] بها التقوا، فهزمت الروم. فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكَّة فشقَّ ذلك عليهم، وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميُّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنَّكم أهل كتاب، والنصارى أهل كتاب. ونحن أميُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب وإنَّكم إن قاتلتمونا لنظهرنَّ عليكم. فأنزل الله تعالى: ﴿ألم. غُلبَتِ الرُّومُ في أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلبِهِمْ سَيَغْلِبون. في بِضْع سنين﴾ فخرج أبو بكر الصديق إلى

(١) شرح المواهب.

(٢) الرياض النضرة: عن ابن إسحاق والصفوة وأبي معاوية الضرير.

(٣) قال ياقوت: « بلد بأطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان. ينسب إليه الخمر (والمشهور عندنا اليوم أنها هي درعاً قصبة حوران) والنسبة إليها أذرعى، وقد ذكرتها المعرب في أشعارها لأنها لم تزل من بلادها في الإسلام وقبله.

الكفار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا، فلا تفرحوا ولا يقرّنَّ الله أعينكم، والله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا. فقام إليه أُبَيّ بن خلف الجُمحي، فقال: كذبت يا أبا فَصيل. فقال له أبو بكر: أنت أكذب يا عدوّ الله! فقال: أُناحبُك (أي أراهنك) عشر قلائص مني وعشر قلائص منك. فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإن ظهرت فارس غرمتَ إلى ثلاث سنين، ثمَّ جاء أبو بكر رضي الله عنه إلى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ما هكذا ذكرتُ، إنّما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزايده في الخطر وماده في الأجل، فخرج أبو بكر فلقي أُبيّاً. فقال: لعلّك ندمت؟ قال: لا. تعال أزايدك في الخطر وأمادّك في الأجل، فأجعلها مائة قلوص، إلى تسع سنين قال: قد فعلت[1].

فلما خشي أبيٌّ بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه، وقال: إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي ضامناً كفيلاً، فكفله ابنه عبدالله بن أبي بكر، فلما أراد أبيّ أن يخرج إلى أحدُ أتاه عبدالله ولزمه وقال: والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلاً، فأعطاه كفيلاً ثمَّ خرج إلى أُحد ثمّ رجع إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرحه النبي ﷺ حين بارزه، وظهرت الروم على فارس يوم الحُدَيبية وذلك على رأسْ سبع سنين من مناحبتهم، فقبض أبو بكر رضي الله عنه المال من ورثته وجاء به إلى النبي ﷺ وذلك قبل أن يحرّم القمار. فقال له النبي ﷺ: تصدَّق به[2].

خروجه إلى أرض الحبشة

أخرج البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت:

---

(١) تاريخ الطبري قال الفخر الرازي في تفسيره: وهذا يدل على علم النبي ﷺ بوقت الغلبة، قلت: ليس في ذلك دليل على ذلك، والرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلا ما علّمه الله، وليس هذا منه.

(٢) تفسير الخازن. قلت: وهذا واحد من مئات الأدلة القاطعة، والبراهين الدامغة على صحة نبوة سيدنا محمد ﷺ، على أن هذا الأمر مما لا يحتاج إلى دليل، ولا ينكره إلا معاند مكابر، ثم هو لا ينكره إلا بلسانه، ولا يملك لبه - إن كان له لب - أن يؤمن به ويعتقده.

لم أعقل أبويّ إلَّا وهما يدينان الدين، ولم يمرّ علينا يوم إلَّا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرفي النهار: بكرة وعشياً. فلما ابتلي المسلمون، خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة[١] حتى إذا بلغ برك الغماد[٢]، لقيه ابن الدُغُنَّة[٣] وهو سيد القارَة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض، وأعبد ربي. قال ابن الدُّغُنَّة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، إنَّك تكسب المعدوم، وتصل الرحم وتحمل الكل وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك، فرجع وارتحل معه ابن الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش، فقال لهم: إنَّ أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخرج، أتخرجون رجلاً يكسب المعدوم، ويصل الرحم، ويحمل الكَلَّ، ويَقري الضيف، ويعين على نوائب الحق، فلم تكذب قريش بجوار ابن الدُّغُنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره فليصلِّ فيها. وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا ولا يستعلن به فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بذلك يعبد ربه في داره ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثمَّ بدا لأبي بكر، فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلي فيه ويقرأ القرآن فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه، وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكَّاء، لا يملك عينه إذا قرأ القرآن، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، فأرسلوا إلى ابن الدُّغُنَّة، فقدم عليهم فقالوا: إنَّا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا

---

(١) وهي الهجرة الثانية إلى الحبشة.

(٢) برك الغماد موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ـ قال ياقوت: والبرك حجارة خشنة وعرة يصعب المسلك عليها.

(٣) هو ربيعة بن فهيم والدغنة كالدجنة وزناً ومعنى. والدغنة أمه. والقارة قبيلة مشهورة من بني الهون وهم حلفاء بني زهرة من قريش. ويضرب بهم المثل في الرمي. قال الشاعر:

قد أنصف القارة من راماها

وأبناءنا، فانهه فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلاَّ أن يعلن، فسله أن يردّ إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك ولسنا مقرِّين لأبي بكر الاستعلان. فأتى ابن الدُّغُنَّة إلى أبي بكر، فقال: قد علمت الذي عقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إليَّ ذمتي، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت في رجل عقدت له، قال أبو بكر: فإني أردّ إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عزَّ وجل. والنبي ﷺ يومئذٍ بمكة.

هِجْرَتُهُ إلى المَدينَةِ في صُحبَةِ النَّبيِّ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هِجْرَتُهُ إلى المَدِينَةِ

قال النووي في التهذيب: كان خروجه ﷺ إلى الهجرة بعد العقبة الثانية بشهرين وأيام، بايعوه في العقبة في اليوم الأوسط من أيام التشريق، وخرجا لهلال شهر ربيع الأول.

وأخرج البخاري أنَّ النبيَّ ﷺ قال للمسلمين[١]: قد أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين (وهما الحرَّتان) فهاجر من هاجر قبل المدينة ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة[٢].

ثمَّ أمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة، وقال: إنَّ الله جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها. فخرجوا أرسالاً وأقام النبي ﷺ ينتظر أن يؤذن له، ولم يتخلف من أصحابه إلاَّ من حُبس أو فتن، وتخلف علي بن أبي طالب وأبو بكر رضي الله عنهما.

وكان أبو بكر كثيراً ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة، فيقول له: لا تعجل لعلَّ الله يجعل لك صاحباً[٣] ـ وفي رواية أُخرى ـ فإني أرجو أن يؤذن لي. قال أبو بكر: وترجو ذلك يا رسول الله بأبي أنت وأُمي؟ قال: نعم.

---

(١) تتمة حديث الهجرة إلى الحبشة المذكور آنفاً.

(٢) البخاري.

(٣) ابن هشام.

فحبس أبو بكر نفسه لصحبة رسول الله ﷺ وعلف ناقتين كانتا عنده ورق السمُر[١] أربعة أشهر[٢] ثمَّ جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال: من يهاجر معي؟ قال: أبو بكر، وهو الصديق[٣].

قالت عائشة رضي الله عنها: كان لا يخطىء رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار - إما بكرة وإما عشية - حتى إذا كان اليوم الذي أذن له فيه بالهجرة والخروج من مكة من بين ظهرانَيْ قومه[٤] أتانا في نحر الظهيرة[٥] فقال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله ﷺ مقبل متقنع في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فدى له أبي وأمي، إن جاء به في هذه الساعة لأمر، فجاء رسول الله ﷺ فدخل فقال لأبي بكر: أخرج مَن عندك. فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت يا رسول الله[٦] فقال: قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبةَ بأبي أنت يا رسول الله؛ قال: نعم[٧].

قالت عائشة: ما شعرت (أي ما علمت) قبل ذلك بأن أحداً يبكي من الفرح، حتى رأيت أبا بكر يبكي حين أذن له رسول الله ﷺ بصحبته[٨] فقال أبو بكر: بأبي أنت يا رسول الله، فخذ إحدى راحلتيَّ هاتين[٩] وقدم له أفضلهما[١٠] وقال: اركب فداك أبي وأمي. فقال: إني لا أركب راحلة ليست لي. قال: فهي لك يا رسول الله، قال: لا. ولكن بالثمن الذي

---

(١) بضم الميم واحدته سمرة شجر بالبادية معروف إلى اليوم.

(٢) البخاري.

(٣) ابن السمان في الموافقة عن علي كرم الله وجهه.

(٤) الرياض النضرة والموافقة. قال في شرح المواهب: رواه الطبراني. قلت: الطبراني لم يلتزم في معاجمه الثلاثة رواية الصحيح، بل أدخل فيها الصحيح وغيره.

(٥) أي شدتها ونحر النهار أوله.

(٦) وذلك أن عائشة كان أبوها أنكحها منه قبل ذلك - الروض الأنف..

(٧) البخاري.

(٨) ابن هشام.

(٩) البخاري.

(١٠) البخاري وابن إسحاق على أنها الجدعاء - قاله الزرقاني.

ابتعتها به، قال: قد ابتعتها بكذا وكذا. قال: قد أخذتها بذلك[١].

فلما أجمع الخروج أتى أبا بكر فخرج من خوخة[٢] له في ظهر بيته، ولم يعلم أحد بخروجه إلاَّ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، فإنَّه أخبره بخروجه، وأمره أن يتخلف بمكة حتى يؤدي الودائع التي كانت عنده للناس. ولم يكن عند أحد شيء يخشى عليه إلاَّ وضعه عنده ﷺ لما يعلم من أمانته وصدقه[٣] ثمَّ وقف ﷺ على الحَزْوَرَة[٤] ونظر إلى البيت وقال: إنك لأحب أرض الله إليَّ، وإنك لأحب أرض الله إلى الله، ولولا أنَّ أهلك أخرجوني منك ما خرجت[٥].

ودفع أبو بكر رضي الله عنه لابنته أسماء دراهم وقال: ابتاعي بها خبزاً ولحماً فإنَّ رسول الله ﷺ يعجبه اللحم، ثمَّ إنَّ المشركين خرجوا ينظرون إلى قدم رسول الله ﷺ حتى أتوا منزل أبي بكر، وأسماء تعالج اللحم، فأخرجت المصباح ليغلب رائحة الإدام، فسألوها: أين أبوك؟ فقالت: إني مشغولة في عمل ولا أدري أين أبي (قالت): فرفع أبو جهل[٦] يده، ـ وكان فاحشاً خبيثاً ـ فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي، ثمَّ انصرفوا فمكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول الله ﷺ، حتى أقبل رجل من الجن، من أسفل مكة، يتغنَّى بأبيات من شعر غناء العرب، وإنَّ الناس يتبعونه يسمعون صوته وما يرونه حتى خرج من أعلى مكة، يقول:

---

(١) معناه عند البخاري. وكان النبي ﷺ يتصرف في مال أبي بكر، وإنما امتنع من أخذها بغير الثمن لتكون هجرته إلى الله بنفسه وماله رغبة منه في استكمال فضل الهجرة ـ الروض الأنف.

(٢) لا تزال كلمة خوخة مستعملة في دمشق للباب الصغير.

(٣) ابن هشام وهذا ما لم يسمع بمثله، كانوا يستودعونه نفائس أموالهم على كل ما كان بينه وبينهم، فهل في الدنيا ثقة بأبين أكثر من هذه الثقة؟.

(٤) الحزورة في اللغة الرابية والجمع حزاور وهي سوق مكة وقد دخلت في المسجد لما زبد فيه ـ قاله ياقوت.

(٥) قال الزرقاني: أخرجه أحمد والترمذي وصححه.

(٦) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي كان سيداً من سادات قريش، وأشد الناس عداوة للإسلام قتل يوم بدر كافراً.

جزى الله ربّ الناس خيرَ جزائه رفيقين حلّا خيمتيْ أمِّ معبد
هما نزلا بالبر ثم تروَّحا وقد فاز من أمسى رفيق محمد
ليَهْنِ بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد[1]

وقد خرج مع النبي ﷺ وأبي بكر مولي لأبي بكر يسمى عامر بن فُهيرة. ودليلهما عبدالله بن الأريقط[2]، وهو رجل من الدِّيل هادٍ خِرّيت (دليلٌ حاذق) على دين قريش، استأجره النبي ﷺ ليدله على الطريق، وأمناه على راحلتيهما، وواعداه غار ثور[3] بعد ثلاث[4].

حديث أم معبد:

ومرّوا في طريقهم على خيمة أم معبد الخزاعية[5]، وكانت بَرْزة (تبرز للرجال عفيفة) جلدة تحتبي بفناء القبة ثمَّ تسقي وتطعم. فسألوها تمراً ولحماً

---

(١) ابن هشام. وذكر الزرقاني في شرح المواهب أن حساناً أجاب بعد ذلك الهاتف بقوله:

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم وقدس من يسري إليه ويغتدي
ترحل عن قوم فضلت عقولهم وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم وأرشدهم، من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا عمى وهداة يهتدون بمهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب ركاب هدى حلت عليهم بأسعد
نبي يرى ما لا يرى الناس حوله ويتلو كتاب الله في كل مشهد
وإن قال في يوم مقالة غائب فتصديقها في اليوم أوفى ضحى الغد
ليهنأ أبا بكر سعادة جده بصحبته، من يسعد الله يسعد

(٢) ابن سعد ورواية ابن إسحاق عبدالله بن الأرقط، ورواية المحب الليث بن عبدالله بن الأريقط وفي غيره عبدالله بن أرقد! وهو من بني الديل بن بكر وكانت أمه امرأة من بني سهم. والديل حي في عبد القيس ينسب إليهم الديلي وهما ديلان أحدهما الديل بن شن بن أفصى بن عبد القيس والآخر الديل بن عمرو بن وديعة بن أفصى ومنهم أهل عمان. وبنو الديل من بني بكر بن عبد مناة بن كنانة غيره. وأما الدئل بهمزة مكسورة فهم حي من كنانة وينسب إليهم أبو الأسود الدؤلي تفتح الهمزة استثقالاً لتوالي الكسرات ـ اللسان. وقال ابن قتيبة: الدؤل في بني حنيفة والدئل في عبد القيس والدئل في كنانة ـ قاله ابن السيد البطليوسي في الاقتضاب.

(٣) ثور: جبل بمكة صار الآن وسط حيّ كبير من أحياء مكة الجديدة.

(٤) قال المحب: هو في بعض طرق البخاري.

(٥) مشهورة بكنيتها واسمها عاتكة بنت خالد بن سعد بن منقذ الخزاعية الكعبية.

يشترونه منها، فلم يصيبوا عندها من ذلك شيئاً، وكان القوم مُرْملين (أي نفدت أزوادهم مُسْنِتين (مُجدبين أصابتهم السنة وهي القحط) فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كِسر الخيمة (أي جانبها) فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: خلفها الجهد عن الغنم. قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حليباً فاحلبها، فدعا بها رسول الله ﷺ فمسح لها ضَرعها وسمى الله ودعا لها فتفاجَّت عليه (أي فتحت ما بين رجليها) ودرَّت ودعا بإناء يُربض الرهط (أي يرويهم حتى يثقلوا فيربضوا) فحلب سحًّاً (أي لبنا سائلاً كثيراً) حتى علاه البهاء (بريق الرغوة) ثمَّ سقاها حتى رويت ثمَّ سقى أصحابه حتى رووا ثمَّ شرب آخرهم ثمَّ حلب ثانياً بعد بدء حتى ملأ الإناء ثمَّ غادره عندها وبايعها وارتحلوا (يعني عنها) فقلَّ ما لبثت حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً عجافاً تساوكن (أي تمايلن) هُزالاً مخهن قليل، فلما رأى اللبن عجب وقال: من أين لك هذا يا أم معبد، والشاء عازب (بعيد عن المرعى) ولا حَلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلاَّ أنَّه مرَّ بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا قال: صفيه لي يا أم معبد. قالت: رجل ظاهر الوضاءة، أبلج (مشرق الوجه) حسن الخلق، لم تعبه ثُجلة (عظم البطن) ولم تُزْرِ به صعلة (صغر الرأس) وسيم قسيم، في عينيه دَعَج (سواد)، وفي أشفاره وطف (طول). وفي صوته صَحَل (بحة) وفي عنقه سَطَع (طول). وفي لحيته كثاثة. أزجُّ (رقيق طرف الحاجبين) أقرن[1] إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، حلو المنطق، فصل لا نزر ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظم يتحدرن، لا يائس[2] من طول، ولا تقتحمه عينٌ من قصر، غصن بين غصنين، فهو أنضر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قدراً، له رفقاء يحفون به. إن

---

(١) القرن التقاء الحاجبين وفي حديث هند بن أبي هالة رضي الله عنه أزج الحواجب سوابغ في غير قرن. قالوا: وهو الصحيح في صفته ﷺ دون ما وصفته به أم معبد من القرن ـ الفائق والنهاية.

(٢) قال ابن الأنباري: أي لا ييأس مطاولة منه لإفراط طوله. فيائس بمعنى ميؤوس كماء دافق بمعنى مدفوق ـ النهاية.

قال أنصتوا لقوله، وإن أمر تبادروا لأمره، محفود (مخدوم) محشود (مجتمع عليه) لا عابس ولا مُفْنِد (هو الذي لا فائدة في كلامه) قال أبو معبد: هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر بمكة، ولقد هممت أن أصحبه[١].

وروى الطبري في تاريخه أنَّ قريشاً سمعت يومئذٍ قائلاً يقول في الليل على أبي قُبيس:

فإن يُسلم السعدان يصبح محمدٌ بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: من السعدان؟ سعد بكر؟ سعد تميم؟ سعد هذيل؟ فلما كان في الليلة الثانية سمعوه يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا على الله في الفردوس منية عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدى جنانٌ من الفردوس ذات رفارف

فلما أصبحوا قال أبو سفيان: هو والله سعد بن مُعاذ وسعد بن عُبادة[٢].

* * *

حديث سراقة[٣]:

قال أبو بكر رضي الله عنه: ثمَّ ارتحلنا من مكة فأحيينا ليلتنا حتى إذا أظهرنا وقام قائم الظهيرة، رميت ببصري حتى أرى ظلاًّ نأوى إليه فإذا أنا بصخرة فانتهيت إليها فإذا بقية ظلها فسويته ثمَّ فرشت للنبي ﷺ ثمَّ قلت:

---

(١) أخرج قصة أم معبد البخاري في التاريخ وابن خزيمة والبغوي ـ قاله الزرقاني.

(٢) سيأتي خبرهما. قلت: وأنا أنقل الخبر كما وجدته لا أؤكد صحته.

(٣) هو سراقة بن مالك بن جعشم الكناني المدلجي وقد ينسب إلى جده فيقال سراقة بن جعشم يكنى أبا سفيان. مات سنة ٢٤ أول خلافة عثمان وقيل بعد عثمان رضي الله عنه ـ وحديثه رواه الشيخان من حديث البراء بن عازب ـ قاله في الرياض النضرة. قلت: وقد كثر التعليق على هذه القصة شعراً ونثراً، وفي تمثيليات ومسرحيات، وكنت أول من تنبه لها وكتبتها (قصة) في أول عدد ممتاز من (الرسالة) الصادر يوم (١٢ المحرم ١٣٥٤ هـ).

اضطجع يا رسول الله. فاضطجع، ثمَّ ذهبت هل أرى من الطلب أحداً، فإذا أنا براعي غنم يسوق غنمه إلى الصخرة يريد منها مثل الذي نريد (يعني الظل) فسألته فقلت: لمن أنت يا غلام؟ قال: لفلان (رجل من قريش) فعرفته، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم، قلت: هل أنت حالب لي؟ قال: نعم، فأمرته فاعتقل شاة من غنمه، وأمرته أن ينفض عنها من الغبار، ثمَّ أمرته أن ينفض كفيه هكذا (وضرب إحدى يديه على الأخرى) فحلب لي كُثْبة (قليلاً) من لبن وقد رويت ومعي لرسول الله ﷺ إداوة. (إناء صغير من جلد) على فمها خرقة فصببت على اللبن حتى برد أسفله، فانتهيت إلى رسول الله ﷺ فوافيته قد استيقظ، فقلت: اشرب يا رسول الله. فشرب فقلت: قد آن الرحيل يا رسول الله. فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سُراقة بن مالك جُعْشُم الكناني على فرس له. فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: (لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا) فلما دنا منا وكان بيننا وبينه قدر رمحين أو ثلاثة قلت: هذا الطلب يا رسول الله وبكيت، فقال: ما يبكيك؟ قلت: ما والله على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. فدعا عليه رسول الله ﷺ وقال: اللهمَّ اكفناه بما شئت. فساخت فرسه في الأرض إلى بطنها فوثب عنها ثمَّ قال: يا محمد! قد علمت أن هذا عملك، فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه فوالله لأُعمينَّ على من ورائي من الطلب وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنَّك ستمر على إبلي وغنمي في مكان كذا فخذ منها حاجتك فقال ﷺ: لا حاجة لي في إبلك ودعا له رسول الله ﷺ فانطلق راجعاً إلى أصحابه.

وحدث سراقة[1] فقال: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة مهاجراً إلى المدينة جعلت قريش فيه مائة ناقة لمن ردّه عليهم، فبينا أنا جالس في نادي قومي إذ أقبل رجل منا حتى وقف علينا فقال: والله لقد رأيت ركَبة ثلاثة مرُّوا عليَّ آنفاً وإني لأراهم محمداً وأصحابه، فأومأت إليه أن

---

(١) سيرة ابن هشام.

اسكت ثمَّ قلت: إنَّما هم بنو فلان يتبعون ضالة لهم، قال: لعلَّه! ثمَّ سكت، فمكثت قليلاً ثمَّ قمت فدخلت بيتي ثمَّ أمرت بفرسي فقيد لي إلى بطن الوادي وأمرت بسلاحي فأخرج لي من دبر حجرتي، ثمَّ أخذت قداحي التي أستقسم بها ثمَّ انطلقت فلبست لأمتي (أي درعي) ثمَّ أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره: لا يضره (قال): وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ مئة الناقة قال: فركبت على أثره فبينا فرسي يشتدُّ بي عثر بي فسقطت عنه. فقلت: ما هذا؟ ثمَّ أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره: لا يضره. فأبيت إلَّا أن أتبعه، فركبت في أثره فبينما فرسي يشتدُّ بي عثر بي فسقطت عنه. فقلت: ما هذا؟ ثمَّ أخرجت قداحي فاستقسمت بها فخرج السهم الذي أكره: لا يضره، فأبيت إلَّا أن أتبعه. فركبت في أثره فلما بدا لي القوم ورأيتهم عثر بي فرسي فذهبت يداه في الأرض وسقطت عنه، ثمَّ انتزع يديه من الأرض وتبعهما دخان كالإعصار، فعرفت حين رأيت ذلك أنَّه قد منع مني وأنَّه ظاهر، فناديت القوم فقلت: أنا سراقة بن جُعْشُم انظروني أكلمكم فوالله لا أريبكم ولا يأتيكم مني شيء تكرهونه. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: قل له: وما تبتغي منا؟ فقال ذلك أبو بكر، قلت: تكتب لي كتاباً يكون آية بيني وبينك، قال: اكتب له يا أبا بكر. فكتب لي كتاباً في عظم أو في رقعة أو في خرقة ثمَّ ألقاه إليَّ، فأخذته فجعلته في كنانتي ثمَّ رجعت فسكت فلم أذكر شيئاً مما كان حتى إذا كان فتح مكة على رسول الله ﷺ وفرغ من حُنَيْن والطائف خرجت ومعي الكتاب لألقاه فلقيته بالجعرانة[1] فدخلت في كتيبة من خيل الأنصار فجعلوا يقرعونني بالرماح ويقولون: إليك إليك ماذا تريد. فرفعت يدي بالكتاب ثمَّ قلت: يا رسول الله هذا كتابك لي، أنا سُراقة ابن جُعْشُم فقال رسول الله ﷺ

---

(١) ماء بين الطائف ومكة وهي إلى مكة أقرب قال ياقوت والجعرانة بكسر الأول إجماعاً ثم إن أصحاب الحديث يكسرون عينه ويشددون راءه وأهل الأدب يخطئونهم ويسكنون العين ويخففون الراء والذي عندنا أنهما روايتان جيدتان، أما في الشعر فلم نسمعها إلا مخففة. قلت: وكذلك يلفظها اليوم أهل مكة، وقد وصل اليوم العمران إليها.

يوم وفاء وبرّ، ادنُه، فدنوت منه فأسلمت ثمَّ تذكرت شيئاً أسأل رسول الله ﷺ عنه فما أذكره إلَّا أني قلت: يا رسول الله الضالة من الإبل تغشى حياضي وقد ملأتها لإبلي، هل لي من أجر في أن أسقيها؟ قال: نعم في كل ذات كبدٍ حَرَّى أجر، ثمَّ رجعت إلى قومي فسقت إلى رسول الله ﷺ صدقتي.

قال الزرقاني: ولما بلغ أبا جهل ما لقي سراقة ولامه في تركهم أنشده:

أبا حكمٍ واللاتِ لو كنت شَاهداً ... لأمر جوادي إذ تسيخ قوائمه
عجبت ولم تشكك بأنَّ محمداً ... نبيٌّ وبرهانٌ فمن ذا يكاتمه

وزاد ابن الأثير في أسد الغابة:

عليك بكف القوم عنه فإنني ... أرى أمره يوماً ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم ... بأن جميع الناس طرًّا يسالمه

وفي الحديث أنَّه ﷺ قال لسراقة: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟

فلما أتى عمر رضي الله عنه بتاج كسرى ومنطقته، دعا سُراقة فألبسه السوارين، وقال: ارفع يدك وقل: الله أكبر، الحمدلله الذي سلبهما كسرى بن هرمز، وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيًّا من بُني مُدْلج، ورفع عمر بها صوته ثمَّ قسم ذلك بين المسلمين(١).

قلت: رجل واحد يضرب في الأرض، ليس معه إلَّا رفيق له، قد أخرجا من ديارهما، وتركا أهلهما، وحاق بهما الطلب من كل جانب، حتى اختفيا في غار. . . ثمَّ لا يثنيه ذلك عن مراده، ولا ينهنه من عزمه، ولا يجد هذا الضيق إلى نفسه سبيلاً، بل إنَّه لينظر إلى المستقبل بنور الله، فيرى - وهو في هذه البادية القاحلة، مهاجراً من بلد أحبه وأنس به، واطمأنَّ إليه، إلى بلد لا يعرفه ولم يأنس به، في الموقف الذي ييأس فيه الآمل، ويجزع فيه الشجاع، ويحار فيه الحليم - يرى تاج كسرى يسقط على قدميه، وأعلام

---

(١) شرح المواهب للزرقاني. أعلام النبوة للماوردي.

قيصر تهوي بين يديه، فيقول لهذا الأعرابي من بني جُعشُم: كيف بك إذا لبست سواري كسرى؟

كيف؟ أهذا ممكن؟ أأنا ألبس سواري كسرى، شاهنشاه ملك الملوك الذي كان يقول: أنا رب الناس! وما النعمان إلاَّ تابع من تابعيه، وعبد من عبيده، وما لنا بالنعمان من طاقة، وإنَّ النعمان لملك العرب؟

هذا ما أحسب سراقة كان يحدث به نفسه مُنصرفَه من عند رسول الله ﷺ ويرى أقرب من ذلك أن ينال الشمس فيضعها في كفِّه، ويرى ذلك كل عربيٍّ يومئذٍ. . .

ولكنَّ الله حقق بالإسلام المعجزة! وصدَّق الرسول ﷺ وأورث المسلمين ملك كسرى.

أما إن محمد بن عبدالله لو لم يكن نبيًّا لكان أعظم العظماء فكيف وهو أكرم الأنبياء، وأفضل العالمين، وخاتم المرسلين؟ صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

حديث الغار:

وعمدا إلى غار بثور (جبل بأسفل مكة) فلما انتهيا إليه قال أبو بكر: والله لا تدخله حتى أدخله قبلك فإن كان فيه شيء أصابني دونك. فدخله فكسحه فوجد في جوانبه ثُقَباً، فشق إزاره وسد به تلك الثقب وبقي منها اثنان فألقمهما رجله ثمَّ قال لرسول الله ﷺ ادخل فدخل فوضع رأسه في حِجره ونام، فلدغ أبو بكر رضي الله عنه في رجله من الجحر فلم يتحرك مخافة أن يستنبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه رسول الله ﷺفقال: ما لك يا أبا بكر؟ قال: لدغت فداك أبي وأمي، فتفل عليه رسول الله ﷺ فذهب ما يجده، ثمَّ انتقض عليه فكان سبب موته[1] فلما أصبح قال رسول الله ﷺ أين

(١) قال المحب: رواه النسائي من حديث عمر. وله طرق أخرى ذكرها ابن عساكر وغيره والله أعلم بصحته.

ثوبك يا أبا بكر؟ فأخبره بالذي صنع فرفع يديه وقال: اللهم اجعل أبا بكر في درجتي يوم القيامة، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه أن الله قد استجاب دعاءك[1].

وكان أبو بكر رضي الله عنه يمشي مرة أمام النبي ﷺ وهما في طريقهما إلى الغار، ومرة خلفه، ومرة عن يمينه، مرة عن يساره، فقال له: ما هذا يا أبا بكر؟ ما أعرف هذا من فعلك! قال: يا رسول الله أذكر الرصد فأكون أمامك، وأذكر الطلب فأكون خلفك، ومرة عن يمينك ومرة عن يسارك لا آمن عليك[2]. وقد تقطرت قدما رسول الله دماً وهو يصعد الغار، ورسول الله ﷺ لم يتعود الحفية ولا الرعية ولا الشقوة، فلما رأى ذلك أبو بكر حمله على كاهله وجعل يشتد به حتى أتى به فم الغار فأنزله والله أعلم بصحة هذا الخبر.

وقال أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ وهما في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، قال: يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما[3] وأمر الله عزَّ وجل شجرة فنبتت في وجه رسول الله ﷺ فسترته، وأمر الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بفم الغار فأقبل فتيان من قريش مِن كل بطن رجل - بعصيِّهم وهَراواهم وسيوفهم، حتى إذا كانوا من النبي ﷺ بقدر أربعين ذراعاً، جاء رجل منهم لينظر في الغار، فرأى الحمامتين بفم الغار، فرجع إلى أصحابه فقالوا: ما لك لا تنظر في الغار؟ قال: رأيت حمامتين فعلمت أنَّ ليس فيه أحد.

ومكثا في الغار ثلاث ليال[4] يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو

---

(١) من حديث أنس قال المحب: خرجه الحافظ أبو الحسن بن بشران والمللا في سيرته قلت: وقد رويته كما وجدته.

(٢) الرياض النضرة.

(٣) الشيخان.

(٤) قال المحب: هذا ما عليه جمهور المحدثين.

غلام شاب ثِقفٌ لَقِنٌ (حاذق سريع الفهم) فيدلج (يسير آخر الليل) من عندهما سحراً فيصبح عند قريش كبائت فلا يسمع أمراً يكادان به إلَّا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامر بن فُهيرة مولى أبي بكر مِنْحَة (شاة) من غنم فيريحها عليهما حين يذهب ساعة العشاء في رسْل (أي لبن). فلما كان صبح الثلاث أتاهما الدليل براحلتيهما وانطلق بهما آخذاً طريق الساحل وانطلق معهم عامر بن فُهيرة[١] وأتتهما أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما بسفرتهما ونسيت أن تجعل لها عصاماً، فلما ارتحلا ذهبت لتعلق السفرة، فإذا ليس فيها عصام، فشقت نطاقها اثنين، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت بالآخر فسميت ذات النطاقين.

فسلك بهما أسفل مكة ثمَّ مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عُسْفان[٢] ثمَّ سلك بهما ثنية المَرَة[٣] ثمَّ سلك بهما على أسفل أمَج[٤] ثمَّ استجاز بهما حتى عارض الطريق بعد أن أجاز بهما مدلجة لَقْف، ثمَّ استبطن بهما مدلجة لقف ويقال مجاح[٥] ثمَّ سلك بهما مَرْجِح[٣] من ذي العضوين أو العصوين ثمَّ بطن ذي كَشْر[٦] ثمَّ أخذ بهما على الجداجد[٧] ثمَّ على الأجرد[٨] ثمَّ سلك بهما ذا سلم[٩] ثمَّ على العبابيد أو

---

(١) البخاري في بعض الطرق ـ قاله المحب.

(٢) قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع وهي منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة. وبينها وبين مكة مرحلتان.

(٣) ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها!.

(٤) أمج: قال ياقوت: هو بلد من أعراض المدينة!.

(٥) مدلجة لقف ومدلجة مجاح ذكرهما ياقوت في مادة مجاح وقال: ضبطها محاج في رواية ابن إسحاق، وقال ابن هشام مجاج والصحيح عندنا مجاح.

(٦) ذو العضوين وكشر قال ياقوت: هما بين مكة والمدينة.

(٧) الجداجد: قال ياقوت: أظنها آباراً قديمة في طريق ليس يعلم.

(٨) الأجرد: جبل من جبال القبلية.

(٩) ذو سلم: واد بالحجاز على طريق البصرة إلى مكة، وقد أكثر الشعراء من ذكره.

العبابيب ثمَّ أجاز بهما القَاحَة أو الفَاجَة[1] ثمَّ هبط بهما العَرْج[2] وقد أبطأ عليهما بعض ظهرهما فحمل رسولَ الله ﷺ رجلٌ من أسلم ثمَّ سلك بهما الدليل ثنية العائر[3] حتى هبط بهما بطن ريم[4] ثمَّ قدم بهما قباء[5] على بني عمرو بن عوف[6] يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول[7] وكان ﷺ على بعير وأبو بكر على بعير وعامر بن فُهير على بعير فكان رسول الله ﷺ يثقل على البعير فيتحول عنه إلى بعير أبي بكر ويتحول أبو بكر إلى بعير عامر ويتحول عامر إلى بعير رسول الله ﷺ فيثقل بعير أبي بكر حين يركبه رسول الله ﷺ ثمَّ استقبلتهما هدية من الشام من طلحة بن عبيدالله إلى أبي بكر فيها ثياب بيض من ثياب الشام فلبساها فدخلا المدينة في ثياب بيض[8].

وكان النبي ﷺ لا يُعرف وكان أبو بكر معروفاً فكان يلقى الرجل أبا بكر فيسأله من هذا الذي بين يديك؟ فيقول: يهديني السبيل. فيحسب أنَّه يهديه الطريق وإنما يعني سبيل الخير. والتفت أبو بكر وإذا هو بفارس[9] قد لحق بهم فقال: يا رسول الله هذا فارس قد لحق بنا فالتفت النبي ﷺ وقال: اللهمَّ اصرعه فصرعه فرسه، ثمَّ قام يحمحم فقال: يا نبي الله مرني بما شئت فقال: قف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا، فكان أول النهار جاهداً على النبي ﷺ وكان آخر الليل مَسلحة له[10].

---

(١) القاحة أو الفاجة: مدينة على ثلاث مراحل من المدينة قبل السقيا بنحو ميل.

(٢) العرج: عقبة بين مكة والمدينة على جادة الحاج.

(٣) ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها.

(٤) قال ياقوت: قيل بطن ريم على ثلاثين ميلاً من المدينة وقيل غير ذلك.

(٥) قباء أوقبا: قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة.

(٦) عمرو بن عوف بن الخزرج: جد جاهلي.

(٧) سيرة ابن هشام.

(٨) ابن سعد.

(٩) البخاري هو سراقة وقد تقدم حديثه.

(١٠) البخاري.



أَخْبَارُهُ وَمَشَاهِدُهُ بَعْدَ الهِجْرَة



أَخْبَارُهُ وَمَشَاهِدُهُ بَعْدَ الهِجْرَة

في المدينة:

وكان أوَّلَ من هاجر إلى المدينة أبو سلمة عبدالله بن عبد الأسد المخزومي، وذلك قبل بيعة العقبة حين آذته قريش[1]. وأول من هاجر إليها بعد البيعة هو مصعب بن عمير:[2].

قال البَراء[3]: وكان أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب بن عمير أخو بني عبد الدار بن قصي. فقلنا له: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فقال: هو في مكانه وأصحابه على أثرى، ثمَّ أتى بعده عمرو بن أم مكتوم[4] الأعمى أخو بني فِهر. فقلنا: ما فعل من وراءك رسول الله ﷺ وأصحابه؟ قال: هم الآن على أثري، ثمَّ أتى بعده عمَّار بن ياسر[5] وسعد بن أبي وقاص وعبدالله بن

---

(١) ابن هشام.

(٢) مصعب بن عمير بن عبد مناف القرشي كان من السابقين إلى الإسلام هاجر إلى الحبشة وشهد بدراً وحمل اللواء يوم أحد فاستشهد، كان في الجاهلية فتى مكة شباباً وجمالاً ونعمة فلما جاء الله بالإسلام ترك ذلك كله ودخل فيه وأوذى في سبيله، وكان يدعى مصعب الخير.

(٣) هو البراء بن عازب الأنصاري الأوسي له ولأبيه صحبة استصغره رسول الله ﷺ وسلم يوم بدر هو وابن عمر فردهما وشهد أحداً وأربع عشرة غزوة ويقال هو الذي افتتح الري وشهد مع علي رضي الله عنه الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل الكوفة ومات سنة ٧٢.

(٤) هو عمرو بن زائدة ويقال ابن قيس بن زائدة العامري ويقال غير ذلك أسلم قديماً بمكة واستخلفه النبي ﷺ على المدينة ثلاث عشرة مرة يصلي بالناس وشهد القادسية وقتل بها شهيداً وهو الأعمى المذكور في سورة ﴿عبس وتولى﴾.

(٥) هو عمار بن ياسر من بني ثعلبة بن عوف القيسي مولى بني مخزوم أسلم هو وأبوه قديماً وقتل =

مسعود[1] وبلال، ثمَّ أتانا عمر بن الخطاب في عشرين راكباً، ثمَّ أتانا رسول الله ﷺ وأبو بكر معه[2].

وعن عبدالله بن عويم بن ساعدة[3] قال: حدَّثني رجال من قومي من أصحاب النبي ﷺ قال: لما سمعنا بمخرج النبي ﷺ من مكة وتوكفنا (توقعنا) قدومه كنا نخرج إذا صلينا الصبح إلى ظهر حَرّتنا ننتظر رسول الله ﷺ فوالله ما نبرح حتى تغلبنا الشمس على الظل، فإذا لم نجد ظلاً دخلنا وذلك في أيامٍ حارَّة، حتى إذا كان اليوم الذي قدم فيه رسول الله ﷺ جلسنا كما كنا نجلس، حتى إذا لم يبق ظل دخلنا بيوتنا فقدم رسول الله ﷺ حين دخلنا بيوتنا فكان أوَّل من رآه رجل من اليهود ـ وقد رأى ما كنا نصنع ـ فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة[4] هذا جدكم قد جاء، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ[5]. ولما تلقاه المسلمون بظهر الحَرَّة عدل بهم ذات اليمين، حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف[6] فقام أبو بكر رضي الله عنه للناس وجلس النبي ﷺ صامتاً فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير النبي ﷺ يحيي أبا بكر رضي الله عنه حتى أصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرفه الناس عند ذلك[7] قال ابن إسحاق: نزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن

= أبو جهل أمه سمية فهي أول شهيدة في الإسلام وكانوا ممن يعذب في الله فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول: صبراً آل ياسر موعدكم الجنة، هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها ثم شهد اليمامة فقطعت أذنه بها، ثم قتل مع علي بصفين سنة ٣٧ وهو ابن ٩٣ سنة.

(١) عبدالله بن مسعود بن غافل الهذلي من أكابر الصحابة فضلاً وعقلاً وقرباً من رسول الله ﷺ وهو أول من جهر بقراءة القرآن في مكة، كان خادم رسول الله ﷺ ورفيقه في حله وترحاله وغزواته، ولي بيت مال الكوفة وقدم المدينة أيام عصمان فتوفي فيها سنة ٣٢ له في الصحيح ٨٤٨ حديثاً. قلت: وهو الأستاذ الأكبر لفقها، العراق والمرجع الأعلى لمذهب أبي حنيفة.

(٢) الرياض النضرة وقال: خرجه أبو حاتم.

(٣) سيأتي ذكره.

(٤) قيلة بنت كاهل بن عذرة وهي أم الأوس والخزرج وهما جماع الأنصار.

(٥) ابن هشام ومعناه عند الشيخين.

(٦) ومنازلهم بقباء كما تقدم.

(٧) البخاري. وقلت: وهذا ينفي قولهم عنه ﷺ: المظلل بالغمام، ويخالف ما جاء في حديث بحيرا الراهب.

هِدْم[1] أخي عمرو بن عوف ونزل أبو بكر في رواية ابن سعد على خارجة بن زيد بن أبي زهير[2] وتزوج ابنته ولم يزل في بني الحارث ابن الخزرج بالسُّنْح حتى توفي رسول الله ﷺ والسُّنْح محل في المدينة من جهة العالية، أي من جهة نجد، وفيه منازل بني الحارث بن الخزرج وبين السنح وبين منزل النبي ﷺ ميل[3].

وأقام فيهم يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس[4] وبنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى، وكان أوَّل مسجد بُني في الإسلام وصلَّى فيه النبي ﷺ بأصحابه جماعة ظاهراً، ثمَّ خرج من قُباء يوم الجمعة فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها بمسجدهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة في بطن وادي رانوناء[5] وهو مسجد غُبَيْب فسمي مسجد الجمعة لأنها أوَّل جمعة صليت، وأوَّل خطبة خطبها في الإسلام، وهو مسجد صغير مبني بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك إلى مسجد قُباء وركب ﷺ راحلته بعد صلاة الجمعة متوجهاً إلى المدينة. وروى أنس أنَّه ﷺ أقبل إلى المدينة وهو مردف أبا بكر. فكان عليه الصلاة والسلام كلما مرَّ على دار من دُور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم: يا رسول الله هلم إلى القوة والمَنْعَةَ فيقول: «خلوا سبيلها ـ يعني ناقته ـ فإنَّه مأمورة» وقد أرخى زمامها وما يحركها، وهي تنظر يميناً وشمالاً حتى أتت دار بني مالك بن النجار فبركت على باب المسجد.

---

(١) هو كلثوم بن هدم بن امرىء القيس بن الحارث الأنصاري الأوسي، أسلم قبل وصول النبي ﷺ إلى المدينة وكان شيخاً كبيراً توفي قبل غزوة بدر وقيل إنَّه أوَّل من مات من أصحاب رسول الله ﷺ بالمدينة ولم يدرك شيئاً من مشاهده.

(٢) ابن مالك بن امرىء القيس بن مالك الأنصاري الخزرجي ذكر أنَّه شهد بدراً وقتل يوم أحد. يقال إنَّ النبي ﷺ آخى بينه وبين أبي بكر رضي الله عنهما.

(٣) معجم البلدان. قلت: وكل ذلك قد دخل في المدينة اليوم.

(٤) وعلى رواية الصحيح أنه أقام أربع عشرة ليلة ولكن الأشهر أنه أقام من الإثنين إلى الخميس.

(٥) بوزن عاشوراء ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها.

وكان ممن سأله النزول عنده عِتْبَان بن مالك[1] في بني سالم، وفروة بن عمرو[2] في بني بياضة، والمنذر بن عمرو[3] وسعد بن عبادة[4] وغيرهما في بني ساعدة، وأبو سليط[5] وغيره في بني عدي.

وكان المسجد يومئذٍ مِرْبداً لسهل وسهيل ابني رافع بن عمرو[6] وهما يتيمان في حجر أسعد بن زُرارة[7] ثمَّ ثارت الناقة وهو ﷺ عليها ومشت حتى بركت على باب أبي أيوب[8] ثمَّ ثارت وبركت في مبركها الأول وألقت جِرانها (أي باطن عنقها) بالأرض، وأرزمت (أي صوتت من غير أن تفتح فاها) ونزل عنها ﷺ وقال: هذا المنزل إن شاء الله. واحتمل أبو أيوب رحله وأدخله بيته،

---

(١) الخزرجي شهد بدراً وكان إمام قومه آخى النبي ﷺ بينه وبين عمر رضي الله عنهما مات في خلافة معاوية وقد كبر.

(٢) شهد بدراً والعقبة وكان النبي ﷺ يبعثه فيخرص النخل (يحزر تمرها) فلا يخطىء وكان يتصدق في كل عام من نخلة بألف وسق (الوسق ستون صاعاً) وكان من أصحاب علي رضي الله عنه يوم الجمل.

(٣) الخزرجي. عقبي بدري نقيب استشهد يوم بئر معونة.

(٤) هو سيد الخزرج شهد العقبة وكان أحد النقباء وكان يكتب بالعربية ويحسن العوم والرمي ويقال له الكامل وكان مشهوراً بالجود هو وأبوه وجده دليم وكانت جفنة سعد تدور مع النبي ﷺ في بيوت أزواجه وكان يعشي كل ليلة ثمانين من أهل الصفة مات بحوران سنة ١٥ وقيل ١٦ رضي الله عنه.

(٥) قيل اسمه أسير وقيل أسيرة بن عمرو وقيل غير ذلك. شهد بدراً وما بعدها من المشاهد.

(٦) شهد سهيل بدراً والمشاهد كلها ومات في خلافة عمر رضي الله عنه. ولم يشهد سهل بدراً وشهد غيرها مات قبل أخيه.

(٧) ويقال له أسعد الخير. من أول الأنصار إسلاماً شهد العقبات الثلاث وكان أصغر النقباء سناً وكان هو وذكوان بن عبد القيس أول من قدم بالإسلام المدينة. مات في السنة الأولى من الهجرة قبل بدر رضي الله عنه.

(٨) هو خالد بن زيد بن كليب الأنصاري الخزرجي النجاري شهد العقبة وبدراً وما بعدها ولزم الجهاد بعد النبي ﷺ إلى أن توفي في غزاة القسطنطينية سنة ٥٢ على الأكثر رضي الله عنه.

ودفن عند أسوارها، وما زال قبره يستصرخ المسلمين حتى فتحوها على يد السلطان العثماني العظيم محمد الفاتح. وفي هذا دليل على أن الميت يدفن حيث مات، ولا يجوز نقل جثته لدفنه في مكان آخر، ولا فعل هذا السلف الصالح.

ومعه زيد بن حارثة، وكانت دار بني النجار[1] أوسط دور الأنصار وأفضلها وكانوا أخوال عبد المطلب.

قال أبو أيوب رضي الله عنه لما نزل عليه رسول الله ﷺ حين قدم المدينة: كنت أنا وأم أيوب في العلو فلما خلوت إليها قلت لها: رسول الله ﷺ أحق بالعلو منا: تنزل عليه الملائكة، وينزل عليه الوحي، فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب. وانكسر لنا حُبٌّ (جَرَّة) فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب لقطيفة لنا مالنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفاً أن يقطر على رأس رسول الله ﷺ منه شيء يؤذيه، فلما أصبحت قلت يا رسول الله! ما بت الليلة لا أنا ولا أم أيوب. قال: وَلِمَ يا أبا أيوب؟ قلت: كنتَ أحق بالعلو منا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحي، لا والذي بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبداً[2].

وقال أنس رضي الله عنها: استقبلهما (يعني النبي ﷺ وأبا بكر رضي الله عنه) زُهاء خمسمائة من الأنصار، حتى انتهوا إليهما فقالت الأنصار: انطلقا آمنين مطاعَين. فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم، فخرج أهل المدينة حتى إنَّ العواتق لَفوق البيوت يتراءين يقلن: أيهم هو؟ أيهم هو؟ قال أنس: ولقد رأيته يوم دخل علينا ويوم قبض فما رأينا منظراً شبيهاً بهما[3].

وعن ابن عائشة[4] قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة جعل الصبيان والنساء والولائد يقولون:

---

(١) النجار اسمه تيم الله قيل له النجار لأنه ضرب رجلاً بقدوم فنجره وقيل غير ذلك ـ قاله في أسد الغابة.

(٢) الزرقاني على المواهب.

(٣) الرياض النضرة قال: خرجه الحلواني وقال صحيح.

(٤) هو عبيدالله بن محمد بن حفص التيمي البصري المعروف بالعيشي والعائشي وبابن عائشة، لأنه من ولد عائشة بنت طلحة وهو صدوق في الحديث ثقة كان من سادات أهل البصرة غير مدافع وكان عالماً بأنساب العرب فصيحاً كريماً سخياً أنفق على إخوانه أربعمائة ألف دينار مات في رمضان سنة ٢٢٨.

طلع البدر علينا من ثنيَّات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع[1]

قلت: هذا هو حديث الهجرة التي كانت فاتحة تاريخ جليل لم يكتب مثله، وكان هذا الغار النقطة الفاصلة في التاريخ بين عهد مظلم مضطرب تحتضر فيه الحضارة، وعهد زاهر سعيد ولدت فيه حضارة جديدة أضاءت للعالم طريق المجد والفلاح، وعلمت قادة أوروبة وثقفت عقولهم. ومن أجل ذلك كان المهاجرون الذين تركوا دورهم وأموالهم، وبلادهم وأوطانهم، وخرجوا مهاجرين في سبيل الله، أفضل المسلمين، وأعلاهم منزلة، وأكثرهم ثواباً. وقد بلغ من هوان الدنيا عليهم، وحب الرسول ﷺ في نفوسهم أن أحدهم وهو صهيب حين أراد الهجرة قالت له كفار قريش ـ كما يروي ابن هشام ـ أتيتنا صعلوكاً حقيراً، فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت، ثمَّ تريد أن تخرج بمالك ونفسك ـ والله لا يكون ذلك! فقال لهم: أرأيتم إن جعلت لكم مالي، أتخلون سبيلي؟ قالوا: نعم، قال: إني جعلت لكم مالي.

ثمَّ إنَّ الهجرة من دار ذل فيها المسلمون إلى دار يعتزون بها، ويقيمون بها شعائر دينهم ويؤمر فيها بالمعروف وينهى عن المنكر، من القواعد المقررة في دين الإسلام، دين العزة والقوة، دين الحياة: قال عز من قائل: ﴿إنَّ الذين توفاهُم الملائكةُ ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مُستضعفين في الأرض قالوا ألم تكنْ أرضُ الله واسعةً فتهاجرُوا فيها فأولئك مأواهم جهنمُ وساءت مصيراً. إلاَّ المُستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعُون حيلة ولا يهتدُون سبيلاً. فأولئك عسى اللَّهُ أن يعفو عنهم وكان اللَّهُ عفواً غفوراً. ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة﴾ قال في مفردات الراغب: أي مذهباً يذهب إليه إذا رأى منكراً يلزمه أن يغضب منه كقولك غضبت إلى فلان من كذا ورغمت إليه ﴿ومن يخرُج من بيته

(١) الرياض النضرة.

مُهاجراً إلى الله ورسُوله ثمَّ يُدركُه الموتُ فقد وقع أجرهُ على الله وكان اللّهُ غفوراً رحيماً﴾.

حمّى المدينة

قالت عائشة رضي الله عنها: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم، وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ، وأصابت أبا بكر وبلالاً وعامر بن فُهيرة، فاستأذنت رسول الله ﷺ في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب، فأذن لي، فدخلت عليهم وهم في بيت واحد.

فقلت له: كيف تجدك يا أبت؟ فقال:

كل امرىء مُصَبَّح في أهله والموت أدنى من شراك نِعْله[1]

(قالت) فقلت: والله ما يدري أبي ما يقول!

ثمَّ دنوت من عامر، فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول.

وكان بلال إذا أقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادٍ وحولي إذخر وجليل[2]
وهل أرِدَنْ يوماً مياه مَجَنَّةٍ[3] وهل يَبْدُوَنْ لي شامة وَطفيل[4]

---

(١) الرجز لحنظلة بن سيار قاله يوم ذي قار.

(٢) الوادي وادي مكة والإذخر حشيشها وهو ذو رائحة طيبة، والجليل نبت ضعيف وهو الثمام.

(٣) موضع على أميال من مكة. وكان به في الجاهلية سوق مشهورة.

(٤) البيتان لبكر بن غالب الجرهمي. وشامة وطفيل: جبلان بمكة، وقيل هما عينان من ماء.

قالت عائشة رضي الله عنها: فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقلت: إنَّهم ليهذون وما يعقلون من شدَّة الحمَّى فقال: اللهمَّ حَبِّب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حُمّاها فاجعلها بالجُحْفة[1].

فاستجاب الله له، حتى كانت المدينة أحبّ أليه من مكّة، كما قال السيوطي، وأضحى من يقيم بها يجد من تربتها وحيطانها (أي بساتينها) رائحة طيبة لا تكاد توجد في غيرها[2].

قال السهيلي[3]: وهذا من حبّ الوطن والحنين إليه، وقد جاء في حديث أُصَيل الغِفاري[4] أنَّه قدم من مكة فسألته عائشة: كيف تركت مكة يا أُصَيل؟ قال: تركتها حين ابيضت أباطحها، وأحجن ثمامها (بدا ورقة) وأعذق إذخرها (أزهر)، وأمشر سلمها (أي خرج ورقة) فاغرورقت عينا رسول الله ﷺ وقال: لا تشوقنا يا أُصَيل[5].

بناء المسجد النبوي

قال أنس رضي الله عنه:

كان ﷺ يحب أن يصلِّيَ حيث أدركته الصلاة ويصلي في مرابض الغنم، وإنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأٍ من بني النجار، فقال: يا بني

---

(١) شرح المواهب للزرقاني وسيرة ابن هشام وفتح الباري. والجحفة كانت قرية كبيرة على ثلاث مراحل من مكة في طريق المدينة وهي ميقات الحاج، فلما ذهبت صارت (رابغ) هي الميقات.

(٢) شرح المواهب.

(٣) هو الإمام الفقيه المحدث أبو القاسم عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي السهيلي المولود بمالقة سنة ٥٠٨ والمتوفي بمراكش سنة ٥٨١ مؤلف (الروض الأنف).

(٤) أصيل بن سفيان وقيل ابن عبدالله الهذلي وقيل الغفاري وقيل الخزاعي.

(٥) الروض الأنف وأسد الغابة والإصابة وغيرها.

النجار، ثامنوني بحائطكم هذا[١] قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلاَّ إلى الله[٢] فأبى ذلك ﷺ وابتاعه بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه[٣].

قال أنس: وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون، والنبي ﷺ معهم، وهو يقول:

اللهم لا خيــر إلاَّ خيـر الآخـرة   فـاغفـر لـلأنصـار والمهــاجـرة[٤]

وروى أنَّه ﷺ كان ينقل معهم اللَّبِن في بنائه، ويقول:

هــذا الحمــال لا حمــال خيبــر   هــذا أبــرُّ ربَّــنــا وأطــهــر[٥]

قال الزهري[٦]: ولم يبلغنا أنَّه ﷺ تمثل بشعر تام غير هذا.

عيال أبي بكر

في السنة الأولى من الهجرة بعث النبي ﷺ إلى بناته وزوجته سَوْدة بنت زَمَعة[٧]، زيدَ بن حارثة وأبا رافع[٨] فحملاهنَّ من مكة إلى المدينة، ولما

---

(١) الحائط البستان. والمثامنة المساومة والمقاولة.

(٢) أخرجه الشيخان.

(٣) المواهب اللدنية للقسطلاني وبهجة المحافل للعامري.

(٤) أخرجه الشيخان.

(٥) المواهب اللدنية، وبهجة المحافل.

(٦) هو محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري المدني أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام كان ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيهاً جامعاً وكان يقول: ما استودعت قلبي شيئاً قط فنسيته. وكان من أسخى الناس مات سنة ثلاث أو أربع وعشرين ومائة وهو ابن ٧٢ سنة. والبيت لابن رواحة.

(٧) تزوج بها ﷺ بعد موت خديجة ثم كبرت عنده فجعلت يومها لعائشة وكانت من اتبع الناس له ﷺ توفيت سنة ٥٥.

(٨) هو أبو رافع القبطي مولي رسول الله ﷺ اختلف في اسمه فقيل إبراهيم وقيل أسلم وقيل غير ذلك وكان مولي العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أسلم قبل بدر ولم يشهدها وشهد أحداً وما بعدها توفي بالمدينة في خلافة عثمان وقيل في خلافة علي رضي الله عنهم قال ابن الأثير وهو الصواب.

رجع عبدالله بن أُريقط إلى مكة أخبر عبدالله بن أبي بكر بمكان أبيه أبي بكر، فخرج عبدالله بعيال أبيه إليه، وصحبهم طلحة بن عبيدالله، معهم أم رومان وهي أم عائشة حتى قدموا المدينة رضي الله عنهم[١].

في بدر[٢]

لما خرج رسول الله ﷺ وكان بوادٍ يقال في ذَفِران[٣] أتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم، فاستشار النبي ﷺ النـاس وأخبرهم عن قريش، فقام أبو بكر رضي الله عنه فقال فأحسن، ثمَّ قام عمر بن الخطاب فقال فأحسن، ثمَّ قام المقداد بن عمرو[٤] فقال: يا رسول الله! أمض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هٰهُنَا قَاعِدُوْنَ﴾. ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا، إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغماد[٥] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه[٦].

قلت: وهذا مثال من جنود الإسلام الذين بذلوا أرواحهم لإعلاء كلمة الله ونشر دينه: كان أحدهم يرى نفسه أكبر من جيش وأقوى من أمة، لما استقر في نفوسهم من عزة الإسلام، وما عادت به عليهم عقيدة التوحيد من

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) شهد أبو بكر رضي الله عنه المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ولو سردناها كلها لطال الكتاب وخرج عن موضوعه، فاقتصرنا على ذكر ما تعلق بأبي بكر خاصة.

(٣) واد قرب الصفراء قريب من المدينة.

(٤) هو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك النهرواني وقيل الحضرمي حالف أبوه كندة فكان يقال له الكندي وتبنى الأسود بن عبد يغوث الزهري المقداد فصار يقال له المقداد بن الأسود. أسلم قديماً وتزوج ابنة عم النبي ﷺ ضباعة بنت الزبير هاجر بالهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها مات سنة ٣٣ قيل وهو ابن سبعين سنة.

(٥) قال النووي وقال إبراهيم الحربي برك الغماد وسعفات هجر كناية تقال فيما تباعد.

(٦) تاريخ الطبري والأغاني.

الثقة بالله، والرضا بقضائه والصبر على بلائه وإطاعة نبيه، حتى إذا سار بهم إلى الحبشة أو سار بهم إلى الصين، كانوا معه، وحاربوا من دونه، ولم يجدوا في أنفسهم حزناً على ما تركوا من أوطانهم، ولا خوفاً من أنَّهم في ديار غربة، لأنَّهم خرجوا في سبيل الله، والله معهم أينما كانوا، والله عليم حكيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، ولم تكن هذه الكلمة كلمة المقداد وحده ساقتها هزة الحماسة وروعة الموقف، بل كانت التعبير البليغ عن شعور المسلمين جميعاً وود كثيرون منهم لو أنَّهم سبقوه إليها، وكان لهم ثوابها وفضلها، قال عبدالله بن مسعود: لقد شهدت من المقداد مشهداً لأن أكون أنا صاحبه أحب إلي مما في الأرض من شيء! ولقد صدق عبدالله وبر، ولقد كان سبقُ أحدهم إخوانه في نصرة رسول الله وتأييد دينه، وتحمله الأذى في سبيله أحب إليه من كل ما في الدنيا من شيء... من المال والولد والجاه واللذائذ كلها... رضي الله عنهم أجمعين.

وقال سعد بنُ معاذ: يا رسول الله، نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ونعدّ عندك ركائبك، ثمَّ نلقي عدوّنا فإن أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك مما أحببنا، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك، فلحقت بمن وراءنا من قومنا، فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله، ما نحن بأشدّ حبَّاً لك منهم، ولو ظنوا أنَّك تلقي حَرْباً ما تخلفوا عنك، يمنعك الله بهم، ويناصحونك ويجاهدون معك. فأثنى عليه رسول الله ﷺ خيراً ودعا له بخير ثمَّ بنى لرسول الله ﷺ عريش فكان فيه[1].

قلت: ورسول الله ﷺ أشجع الناس قاطبة، وأثبتهم جناناً، وكان إذا حمى الوطيس، واشتد هول المعركة، احتمى صناديد الصحابة وأبطالهم به ﷺ وكان مرة فزِعٌ بالمدينة فانطلق أهل المدينة نحو الصوت فإذا هم قد تلقوا رسول الله ﷺ على فرس عري لأبي طلحة ما عليه سرج وعليه السيف، وإذا هو كان أسبقهم إلى الصوت، فجعل يقول: يا أيها الناس لن تراعوا لن

(١) تاريخ الطبري وغيره.

تراعوا! ولما حمى الوطيس، وكانت النازلة يوم حنين وانهزم من انهزم أقدم رسول الله ﷺ فغشي المشركين وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

فما رئي أشد منه. ولكن كان بقاؤه في العريش في حرب منظمة. وإشرافه على المعركة، لحكمة تقتضيها القيادة العامة، وتستلزمها المصلحة، والقائد العام اليوم لا يكون إلاَّ بعيداً عن ساحة المعركة، لأنَّه إذا تقدم لم يكن إلاَّ رجلاً من الرجال، لا يتوقف عليه نصر ولا هزيمة، أما إذا ابتعد فهو الجيش كله.

الرأي قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

وأخرج الشيخان. عن عمر بن الخطاب الله عنه أنَّه قال:

لما كان يوم بدر، نظر نبي الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف وأصحابه ثلاثمائة وسبعة عشر رجلاً، فاستقبل القبلة ثمَّ مدَّ يديه، فجعل يهتف بربه: أنجز لي ما وعدتني، اللهمَّ آتني ما وعدتني، اللهمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض أبداً. فما زال يهتف بربه، مادَّاً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثمَّ التزمه من ورائه، فقال: يا نبي الله، كفاك مناشدتك ربك، وإنَّه سينجز لك ما وعدك. حسبك يا رسول الله، قد ألححت على ربك، فخرج وهو يثب في الدرع، وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ـ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾[1].

---

(١) من رواية أخرى في البخاري. وقال السهيلي في الروض الأنف: كيف جعل. أبو بكر يأمر رسول الله ﷺ بالكف عن الدعاء ويقوى رجاءه ويثبته ومقام، رسول الله ﷺ هو المقام الأحمد ويقينه فوق يقين كل أحد؟ فسمعت شيخنا الحافظ. (قال في شرح المواهب: هو القاضي أبو بكر بن العربي) يقول في هذا: كان رسول الله ﷺ في مقام الخوف وكان صاحبه في مقام الرجاء وكلا المقامين في الفضل سواء، لا نريد أن نقول إنَّ النبي والصديق سواء ولكن الرجاء والخوف مقامان لا بد من الإيمان منها فأبو بكر كان في تلك الساعة في مقام الرجاء لله والنبي عليه الصلاة والسلام كان في مقام الخوف من الله، لأن لله أن يفعل ما شاء، فخاف =

وأنزل الله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ فأمده الله عزَّ وجل بالملائكة[1].

قال عليّ رضي الله عنه يوماً، وهو في جماعة من الناس: من أشجع الناس؟ قالوا: أنت يا أمير المؤمنين، قال: أما إني ما بارزت أحداً إلاّ انتصفت منه، ولكن أشجع الناس أبو بكر: لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله ﷺ عريشاً، وقلنا: من يكون مع النبي ﷺ لئلا يصل إليه أحد من المشركين؟، فوالله ما دنا منا أحد، إلاّ أبو بكر شاهراً السيف على رأس رسول الله ﷺ[2].

وروى ابن إسحاق أنَّ رسول الله ﷺ خفق خفقة وهو في العريش ثمَّ انتبه، فقال: أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده، على ثناياه النقع[3].

وفي رواية: هذا جبريل معتجر بعمامة صفراء، آخذ بعنان فرسه بين السماء والأرض، فلما نزل إلى الأرض، تغيّب عني ساعة، ثمَّ طلع يقول: أتاكم نصر الله. ثمَّ خرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرَّضهم، ونفّل كل

= أن لا يعبد في الأرض بعدها، فخوفه ذلك عبادة.

وأما قاسم بن ثابت فذهب في معنى الحديث إلى غير هذا وقال: إنما قال ذلك الصديق رقة على النبي ﷺ لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فقال له: بعض هذا يا رسول الله. أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر؟ وكان رقيق القلب شديد الإشفاق على النبي ﷺ.

(١) قلت: أمرنا الله بأن نعد للعدو ما استطعنا من قوة لا للنصر بل لإرهاب عدو الله وعدونا، وأنزل الملائكة في بدر بشرى لنا ولنطمئن به قلوبنا لا للنصر وما النصر إلا من عند الله، يأتي غالباً بالأسباب المعروفة، وقد يأتي بغيرها، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، وقد خاض أجدادنا عشرة آلاف معركة مظفرة وكانوا في أكثرها أقل من عدوهم عدداً وأضعف عدة، ولكنهم كانوا أكثر إيماناً وأشد صبراً.

(٢) ابن هشام وابن السمان في الموافقة والمحب الطبري في الرياض عن البزار في مسنده، وصاحب الفضائل.

(٣) سيرة ابن هشام والرياض النضرة والنقع الغبار.

امريء منهم ما أصاب، وقال: والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابراً محتسباً، مقبلاً غير مدبر، إلاَّ أدخله الله الجنَّة، فقال عُمير بن الحُمَام[1] أخو بني سلمة، وفي يده تمرات يأكلهنَّ: بخ بخ، فما بيني وبين أن أدخل الجنَّة، إلاَّ أن يقتلني هؤلاء، ثمَّ قذف التمرات من يده وأخذ سيفه، فقاتل القوم حتى قتل، وهو يقول:

ركضاً إلى الله بغير زاد إلاَّ التقي وعمل المعاد والصبر في الله على الجهاد

وكل زاد عرضة النفاد غير التقي والبرّ والرشاد[2]

ثمَّ لما كانت الهزيمة وقتل من المشركين سبعون رجلاً، وأسر سبعون رجلاً، شاور رسول الله ﷺ أبا بكر وعليَّاً وعمر رضي الله عنهم فقال أبو بكر: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوَّة، وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضُداً. فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يابْن الخطاب؟

قال عمر: قلت، لا والله، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكنني من فلان فأضرب عنقه، وتمكن حمزة[3] من أخٍ له فيضرب عنقه، وتمكن عليَّاً من عقيل[4] فيضرب عنقه، حتى يعلم الناس أنَّه ليس في قلوبنا

---

(١) هو عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام في حرب، قتله خالد بن الأعلم.

(٢) تاريخ الطبري، وسيرة ابن هشام. قلت: ولو ذهبنا نروي أخبار بدر كلها لضاق عنها هذا الكتاب، وضاقت عن تحليلها وبيان مواقف البطولة العجيبة فيها كتب كثيرة، لأن بدراً وحدها بتاريخ أمة من أمم الغرب... وإنا لنرجو أن ينصرف شباننا إلى قراءة السيرة، ويقبلوا على روايتها وتحليلها، وإنشاء الفصول الأدبية فيها، حتى يكون لنا أدب، نرفع به رؤوسنا، ونحفز به همم ناشئتنا إلى السير في هذا الطريق الذي خطه لنا خير أجداد.

(٣) هو أسد الله وسيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة أرضعته ثويبة مولاة أبي لهب، وقريبه من أمه أيضاً لأن أم حمزة بنت عم آمنة أم النبي ﷺ. ولد قبله بسنتين وقيل بأربع وأسلم في السنة الثانية من البعثة وشهد بدراً واستشهد بأحد بعد أن قتل أكثر من ثلاثين نفساً وذلك سنة ثلاث من الهجرة.

(٤) هو عقيل بن أبي طالب أخو علي رضي الله عنهما تأخر إسلامه إلى عام الفتح وقيل أسلم بعد =

هوادة للكفار. هؤلاء صناديدهم وقادتهم وأئمتهم.

وقال عبدالله بن رَواحة[1]: يا رسول الله! انظر وادياً كثير الحطب، فأدخلهم فيه، ثمَّ أضرمه عليهم ناراً[2]... فقال له العباس: قطعتك رحم!

فسكت رسول الله ﷺ فلم يجبهم ثمَّ دخل، فقال ناس: يأخذ بقول أبي بكر، وقال ناس: يأخذ بقول عمر، وقال ناس: يأخذ بقول عبدالله بن رَواحة.

ثمَّ خرج رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ الله ليلين قلوب رجال فيه، حتى تكون ألْين من اللبن، وإن الله ليشدد قلوب رجال فيه، حتى تكون أشدَّ من الحجارة. وإنَّ مثلك يا أبا بكر مثلُ إبراهيم، قال: ﴿مَنْ تَبِعَني فَإنَّهُ مِنِّي، وَمَنْ عَصَانِي فَإنَّكَ غَفُورٌ رَحِيم﴾ ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال: ﴿إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإنَّكَ أنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيْم﴾.

ومثلك يا عمر مثل نوح، قال: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِيْنَ دَيَّاراً﴾ ومثلك كمثل موسى، قال: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوْبِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيْمَ﴾.

قال عمر: فهوي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهوَ ما قلتُ. فأخذ منهم الفداء، فلما كان من الغد، غدوت على رسول الله ﷺ وهو قاعد وأبو بكر، وإذا هما يبكيان. فقلت: يا رسول الله! أخبرني ماذا يبكيك؟ فإن وجدتُ بكاءَ بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما[3].

= الحديبية، وكان عالماً بأنساب قريش ومآثرها، وكان سريع الجواب المسكت. وكان قد فارق أخاه علياً ووفد على معاوية في دين لحقة وتوفي في خلافته وقيل في أول خلافة يزيد.

(1) هو الصحابي الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، كان يكتب للنبي ﷺ وكان عظيم القدر في الجاهلية والإسلام، وهو أحد النقباء، وأحد الأمراء في غزوة مؤتة وبها استشهد سنة سبع رضي الله عنه.

(2) هذه المقالة من رواية ثانية، وكلتا الروايتين في تاريخ الطبري وعلى من يرجع إلى تاريخ الطبري أن يميِّز الصحيح من غيره لأن الطبري جمع ذلك كله في كتابه.

(3) تأمل في هذه الأخلاق.

فقال رسول الله ﷺ: لقد عرض عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة (لشجرة قريبة). وأنزل الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُوْنَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيْمٌ. لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ. فَكُلوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالاً طَيِّباً﴾.

وكان عبد الرحمن بن أبي بكر يوم بدر مع المشركين، فلما أسلم قال لأبيه: لقد أهدفتَ لي (أي أشرفت كالهدف) يوم بدر، فضفتُ عنك (أي عدلت وملت) ولم أقتلك. فقال: لكنك لو أهدفت لي لم أضف عنك[1].

قلت: وقد صدق أبو بكر رضي الله عنه فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ وما كان أبو بكر ليواد ابنه، وقد حاد الله ورسوله. ولم يكن ليبقى عليه، وهو خير الناس إيماناً بالله واليوم الآخر، ولقد قتل كثير من الصحابة آباءهم وإخوتهم، ولم يحكموا عواطفهم، لأن حكم العاطفة في موضع العقل جريمة في نظر الواجب، وليست معجزة الإسلام في هذه الفتوح الكبار وهذه الحضارة البالغة فقط... ولكن المعجزة في نفوس أصحابه: هذه النفوس التي ترفعت بالإسلام عن حضيض الشهوات وحطة الميول، ثمَّ حلقت في سماء الواجب، فلم يعد يرى فيها أثر لغير الإسلام، ولم يبق فيها بقية لهذه الميول وهذه الغرائز، التي تنحدر منها الرذائل إلى النفس الإنسانية، بل أصبح هواها تبعاً لما جاء به رسول الله ﷺ، فلا طمع إلَّا في حلال، ولا خوف إلَّا من حرام، ولا يلهي المؤمن شيء عن الله ورسوله، والجهاد في سبيله.

في أُحد

انتهى أنس بن النضر[١] (بعد الهزيمة) إلى رجال من المهاجـرين والأنصار وقد ألقـوا بأيـديهم، فقال: مـا يجلسكم؟ قالـوا: قتل رسـول الله ﷺ. . . قال: فماذا تصنعون بالحياة بعده؟ فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ! ثمَّ استقبل القوم فقاتل حتى قتل[٢].

وأوَّل من عرف رسول الله ﷺ بعد ذلك كعب بن مالك[٣] قال: عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين، أبشروا هذا رسول الله ﷺ، فأشار إليَّ رسول الله ﷺ ، أن أَنْصِتْ، فلما عرف المسلمون رسول الله ﷺ، نهضوا ونهض نحو الشعب، معه أبو بكر وعمر وعليّ وطلحة والزبير والحارث ابن الصِّمَّة[٤] في رهط من المسلمين (ثبتوا ولم ينهزموا مع من انهزم) فلما أسند رسول الله ﷺ في الشعب أدركه أبيّ بن خلف، وهو يقول:

ـ أين محمد؟ لا نجوتُ أن نجوتَ!

فقال القوم: يا رسول الله أيعطف عليه رجل منا؟

---

(١) هو أنس بن النضر بن ضمضم الأنصاري الخزرجي عم أنس بن مالك رضي الله عنهما غاب عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين والله لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فاستشهد بأحد.

(٢) سيرة ابن هشام قال أنس بن مالك (في رواية البخاري) فما عرف حتى عرفته أخته بشامة له أو ببنانه وبه بضع وثمانون بين طعنة وضربة ورمية بسهم. أي إنه لم يمت حتى ضرب زهاء تسعين ضربة بسيف ورمح وهو صابر لها. ماض في جهاده، لا تثنيه جراحة عن الواجب. . رحمة الله على هؤلاء الأبطال، وعلى هذه البطولة التي أصبحت اليوم تاريخاً يروى، وقد كانت حقيقة تشاهد! ورزقنا العبرة والتأسي. .

(٣) هو كعب بن مالك بن أبي كعب واسمه عمرو بن القين الأنصاري الخزرجي السلمي. شهد العقبة ولم يتخلف إلاَّ في غزوة بدر وتبوك وكان من شعراء رسول الله ﷺ وهو أحد الثلاثة الذين خلفوا ثم تاب الله عليهم قال ابن عساكر: مات كعب بالشام سنة خمسين وقيل إحدى وخمسين وهو ابن سبع وسبعين سنة.

(٤) هو الحارث بن الصمة بن عمرو بن عتيك الأنصاري الخزرجي بايع رسول الله ﷺ على الموت وكسر في مسيره إلى بدر فرده رسول الله ﷺ وضرب له بسهم ثم شهد بئر معونة فقتل فيها

قال: دعوه!. فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمَّة، فانتفض بها انتفاضة تطايرنا عنه تطاير الشَّعْراء (وهو ذباب صغير لاذع) عن ظهر البعير، ثمَّ استقبله فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ (تدحرج وسقط) منها عن فرسه مراراً، وكان أُبيٌّ يلقى رسول الله ﷺ بمكة فيقول: يا محمد، إنَّ عندي العوذْ (فرسه) أعلفه كل يوم فَرْقاً (هو مكيال) من ذرة، أقتلك عليه، فيقول رسول الله ﷺ: بل أنا أقتلك إن شاء الله.

فلما رجع إلى قريش، وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير، فاحتقن الدم قال: قتلني والله محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك. والله إنْ بك من بأس.

قال: إنَّه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بَصَق عليَّ لقتلني.

فمات عدوّ الله بسرف[1] وهم قافلون به إلى مكة ولم ينقل أنَّه ﷺ قتل أحداً غيره[2].

وأشرف أبو سفيان على النبي ﷺ وأصحابه وهم بالشعب فقال:
أفي القوم محمد؟ فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه (مرتين).
ثمَّ قال: أفي القوم ابن أبي قُحافة؟ (ثلاثاً).
فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه.
ثمَّ قال: أفي القوم ابن الخطاب؟ (ثلاثاً).
فقال رسول الله ﷺ: لا تجيبوه.

ثمَّ التفت إلى أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، لو كانوا في الأحياء لأجابوا. فلم يملك عمر بن الخطاب نفسه أن قال: كذبت يا عدوَّ الله، فقد أبقى لك الله ما يخزيك.

---

(١) موضع قيل هو على ستة أميال من مكة وقيل أبعد من ذلك.
(٢) ابن هشام والطبري وبهجة المحافل وحياة الحيوان.

فقال أبو سفيان: اعلُ هُبَل[١]. فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال: قولوا، الله أعلى وأجل.

قال أبو سفيان: ألا لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم، فقال رسول الله ﷺ: أجيبوه، قالوا: ما نقول؟ قال قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم.

قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر والحرب سجال، أما إنكم ستجدون في القوم مُثلاً، لم آمر بها ولم تسؤني، وفي رواية أن عمر لما أجاب أبا سفيان قال له أبو سفيان: هلم يا عمر، فقال له رسول الله ﷺ: ائته فانظر ما شأنه؟ فجاءه فقال له أبو سفيان: أنشدك الله يا عمر، أقتلنا محمداً؟ قال عمر: اللهمَّ لا، وإنَّه ليسمع كلامك الآن، فقال: أنت أصدق عندي من ابن قَميئة[٢] وأبرّ (لقول ابن قميئة لهم إني قتلت محمداً)[٣].

ومرَّ رسول الله ﷺ وهو راجع بامرأة من بني دينار، قد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بأُحد، فلما نُعوا لها. قالت: فما فعل رسول الله؟ قالوا: خيراً يا أمّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين. قالت: أرونيه حتى أنظر إليه، فأشير لها إليه حتى إذا رأته، قالت: كل مصيبة بعدك جَلَل (أي هينة)[٤].

---

(١) هبل: من أعظم أصنام قريش وكان في جوف الكعبة وكانوا يعبدونه. واللات صنم ثقيف بالطائف يعظمه جميع العرب. والعزى سمرة لغطفان يعبدونها وكانت بواد من نخلة الشامية. وقد نقل أن عمرو بن لحي جاء بهبل من الحمّة في الشام التي صارت الآن بيد اليهود وسنستردها إن شاء الله.

(٢) اسمه عبدالله الليثي وهو الذي رمى رسول الله ﷺ فشج وجهه فظن أنَّه قتله وقال حين رماه: خذها وأنا ابن قميئة فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم عن وجهه: مالك أقمأك الله، فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة ـ فتح الباري.

(٣) تاريخ الطبري وفتح الباري وبهجة المحافل.

(٤) تاريخ الطبري. قلت: أوردت هذا الخبر وليس فيه حديث عن أبي بكر لأضع بين أيدي القراء مثالاً من إيمان النساء وعزيمتهنَّ وسمو نفوسهن، حتى يعلموا أن تاريخ الصدر الأول للإسلام، لا ينطوي إلَّا على فضيلة ومكرمة، وأنَّ امرأة لا يشغلها قتل زوجها وأخيها وأبيها وبقاؤها وحيدة فريدة، عن إيمانها وحبها رسول الله ﷺ، ولا تلهيها هزة المصيبة عن الواجب عليها، =

وفي الحديث أنَّ أبا بكر قال في يوم أحد: فنظرت إلى حلْقة من درع قد نشبت في جبين رسول الله ﷺ فانكببت لأنزعها، فأقسم عليٌّ أبو عبيدة، فأزم بها (عضها) أبو عبيدة فجذبها جذباً رفيقاً فانتزعها، وسقطت ثنيته[1]!

حديث الإفك

هذا الحديث الذي حدثت به أم المؤمنين منطلقة على سجيتها هو في الواقع قصة أدبية كاملة، فيها كل صفات القصة، ومثله حديث كعب ابن مالك لمَّا تخلّف عن تبوك، وحديث عمر لمَّا قيل له إن رسول الله طلَّق نساءه.

قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فلما كانت غزوة بني المُصْطَلق[2] أقرع بين نسائه كما كان يصنع، فخرج سهمي عليهنَّ، فخرج بي رسول الله ﷺ، قالت: وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العُلَقَ[3] لم يهبجهنَّ[4] اللحم فيثقلن. قالت: وكنت إذا رحل بعيري جلست في هودجي ثمَّ يأتي القوم الذين يرحلون هودجي في بعيري ويحملوني، فيأخذون بأسفل الهودج

= فتتلقاها بصدر رحب قد ملىء إيماناً، وصبر لا يضيق بخطب، لهي امرأة لا يعرفها التاريخ إلَّا في التاريخ الإسلامي. امرأة من غمار الناس لم تذكرها السيرة إلَّا عرضاً، تدل بأشرف الصفات وأعلاها، وتكشف من نفسها عن عظمة قد لا نجدها من كبار الرجال، فما بالك بشهيرات النساء، وما بالك بعظماء الرجال في التاريخ الإسلامي؟.

اللهم إنَّه لو لم يظفر المسلمون، ولو لم يفتحوا الدنيا، ولو كانت هزيمة أحد باقية لم يمحها ألف ظفر... لمحتها هذه المرأة بموقفها هذا، ولكان المسلمون بهزيمتهم، أشرف وأكبر من المشركين في نصرهم لو أنهم انتصروا.

(١) الكامل للمبرد.

(٢) وكانت سنة ست وقيل سنة خمس. والمصطلق لقب واسمه جذيمة بن سعد بن عمرو ابن ربيعة بطن من بني خزاعة.

(٣) وفي رواية العلقة (بالإفراد) من الطعام وهي البلغة من العيش.

(٤) قال السهيلي: التهبيج انتفاخ اللحم وقد يكون لسمن وقد يكون من آفة.

فيرفعونه فيضعونه على ظهر البعير، فيشدونه بحباله، ثمَّ يأخذون برأس البعير فينطلقون به. قالت: فلما فرغ رسول الله ﷺ من سفره ذلك وجَّه قافلاً، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلاً فبات فيه بعض الليل، ثمَّ أذَّن في الناس بالرحيل. فلما ارتحل الناس خرجت لبعض حاجتي، وفي عنقي عقدٌ لي فيه جَزْع ظَفَارِ[1] فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري، فلما رجعت إلى الرحل جعلت ألتمسه في عنقي فلم أجده، ولقد أخذ الناس في الرحيل. قالت: فرجعت عودي على بدئي إلى المكان الذي ذهبت إليه فالتمسته حتى وجدته، وجاء خلافي (بعدي) القومُ الذين كانوا يرحلون لي البعير وقد فرغوا من رحلته، فأخذوا الهودج وهم يظنون أني فيه كما كنت أصنع، فاحتملوه فشدوه على البعير ولم يشكوا أني فيه ثمَّ أخذوا برأس البعير فانطلقوا به، ورجعت إلى العسكر وما فيه داعٍ ولا مجيب، قد انطلق الناس، فتلففت بجلبابي ثمَّ اضطجعت في مكانيَ الذي ذهبت إليه، وعرفت أن لو قد افتقدوني قد رجعوا إليَّ، قالت: فوالله إني لمضطجعة إذ مرَّ بي صفوان بن المُعَطَّل السُّلَمي[2] وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته فلم يبت مع الناس في العسكر، فلما رأى سوادي (شخصي) أقبل حتى وقف عليَّ فعرفني، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب. فلما رآني قال: إنا لله وإنَّا إليه راجعون، أظعينة رسول الله؟ وأنا متلففة في ثيابي، قال: ما خَلَّفَكِ رحمك الله؟ فما كلمته، ثمَّ قرب البعير فقال: اركبي رحمك الله، واستأخر عني، قالت: فركبت وجاء فأخذ برأس البعير فانطلق بي سريعاً يطلب الناس، فوالله ما أدركنا الناس وما افتقدت حتى أصبحت ونزل الناس، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقودني فقال أهل الإفك فيَّ ما قالوا فارتعج (قلق) العسكر ووالله ما أعلم بشيء من ذلك، ثمَّ قدمنا المدينة فلم أمكث أن

---

(١) الجزع: الخرز، وظفار: مدينة باليمن ينسب إليها الجزع وبها كان مسكن ملوك حمير.

(٢) هو صفوان بن المعطل بن ربيضة بن خزاعي السلمي شهد الخندق والمشاهد ويقال أول مشاهده المريسيع وهي غزوة بني المصطلق وشهد فتح دمشق واختلف في وفاته فقيل في خلافة عمر وقيل في خلافة معاوية والأكثر أنه مات شهيداً رضي الله عنه.

اشتكيت شكوى شديدة، ولا يبلغني من ذلك، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله ﷺ وإلى أبوي ولا يذكران لي من ذلك قليلاً ولا كثيراً، إلاَّ أني قد أنكرت من رسول الله ﷺ بعض لطفه بي: كنت إذا اشتكيت رحمني ولطف بي، فلم يفعل ذلك في شكواي تلك، فأنكرت منه وكان إذا دخل عليٍّ وأمي تمرِّضني قال: كيف تيكم؟ لا يزيد على ذلك. حتى وجدت في نفسي، مما رأيت من جفائه عني، فقلت له: يا رسول الله، لو أذنت لي فانتقلتُ إلى أمي فمرَّضتني، قال: لا عليك! فانتقلت إلى أمي، ولا أعلم بشيء مما كان حتى نَقِهْتُ من وجعي بعد بضع وعشرين ليلة. وكنا قوماً عرباً، لا نتخذ في بيوتنا هذه الكُنُف التي تتخذها الأعاجم، نعافها ونكرهها، إنما كنا نخرج في فُسح المدينة، كان النساء يخرجن كل ليلة في حوائجهنَّ، فخرجت ليلة لبعض حاجتي، ومعي أم مِسْطح بنت أبي رُهم بن عبد المطلب، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب، خالة أبي، فوالله إنها لتمشي معي إذ عثرت في مِرْطها[1] فقالت: تعِسَ مِسْطح[2]. قلت: بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً.

قالت: أوما بلغك الخبر يا بنت أبي بكر؟!

قلت: وما الخبر؟

فأخبرتني بالذي كان من قول أهل الإفك، قلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله لقد كان! فوالله ما قدرت على أن أقضي حاجتي، ورجعت فما زلت أبكي، حتى ظننت أنَّ البكاء سيصدع كبدي وقلت لأمي: يغفر الله لك، تحدث الناس بما تحدَّثوا به، وبلغك ما بلغك، ولا تذكرين لي من ذلك شيئاً؟.

---

(١) المرط: كساء من خز أو صوف جمعه مروط.

(٢) هو مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب كان اسمه عوفاً وأما مسطح فلقبه واسم أمه سلمى ويقال ريطة ويقال رائطة وكان هو وأمه من المهاجرين الأولين مات أبوه وهو صغير فكفله أبو بكر رضي الله عنه لقرابة أمه منه وأخرج أبو داود عن عائشة أن النبي ﷺ جلد الذين قذفوها وعده منهم وقيل لم يجلد أحد مات سنة ٣٤ ويقال شهد مع علي رضي الله عنه صفين ومات في تلك السنة ٣٧.

قالت: أي بنية! خفضي عليك الشأن، فوالله لقلَّما كانت امرأة حسناء، عند رجل يحبُّها، لها ضرائر إلَّا كثَّرن وكثّر الناس عليها.

قالت: وقد قام رسول الله ﷺ في الناس يخطبهم، ولا أعلم بذلك، ثمَّ قال: «أيها الناس! ما بال رجال يؤذونني في أهلي، ويقولون عليهنَّ غير الحق، والله ما علمت منهنَّ إلَّا خيراً، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلَّا خيراً، وما يدخل بيتاً من بيوتي، إلَّا وهو معي».

وكان كبر ذلك عبدالله بن أُبيّ بن سلول[1]، في رجال من الخزرج، مع الذي قال مِسطح، وحَمْنه بنت جحش[2] وذلك أن أختها زينب بنت جحش[3] كانت عند النبي ﷺ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلَّا خيراً، وأما حمنة فأشاعت من ذلك ما أشاعت، تضارّني لأختها زينب، فشقيت بذلك. فلما قال رسول الله ﷺ تلك المقالة، قال أُسَيْد بن حُضَير[4] (أخو بني عبد الأشهل): يا رسول الله! إن يكونوا من الأوس نكفكهم، وإن

---

(١) هو عبدالله بن أبي مالك بن الحارث وسلول أمه كان من أشراف الخزرج وكانت الخزرج قد اجتمعت على أن يتوجوه ويسندوا أمرهم إليه فلما جاء الله بالإسلام أخذته العزة فلم يخلص الإسلام وأضمر النفاق حسداً وبغياً فكان رأس المنافقين، مات بعد منصرفهم من تبوك سنة تسع وصلَّى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾ فما صلَّى رسول الله ﷺ على منافق بعده حتى قبضه الله ولا قام على قبره.

(٢) حمنة بنت جحش بن رياب الأسدية وهي وأختها زينب ابنتا عمة رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب كانت حمنة من المبايعات وشهدت أحداً فكانت تسقي العطشى وتحمل الجرحى وتداويهم.

(٣) هي أم المؤمنين تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة وفيها نزلت ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ الآية وكانت صوامة قوامة صناع اليد تعمل بيدها وتتصدق بذلك على المساكين قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيت امرأة قط خيراً في الدين من زينب وأتقى لله وأصدق حديثاً وأوصل للرحم وأعظم أمانة وصدقة وكانت أول نساء النبي ﷺ لحوقاً به توفيت سنة عشرين وهي بنت خمسين.

(٤) هو أسيد بن حضير بن سماك بن العتيك الأنصاري الأوسي، كان من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة وكان أبو بكر رضي الله عنه يكرمه ولا يقدم عليه أحداً من الأنصار وكان شريفاً كاملاً مات سنة عشرين وقيل ٢١.

يكونوا من إخواننا من الخزرج فمرنا بأمرك، فوالله إنَّهم لأهل أن تضرب أعناقهم.

فقام سعد بن عُبادة، وكان قبل ذلك يُرى رجلاً صالحاً ولكن احتملته (أي أغضبته) الحمية. فقال: كذبت لعمر الله! لا تضرب أعناقهم، أما والله ما قلت هذه المقالة إلَّا أنَّك قد عرفت أنَّهم من الخزرج، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا.

قال أُسيد: كذبت لعمر الله! ولكنك منافق تجادل عن المنافقين.

وتثاور الناس، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شرّ، ونزل رسول الله ﷺ، فدخل عليَّ فدعا عليَّ بن أبي طالب، وأسامة بن زيد[1]، فاستشارهما فأما أسامة، فأثنى خيراً وقاله، ثمَّ قال: يا رسول الله. أهلك ولا نعلم عليهنَّ إلَّا خيراً، وهذا الكذبُ والباطل.

وأما عليٌّ فإنَّه قال: يا رسول الله، إنَّ النساء لكثير، وإنك لقادر على أن تستخلف، وسَلِ الجارية فإنَّها تصدقك. فدعا رسول الله ﷺ بَريرة[2] يسألها فقام إليها عليٌّ فضربها ضرباً شديداً[3]، وهو يقول: أصدقى رسول الله. فتقول والله ما أعلم إلَّا خيراً. وما كنت أعيب على عائشة إلَّا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله.

---

(١) أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي حب رسول الله ﷺ وابن حبه. وأمه أم أيمن حاضنة النبي ﷺ ولد في الإسلام ومات النبي ﷺ وله عشرون سنة وكان أمره على جيش عظيم فأنفذه أبو بكر رضي الله عنه واعتزل الفتن إلى أن مات في أواخر خلافة معاوية وكان قد سكن المزة من عمل دمشق ثمَّ نزل إلى المدينة فمات بها سنة ٥٤.

(٢) كانت بريرة مولاة لقوم من الأنصار فاشترتها عائشة رضي الله عنها فأعتقتها وكان زوجها مغيث مولى فخيرها رسول الله ﷺ فاختارت فراقه وكان يحبها فكان يمشي في طرق المدينة وهو يبكي واستشفع إليها برسول الله ﷺ فقال لها فيه فقالت: أتأمر؟ قال: بل أشفع قالت فلا أريده. وكان عبد الملك بن مروان يجالسها في المدينة قبل أن يلي الخلافة وحدثته.

(٣) قال السهيلي: أما ضرب علي للجارية وهي حرة، ولم تستوجب ضرباً، ولا استأذن رسول الله ﷺ في ضربها، فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول، وتوعدها بالضرب، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله، فكتمت من الحديث ما لا يسعها كتمه.

ثمَّ دخل على رسول الله ﷺ وعندي أبواي وعندي امرأة من الأنصار وأنا أبكي وهي تبكي معي فجلس فحمد الله وأثنى عليه ثمَّ قال: يا عائشة إنَّه قد كان ما بلغك من قول الناس فاتقي الله، وإن كنت قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبي إلى الله فإنَّ الله يقبل التوبة عن عباده. قالت: والله ما هو إلَّا أن قال ذلك فقلص دمعي حتى ما أحسُّ منه شيئاً وانتظرت أبويّ أن يجيبا رسول الله ﷺ فلم يتكلما. قالت: وايمُ الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل الله فيَّ قرآناً يُقرأ به في المساجد ويصلي به، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من براءتي أو يخبر خبراً. فأما قرآن ينزل فيَّ فوالله لنفسي كانت أحقر عندي من ذلك. فلما لم أر أبويَّ يتكلمان قلت: ألا تجيبان رسول الله؟ فقالا لي: والله ما ندري بماذا نجيبه (قالت) وأيم الله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام. قالت: فلما استعجما علي استعبرت فبكيت ثمَّ قلت: والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً، والله لئن أقررت بما يقول الناس والله يعلم أني منه بريئة لأقولن ما لم يكن، ولئن أنا أنكرت ما تقولون لا تصدقونني قالت: ثمَّ التمست اسم يعقوب فما أذكره فقلت: ولكني أقول كما قال أبو يوسف: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَالله الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُوْنَ﴾ قالت: فوالله ما برح رسول الله ﷺ مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه فسجى بثوبه ووضعت وسادة من أُدَم (جلد) تحت رأسه. فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت فوالله ما فزعت كثيراً ولا باليت، قد عرفت أني بريئة وأن الله غير ظالمي، وأما أبواي فوالذي نفسي عائشة بيده ما سرى عن رسول الله ﷺ حتى ظننت لتخرجن أنفسهما فَرَقاً أن يأتي من الله تحقيق ما قال الناس، قالت: ثمَّ سرى عن رسول الله ﷺ فجلس وإنه ليتحدر مثل الجُمان (اللؤلؤ) في يوم شاتٍ ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ويقول: أبشري يا عائشة، فقد أنزل الله براءتك. فقلت: بحمد الله.

ثمَّ خرج إلى الناس فخطبهم، وتلا عليهم ما أنزل الله عز وجل من

القرآن فيَّ: ﴿إِنَّ الَّذِيْنَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَكُمْ﴾ العشر الآيات[1].

فقال أبو بكر رضي الله عنه (وكان ينفق على مِسطح لقرابته منه وحاجته): والله لا أنفق على مِسطح شيئاً أبداً، ولا أنفعه بنفع بعد الذي قال لعائشة، وأدخل علينا ما أدخل. فأنزل الله عزَّ وجل في ذلك: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِيْنَ وَالْمُهَاجِرِيْنَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُو وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

قال أبو بكر: والله إني لأُحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مِسطح نفقته التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً[2].

قلت: هذه هي قصة الإفك الذي افترى على السيدة عائشة مفخرة النساء وأفضلهنَّ علماً وخلقاً وديناً ومكانة من رسول الله ﷺ، وهي قصة جاء بها قوم من المنافقين وصدق بها قوم من المؤمنين منافسة لعائشة وحسداً لها، وخطأ منهم. ثمَّ ثبتت براءتها بأصدق دليل ممكن بنص القرآن، فلم يبق مؤمن ولا كافر عاقل، يقول بتهمة السيدة أو يرضى بها[3]. وإنَّ امرأة من وسط الناس ربيت في بيت شرف وفضيلة يستحيل في حقها فعل الذي اتهموا به عائشة، فما بالك بسيدة النساء شرفاً وسمواً وفضلاً: قالت امرأة أبي أيوب الأنصاري: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب. أكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله، ما كنت لأفعله! قال: فعائشة والله خير منك.

---

(١) قال الزمخشري: لم يقع في القرآن من التغليظ في معصية ما وقع في قصة الإفك... بل ما وقع فيه من وعيد عبدة الأوثان إلَّا بما هو دون ذلك. وما ذلك إلَّا لإظهار علو منزلة رسول الله ﷺ وتطهير من هو منه بسبيل.

(٢) ابن هشام والطبري، والحديث متفق عليه وهو في الصحيحين.

(٣) والقصة تدل على فساد قول الناس (لا دخان من غير نار) وعلى أن من الممكن نشر قالة السوء عن الأفاضل الأخيار.

ثم إنَّه قد ثبت كما روى الطبري أنَّ صفوان هذا رجل حصور (أي عاجز جنسياً) ما يأتي النساء فلم يبق ذرة من الشك في كذب هذه التهمة الشنيعة، إلاَّ في رأس عدو للإسلام لا يبالي بما ترك من الحق، وما أهمل من عقله، إذا هو وصل إلى شيء ينال به من الإسلام، أو يحسب أنه ينال به منه، ولا يعنيه ما هدم من التاريخ، فيما رفع من الخيال، شأن هؤلاء الأعاجم «المستشرقين» حين يتكلمون في الإسلام وفي علوم الإسلام، فإنَّهم إن وصلوا إلى حقيقة فهي التي قالها علماء المسلمين منذ الأمد الأطول، وإذا أتوا بجديد، فهو الأخذ بالوهم، وإن هؤلاء المستشرقين ـ حاشا طائفة منهم قليلة ـ لا يزالون من أعلم الناس، وأصحهم رأياً، وأنفذهم بصيرة، ما لم يعمدوا إلى تحليل الإسلام والاستنباط من أصوله، فإذا فعلوا، رأيتهم قد ساروا على رؤوسهم، وأكرهوا الحقيقة على غاياتهم، وكانوا من أجهل الناس.. يدلك على هذا ما قالوه عند الكلام على حديث الإفك، الذي حاولوا أن يفهموه بعقول لم تعرف ضياء الإيمان، ولم تدرك سر الإسلام، ولم تقف على كنه نفوس العرب، ولا فضيلة الصحراء، فكان جل ما فهموه أن حال عائشة السيدة الشريفة التي لم تعرف أوروبة امرأة من طرازها... كحال من يعرفون من النساء!

إنهم كاليهود الأنجاس الذين قالوا ما قالوه في مريم أم عيسى الطاهرة المطهرة، ولكن الله غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً، فمن تاب منهم تاب الله عليه وغفر له.

في الحديبية

لما كان صلح الحديبية قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

أتيت النبي ﷺ يوم الحديبية فقلت: يا رسول الله! ألست نبي الله حقَّاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيَّة في ديننا؟ فقال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري. قلت: أولست كنت تحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: أو أخبرتك أنا

نأتيه العام؟ قلت: لا. قال: فإنَّك آتيه ومطوف به.

فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر! أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحق وعدوّنا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنيَّة في ديننا؟ قال: أيها الرجل! إنَّه رسول الله وليس يعصيه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه (اعتلق به ولا تخالفه) فوالله إنَّه على الحق. قلت أوليس كان يحدثنا أننا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: أفأخبرك أنَّك تأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنَّه آتيه ومطوف به[1].

سرية أبي بكر

بعث رسول الله ﷺ خمس سرايا بين خيبر والعمرة، وكانت الثانية سرية أبي بكر الصديق إلى بني كلاب بنجد بناحية ضَرِيَّة[2] في شعبان سنة سبع ويقال إلى بني فزارة وهو الصواب فسبى منهم جماعة وقتل آخرين[3].

قال سلمة بن الأكوع:[4]

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر إلى فَزارة وخرجت معه حتى إذا صلينا الصبح أمرنا فشنَنَّا الغارة، فوردنا الماءَ فقتل أبو بكر (أي جيشه) من قتل، ورأيت طائفة معهم الذراري، فخشيت أن يسبقوني إلى الجبل، فأدركتهم ورميت بسهم بينهم وبين الجبل، فلما أروا السهم وقفوا، وفيهم امرأة وهي أم

---

(١) البخاري ومسلم. قال ابن القيم في روضة المحبين: أجاب على جواب رسول الله ﷺ حرفاً بحرف، من غير تواطؤ ولا تشاعر، بل موافقة محب لمحبوب.

(٢) قرية لبني كلاب على طريق البصرة إلى مكة أقرب.

(٣) المواهب اللدنية عن ابن سعد والواقدي.

(٤) هو سلمة بن عمرو بن الأكوع واسمه سنان بن عبدالله السلمي أبو مسلم. بايع تحت الشجرة أول الناس وأوسطهم وآخرهم على الموت. وكان شجاعاً رامياً يسابق الفرسان على قدميه محسناً خيراً. مات سنة ٧٤ عن ثمانين سنة.

قرْفة[1] معها ابنتها وهي من أحسن العرب فجئت بهم أسوقهم إلى أبي بكر فنفلني أبو بكر ابنتها، فلم أكشف لها ثوباً، فقدمنا المدينة فلقيني رسول الله ﷺ، فقال: يا سلمة هب لى المرأة لله أبوك. فقلت: هي لك فبعث بها إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا في أيدي المشركين[2].

قال سلمة: فقتلت بيدي سبعة أهل أبيات، وكان شعارنا: أمِتْ. أمِتْ[3].

في خيبر وتبوك:

كانت الراية العظمى يوم تبوك في يد أبي بكر رضي الله عنه وكانت سوداء وأطعمه رسول الله ﷺ بخيبر مائة وَسْق من الغنائم[4].

في حنين

قال جابر بن عبدالله رضي الله عنه[5]:

لما استقبلنا وادي حنين[6]، انحدرنا في وادٍ من أودية تهامة، أجوف

---

(١) هي فاطمة بنت ربيعة بن بدر زوجة مالك بن حذيفة بن بدر وكان يضرب بها المثل في العز والمنعة فيقال: أمنع أو أعز من أم قرفة لأنه كان يعلق في بيتها خمسون سيفاً لخمسين رجلاً كلهم محرم لها قتلت في هذه السرية وهي عجوز كبيرة. وأما ابنتها فهي أم زمل سلمى بنت مالك، عظمت شوكتها في أيام الردة فسار إليها خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتلت وهي على جمل أمها وقتل حول جملها مائة رجل ـ انظر كتاب خالد بن الوليد الذي طبعته المكتبة العربية.

(٢) المواهب اللدنية عن صحيح مسلم. ورواه ابن سعد أيضاً مسنداً.

(٣) ابن سعد.

(٤) ابن عساكر وابن سعد وابن هشام والطبري.

(٥) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام الخزرجي السلمي. شهد مع أبيه العقبة الثانية وهو صبي قال: لم أشهد بدراً ولا أحداً منعني أبي فلما قتل يوم أحد لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة قط. قيل: شهد ثماني عشرة غزوة وشهد صفين مع علي رضي الله عنه وعمي في آخر عمره ومات سنة أربع وقيل سبع وسبعين وقيل أكثر من ذلك وعمره ٩٤ سنة وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد العقبة رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين.

(٦) حنين في جهة الشرائع، وقد وصل عمران مكة إليها الآن.

حطوط (أي منحدر)، إنَّما ننحدر فيه انحداراً، وفي عَمَاية الصبح، وكان القوم قد سبقوا إلى الوادي، فكمنوا لنا في شعابه، وأحنائه ومضايقه، قد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا فوالله ما راعنا ونحن منحطون، إلاَّ الكتائب قد شدَّت علينا شدَّة رجل واحد، وانهزم الناس أجمعون، فانشمروا لا يلوي أحد على أحد.

وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثمَّ قال: أين أيها الناس؟ هلمَّ إليَّ! أنا رسول الله! أنا محمد بن عبدالله!

قال جابر: فلا شيء. احتملت الإبل بعضها بعضاً، فانطلق الناس، إلاَّ أنَّه بقي مع رسول الله ﷺ نفر من المهاجرين والأنصار، وأهل بيته، وممن ثبت معه من المهاجرين: أبو بكر وعمر، ومن أهل بيته: عليّ بن أبي طالب والعباس[1] وابنه الفضل وأبو سفيان بن الحارث وربيعة بن الحارث[2] وأسامة بن زيد.

فلما رأى رسول الله ﷺ الناس لا يلوون على شيء، قال: يا

---

(١) هو العباس بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ. ولد قبله بسنتين وقيل بثلاث وكان إليه في الجاهلية السقاية والعمارة أما السقاية فمعروفة وأمَّا العمارة فإنَّه كان لا يدع أحداً يسب في المسجد الحرام ولا يقول فيه هجراً، وكان ملأ قريش قد اجتمعوا على ذلك وتعاقدوا فكانوا له أعواناً عليه. وكان ممن خرج مع المشركين يوم بدر مكرهاً، وأسر يومئذٍ فيمن قد أسر، وكان قد شد وثاقه، فسهر النبي ﷺ تلك الليلة ولم ينم، فقال له بعض أصحابه: ما يسهرك يا نبي الله؟ فقال: أسهر لأنين العباس. فقام رجل من القوم فأرخى وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: مالي لا أسمع أنين العباس؟ فقال الرجل: أنا أرخيت من وثاقه، فقال رسول الله ﷺ: فافعل ذلك بالأسرى كلهم. ثم فدى نفسه وابني أخويه وأسلم عقيب ذلك وقيل أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه. وكان وصولاً لأرحام قريش محسناً إليهم ذا رأي سديد وعقل غزير وكان النبي ﷺ يعظمه ويكرمه، واستسقى به عمر رضي الله عنهما عام الرمادة أي استسقى بدعائه فسقاهم الله تعالى. وأضر في آخر عمره ومات رضي الله عنه بالمدينة سنة ٣٢.

(٢) هما ابنا عم رسول الله ﷺ أما ربيعة فقد كان أسن من عمه العباس بسنين وشريك عثمان في التجارة في الجاهلية قيل مات سنة ٣٢ بالمدينة. وأما أبو سفيان فهو أخو النبي ﷺ من الرضاعة أرضعتهما حليمة قيل اسمه المغيرة وكان يشبه رسول الله ﷺ، وكان ممن يؤذيه ويهجوه، وكان شاعراً، ثم أسلم في الفتح وحسن إسلامه، واعتذر مما مضى، ورثى النبي ﷺ حين وفاته. توفي سنة ٢٠ رضي الله عنه.

عباس[1]! اصرخ: يا معشر الأنصار! يا أصحاب السَّمُرة فناديت: يا معشر الأنصار! يا معشر أصحاب السَّمُرة!

فأجابوا: لبيك... لبيك...

(قال) فيذهب الرجل منهم يريد ليثني بعيره، فلا يقدر على ذلك، فيأخذ درعه، فيقذفها في عنقه، ويأخذ سيفه وترسه، ثمَّ يقتحم عن بعيره فيخلي سبيله في الناس، ثمَّ يؤمّ الصوت، حتى ينتهي إلى رسول الله ﷺ، حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة رجل، استقبلوا الناس فاقتتلوا.

قال عبدالله بن أبي بكر رضي الله عنهما:

فالتفت رسول الله ﷺ فرأى أم سُليم بنت مِلْحَان[2]، وكانت مع زوجها أبي طلحة[3]، حازمة وسطها ببُردٍ لها وإنها لحامل، ومعها جمل أبي طلحة، وقد خشيت أن يَعُزّها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها في خزامه مع الخطام.

ـ فقال رسول الله ﷺ: أم سُليم؟

ـ قالت: نعم بأبي أنت وأمي يا رسول الله. أَقتل هؤلاء الذين يفرُّون عنك، كما تقتل هؤلاء الذين يقاتلونك، فإنَّهم لذلك أهل[4].

---

(١) وكان العباس امرءاً جسيماً شديد الصوت.

(٢) هي أم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ اشتهرت بكنيتها واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل غير ذلك، أسلمت مع السابقين إلى الإسلام من الأنصار فغضب زوجها مالك بن النضر وخرج إلى الشام فمات بها، فخطبها بعده أبو طلحة قبل أن يسلم فقالت إن أسلمت فإني لا أريد منك صداقاً غيره، ثم أسلم وتزوجها فكان صداقها الإسلام، وكان رسول الله ﷺ يزورها، وكانت تغزو معه، وكانت من عقلاء النساء.

(٣) هو زيد بن سهل بن الأسود الأنصاري الخزرجي مشهور بكنيته وهو القائل:

أنا أبو طلحة وأسمى زيد ... وكل يوم في سلاحي صيد

كان من فضلاء الصحابة، وكان يرمي بين يدي النبي ﷺ يوم أحد وقال له: نحري دون نحرك، وقال النبي ﷺ: لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة واختلف في وفاته فقيل: عاش بعد النبي ﷺ أربعين سنة وقيل مات سنة ٣٤ وصلى عليه عثمان رضي الله عنهما وقيل غير ذلك.

(٤) أما تراها سنت قاعدة من قواعد الحرب، حين جعلت تقتل من ينهزم؟

ـ فقال رسول الله ﷺ: أويكفي الله يا أمّ سُليم؟ ومعها خنجر في يدها! فقال لها أبو طلحة: ما هذا معك يا أمّ سْليم؟

ـ قالت: خنجر، أخذته معي: إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به.

ـ فقال أبو طلحة: ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أمّ سُليم الرُّمَيصاء؟..[1].

وفد ثقيف

لما انصرف رسول الله ﷺ عن أهل الطائف، اتبع أثره عروة بن مسعود[2]، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام، فقال رسول الله ﷺ: إنَّهم قاتلوك (وعرف رسول الله ﷺ أنَّ فيهم نخوة، بالامتناع الذي كان منهم).

ـ فقال له عروة: يا رسول الله! أنا أحب إليهم من أبكارهم (وكان فيهم كذلك محبَّباً مطاعاً).

فخرج يدعو قومه إلى الإسلام، ورجا أن لا يخالفوه، لمنزلته فيهم، فلما أشرف لهم، على عُلِّيةٍ (غرفة) له، وقد دعاهم إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كل وجه، فأصابه سهم فقتله.

فقيل له: ما ترى في دمك؟

---

(١) تاريخ الطبري وسيرة ابن هشام. وكلمة الرميصاء كلمة مباسطة وتحبب.

(٢) هو عروة بن مسعود بن معتب الثقفي كان أحد الأكابر في قومه قيل هو المراد في قوله تعالى: ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ وهو ممّن أرسله قريش إلى النبي ﷺ يوم الحديبية وكانت له اليد البيضاء في تقرير الصلح. وكان يشبه بالمسيح عليه السلام في صورته. ولما بلغ رسول الله ﷺ قتله قال: مثل عروة مثل صاحب (يس) دعا قومه إلى الله فقتلوه!.

قال: كرامة أكرمني الله بها، وشهادة ساقها الله إليَّ، فليس فيَّ إلاَّ ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم، فادفنوني معهم.

* * *

وكان عمرو بن أمية[1] من أدهى العرب (وكان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو[2]، والذي بينهما سيىء) فمشى إلى عبد ياليل، حتى دخل عليه في داره، ثمَّ أرسل إليه أنَّ عمرو بن أميَّة يقول لك: اخرج إليَّ!

فقال عبد ياليل للرسول: ويحك، أعمرو أرسلك؟

قال: ـ نعم، وهو ذا واقف في دارك.

فقال: إنَّ هذا لشيء ما كنت أظنه، لعمرو كان أمنع في نفسه من ذلك.

فلما رآه رحَّب به، وقال عمرو: إنَّه قد نزل بنا أمر، ليست معه هجرة، إنَّه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها، وليست لكم بحربهم طاقة، فانظروا في أمركم.

فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها، وقال بعضهم لبعض: ألا ترون؟ إنَّه لا يأمن لكم سِرْب، ولا يخرج منكم أحد إلاَّ اقتطع به، فائتمروا وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله ﷺ رجلاً، كما أرسلوا عروة، فكلموا عبد ياليل بن عمرو، وكان في سنّ عروة بن مسعود، وعرضوا ذلك عليه، فأبى أن يفعل، وخشي أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بعروة. فقال: لست فاعلاً حتى تبعثوا معي رجالاً، فأجمعوا على أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف، وثلاثة من بني مالك، فيكونوا ستة (وعدَّهم) فخرج بهم عبد ياليل وهو نابُ القوم، وصاحب أمرهم، ولم يخرج بهم إلاَّ خشيةً من مثل ما صنع بعروة بن مسعود، ليشغل

---

(١) هو عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك الثقفي. وفي الإصابة ما يدل على أنَّه هو الذي بنى على مصلى رسول الله ﷺ مسجداً في الطائف.

(٢) هو عبد ياليل بن عمرو بن عمير الثقفي كان وجهاً من وجوه ثقيف.

كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه، فلما دنوا من المدينة ونزلوا قناة[1] لقوا بها المغيرة بن شعبة[2] يرعى في نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ، وكانت رعيتها نوباً على أصحابه، فلما رآهم المغيرة ترك الركاب، وضبر (أي قفز) يشتد ليبشر رسول الله ﷺ بقدومهم عليه، فلقيه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، قبل أن يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن وفد ثقيف أنَّهم قدموا يريدون البيعة والإسلام، بأن يشرط لهم شروطاً، ويكتتبوا من رسول الله كتاباً في قومهم وبلادهم وأموالهم، فقال أبو بكر للمغيرة: أقسمت عليك بالله، لا تسبقني إلى رسول الله حتى أكون أنا الذي أحدثه، ففعل المغيرة. فدخل أبو بكر على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف بقدومهم[3].

ثمَّ خرج المغيرة إلى أصحابه فروَّح الظهر معهم، وعلمهم كيف يحيُّون رسول الله ﷺ، فلم يفعلوا إلَّا بتحية الجاهلية، ولما أن قدموا على رسول الله ﷺ، ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده كما يزعمون. وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذي يمشي بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم.

وكان فيما سألوا رسول الله ﷺ أن يدع الطاغية (وهي اللات) لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة

---

(١) قناة: واد بالمدينة وهي أحد أوديتها الثلاثة عليه حرث ومال. وقد يقال وادي قناة قاله ياقوت.

(٢) هو أحد دهاة العرب ولد في الطائف وأسلم سنة خمس وشهد الحديبية واليمامة وفتوح الشام وغيرها، وذهبت عينه باليرموك، ولاه عمر رضي الله عنه البصرة، فقام بفتح عدَّة بلاد ثم عزله ثمَّ ولاه الكوفة وأقره عثمان ثم عزله واعتزل الفتنة بعد قتل عثمان ثم ولاه معاوية الكوفة فلم يزل عليها إلى أن مات.

(٣) قال ابن قيم الجوزية: ومن الفقه في وفد ثقيف كمال محبة الصديق له، وقصده التقرب إليه، والتحبب بكل ما يمكنه، ولهذا ناشد المغيرة أن يدعه هو يبشر النبي ﷺ بقدوم وفد الطائف ليكون هو الذي سره وفرحه بذلك. وهذا يدل على أنَّه يجوز للرجل أن يسأل أخاه أن يؤثره بقربة من القرب ولا يكره له السؤال ولا لذلك البذل ـ زاد المعاد. قلت: وهو منقبة للمغيرة إذ آثره على نفسه، وأجابه إلى سُؤْله.

فأبى عليهم، حتى سألوه شهراً واحداً بعد مقدمهم، فأبى أن يدعها شيئاً يسمى (وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام) فأبى رسول الله ﷺ ذلك إلاَّ أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة وأن يكسروا أوثانهم بأيديهم.

فقال ﷺ: أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه.

فقالوا: يا محمد! أما هذه فسنؤتيكها وإن كانت دناءة...[1].

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابهم أمَّر عليهم عثمان بن أبي العاص[2] وكان من أحدثهم سنّاً، وذلك أنَّه كان أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن. وقال أبو بكر لرسول الله ﷺ: إني قد رأيت هذا الغلام فيهم من أحرصهم على التفقه في الإسلام، وتعلم القرآن[3].

حجه بالناس

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ، استعمل أبا بكر على الحج، وهو أول من جمع للناس الحج، ثمَّ إنَّ النبي ﷺ حجَّ من قابل[4].

---

(١) قال اليمني في شرح بهجة المحافل: أي لما فيها من وضع الجباة التي هي أشرف الأعضاء على الأرض، وإنما قالوا ذلك لغلبة الجهل وبقاء آثار الكفر عليهم، وعدم الفهم لها واعتيادهم ما فيها من الخيرات والفتوح الربانية. قلت: لما وضع المسلمون جباههم على الأرض ذلاً لله أعزّهم الله حتى وضع الجبابرة جباههم على أقدامهم.

(٢) ما زال مؤمراً على الطائف حتى استعمله عمر رضي الله عنه على عمان والبحرين سنة ١٥، ثم سكن البصرة ومات بها سنة ٥٥، وقيل ٥١، وكان هو الذي منع ثقيفاً عن الردة بخطبة خطبها فيهم.

(٣) تاريخ الطبري.

(٤) الرياض النضرة، وقال: حديث حسن. وخرج النسائي من حديث جابر أنَّه ﷺ حين رجع إلى المدينة من عمرة الجعرانة بعث أبا بكر أميناً على الحج وبعث علياً ببراءة يتلوها في المواسم - =

وكانت حجة أبي بكر الصديق سنة تسع[1] في شهر ذي الحجة[2].

وذلك أنَّ النبي ﷺ أقام بعدما رجع من تبوك بقية شهر رمضان وشوال وذا القعدة، ثمَّ بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم[3].

وخرج مع أبي بكر رضي الله عنه ثلاثمائة من المدينة وبعث معه رسول الله ﷺ عشرين بَدَنَةً، وساق أبو بكر خمس بَدَنَات[4] وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه على أثر أبي بكر بثلاثين أو أربعين آية من براءة فقرأها على الناس[5].

وعن جابر رضي الله عنه قال:

أقبلنا مع أبي بكر حتى إذا كنا بالعَرْج ثوَّب أبو بكر بالصبح (أي دعا إليه) فلما استوى للتكبير سمع الرغوة خلف ظهره فوقف عن التكبير وقال: هذه رغوة ناقة النبي ﷺ الجدعاء، بدا لرسول الله ﷺ فلعلَّه أن يكون رسول الله فنصلي معه. فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عليها. فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أمير أم رسول؟ قال: لا، بل رسول، أرسلني رسول الله ﷺ ببراءة أقرؤها على الناس في مواقف الحج. فقدمنا مكة، فلما كان قبل التروية بيوم قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم عن مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثمَّ خرجنا معه حتى إذا كان

= قلت: وقد حج بالناس السنة التي قبلها أي سنة ثمان عتاب بن أسيد وإلى رسول الله ﷺ على مكة.

(١) قال الزرقاني في شرح المواهب: جزم بهذا البخاري وابن إسحاق، وقال الحافظ في التفسير: اتفقت عليه الروايات.

(٢) خلافاً لما ذكره ابن سعد وغيره من أنها كانت في ذي القعدة ـ انظر شرح المواهب للزرقاني.

(٣) ابن هشام.

(٤) تاريخ الطبري وشرح المواهب. والبدنة من الإبل والبقر كالأضحية من الغنم تهدى إلى مكة للذكر والأنثى.

(٥) تاريخ الطبري.

يوم عرفة قام أبو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم، حتى إذا فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها، ثمَّ كان يوم النحر فأفضنا، فلما رجع أبو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر الأول قام أبو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون يعلمهم مناسكهم، فلما فرغ قام علي فقرأ على الناس براءة حتى ختمها[1].

صلاته بالناس

قال سهل بن سعد رضي الله عنه[2]:

كان قتال بين بني عمرو بن عوف[3] فبلغ النبي ﷺ فأتاهم بعد الظهر ليصلح بينهم، فقال: يا بلال! إن حضرت الصلاة ولم آت فمر أبا بكر فليصل الناس.

فلما حضرت صلاة العصر، أقام بلال الصلاة ثمَّ أمر أبا بكر، فتقدم بهم، وجاء رسول الله ﷺ بعدما دخل أبو بكر في الصلاة، فلما رأوه صفَّحوا (صفَّقوا) وجاء رسول الله ﷺ يشق الناس حتى قام خلف أبي بكر. وكان أبو بكر إذا دخل في الصلاة لم يلتفت، فلما رأى التصفيح لا يمسك عنه التفت فرأى النبي ﷺ خلفه فأومأ إليه النبي ﷺ بيده أن امْضِهْ فقام أبو بكر هُنيّة فحمد الله على ذلك، ثمَّ مشى القهقري، فتقدم رسول الله ﷺ فصلَّى بالناس، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال: يا أبا بكر ما منعك إذ أومأت إليك أن لا تكون مضيت؟

---

(١) وحكمة تكريره أربع مرات أنَّ الجميع لم يحضروا خطبة عرفة ولم يكتف بانتشار الخبر تنبيهاً على الاعتناء بشأن هذا الأمر حتى كرره بعدد الخطب ـ قاله الزرقاني، قال: وروى الحديث النسائي والدارمي والطبري وابن راهويه وصححه ابن خزيمة وابن حبان.

(٢) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصاري الساعدي من مشاهير الصحابة مات النبي ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة سنة إحدى وتسعين.

(٣) هم بطن كبير من الأوس فيه عدَّة أحياء كانت منازلهم بقباء كما نقدم.

فقال أبو بكر: لم يكن لابن أبي قُحافة أن يؤم رسول الله ﷺ فقال للناس: إذا نابكم في صلاتكم شيء فليسبح الرجال، وليصفّق النساء[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله ﷺ وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة فقال: مروا أبا بكر فليصلّ بالناس (قالت) فقلت: يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف (سريع الحزن والبكاء) وإنَّه متى يقم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، (قالت) فقلت لحفصة[٢]: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنَّه متى يقم مقامك لا يسمع الناس فلو أمرت عمر. فقالت له، فقال رسول الله ﷺ: إنكنَّ أُنتن صواحب يوسف[٣]، مروا أبا بكر فليصل بالناس، (قالت) فأمروا أبا بكر يصلي بالناس[٤]. فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله ﷺ من نفسه خفة[٥]، فقام يُهادي بين رجلين (أي يمشي معتمداً عليهما لضعفه) ورِجلاه

(١) مسند الإمام أحمد. قالوا ورواه أبو داود والنسائي وابن حبان وهو أيضاً في الصحيحين باختلاف يسير في أوله. قلت: وفي هذا رده على من يدَّعي حرمة التصفيق في جميع الحالات.

(٢) هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه تزوجها النبي ﷺ بعد عائشة وكانت قبله عند حصن بن حذافة فقتل عنها بأحد قيل إنَّها ولدت قبل المبعث بخمس سنين وتوفيت لما بايع الحسن معاوية سنة ٤١ وقيل بل بقيت إلى سنة ٤٥ رضي الله عنها.

(٣) قال في فتح الباري: المراد أنَّهن مثل صواحب يوسف في إظهار خلاف ما في الباطن ثم إن هذا الخطاب وإن كان بلفظ الجمع فالمراد به واحد وهي عائشة فقط كما أن «صواحب» جمع والمراد زليخا فقط. ووجه المشابهة بينهما في ذلك أن زليخا استدعت النسوة وأظهرت لهن الإكرام بالضيافة ومرادها زيادة على ذلك وهو أن ينظرن إلى حسن يوسف ويعذرنها في محبته وأنَّ عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها كونه لا يسمع المامومين القراءة لبكائه ومرادها زيادة على ذلك وهو أن لا يتشاءم الناس به وقد صرحت هي فيما بعد ذلك (كما رواه الشيخان) فقالت: لقد راجعته وما حملني على كثرة مراجعته إلَّا أنَّه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً وإلَّا أني أرى أن لن يقوم أحد مقامه إلَّا تشاءم الناس به، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن أبي بكر.

(٤) في رواية لمسلم عن أبي موسى قال: فصلَّى بهم أبو بكر حياة رسول الله ﷺ.

(٥) قال في فتح الباري: ظاهره أنَّه ﷺ وجد ذلك في تلك الصلاة بعينها ويحتمل أن يكون ذلك بعد ذلك، وأوضح منه رواية موسى بن أبي عائشة: فصلى أبو بكر تلك الأيام ثم إنَّ رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة.

تخطان في الأرض (قالت): فلما دخل المسجد سمع أبو بكر حسه فذهب يتأخر، فأومأ إليه رسول الله ﷺ أَقم مكانك، فجاءه رسول الله ﷺ حتى جلس عن يسار أبي بكر قالت: فكان رسول الله ﷺ يصلي بالناس جالساً وأبو بكر قائماً، يقتدي أبو بكر بصلاة النبي ﷺ ويقتدي الناس بصلاة أبي بكر[1].

وعن عبدالله بن زمعة[2]، قال:

لما استُعز (اشتد) برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلي للناس، فخرجت فإذا عمر في الناس! وكان أبو بكر غائباً، فقلت: يا عمر قم فصلِّ بالناس. فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته ـ وكان عمر رجلاً مُجْهِراً ـ قال. فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون! يأبى الله ذلك والمسلمون! فبعث إلى أبي بكر فجاء بعد أن صلَّى عمر تلك الصلاة، فصلَّى بالناس.

وفي رواية عنه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ لما سمع صوت عمر، خرج حتى أطلع رأسه من حجرته، ثمَّ قال: لا لا لا، ليصل بالناس ابن أبي قحافة. يقول ذلك مغضباً[3].

وفي رواية لابن إسحاق: قال عبدالله بن زمعة: فقال لي عمر: ويحك ماذا صنعت بي يا ابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني، إلَّا أنَّ رسول الله ﷺ أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس. قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بشيء، ولكني حين لم أر أبا بكر، رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس[4].

وقال أنس رضي الله عنه:

---

(١) رواه الشيخان وغيرهما واللفظ لمسلم.

(٢) هو عبدالله بن زمعة بن الأسود القرشي الأسدي ابن أخت أم سلمة أم المؤمنين كان من أشراف قريش قتل أبوه يوم بدر كافراً وقتل هو مع عثمان يوم الدار سنة ٣٥.

(٣) سنن أبي داود.

(٤) سيرة ابن هشام.

لم يخرج النبي ﷺ ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر فتقدم، فقال نبي الله ﷺ الحجاب فرفعه[1]، فلما وضح لنا وجه النبي ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا، فأومأ النبي ﷺ بيده إلى أبي بكر أن يتقدم وأرخى النبي ﷺ الحجاب، فلم نقدر عليه حتى مات[2].

وعنه رضي الله عنه: أنَّ أبا بكر كان يصلي بهم في وجع النبي ﷺ الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين، وهم صفوف في الصلاة، فكشق النبي ﷺ ستر الحجرة، ينظر إلينا وهو قائم، وكأنَّ وجهه ورقة مصحف ثمَّ تبسم يضحك[3] فهممنا أن نفتتن (أن نخرج من الصلاة) من الفرح برؤية النبي ﷺ، وينقص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أنَّ النبي ﷺ خارج إلى الصلاة. فأشار إلينا النبي ﷺ أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي (عليه الصلاة والسلام) من يومه[4].

غيابه في السُّنْح

انصرف الناس من الصلاة حين خرج رسول الله ﷺ فصلَّى مع أبي بكر، وهم يظنُّون أنَّ رسول الله ﷺ قد أفاق من وجعه فقال أبو بكر: يا نبيَّ الله! إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما نحبّ، واليوم يوم بنت خارجة (زوجته)، أفآتيها؟

قال: نعم.

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية: العرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام واللسان وذلك على المجاز والاتساع. وقد تكرر ذكره في الحديث.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) قال القسطلاني: يضحك فرحاً باجتماعهم على الصلاة واتفاق كلمتهم، وإقامة شريعتهم.

(٤) رواه الشيخان.

ثمَّ دخل رسول الله ﷺ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح[1].

موقفه يوم قبض رسول الله ﷺ

عن أبي هريرة[2] قال:

لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله ﷺ قد توفي، وإنه والله ما مات، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران وقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، والله ليرجعن رسول الله ﷺ عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أنَّ رسول الله ﷺ مات. (قال) وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر وعمر يكلم الناس فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله ﷺ في بيت عائشة ورسول الله ﷺ مسجى في ناحية البيت عليه برد حِبَرة (وهو بردُ يمان) فأقبل حتى كشف عن وجهه ثم أقبل عليه فقبله ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ثم لن يصيبك بعدها موتة أبداً. ثم رد الثوب على وجهه، ثم خرج وعمر يكلم الناس فقال: على رسلك يا عمر فأنصت. فأبى إلَّا أن يتكلم. فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أيها الناس إنَّه من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان

---

(١) الطبري وابن هشام. قلت: فلم يكن ذهابه إلَّا بإذن من رسول الله ﷺ ولم يسأله الإذن إلَّا لما رأى من برئه ﷺ.

(٢) اختلف في اسم أبي هريرة فقيل عبد الرحمن بن صخر الدوسي وقيل غير ذلك، نشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية وقدم المدينة، ورأى النبي ﷺ بخيبر فأسلم سنة سبع ولزم صحبته، وهو أكثر الصحابة رواية عنه حديثاً ونقل عنه أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي، ولِّي إمرة المدينة مدة واستعمله عمر على البحرين ثم ذهب فأقام في المدينة حتى توفي فيها ٥٩ رضي الله عنه.

يعبد الله فإنَّ الله حي لا يموت. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ حتى تلاها أبو بكر يومئذٍ وأخذها الناس عن أبي بكر فإنَّما هي في أفواههم (قال أبو هريرة): قال عمر: فوالله ما هو إلَّا أن سمعت أبا بكر يتلوها فعقرت حتى وقعت على الأرض ما تحملني رجلاي وعرفت أن رسول الله ﷺ قد مات[1].

وقال ابن السمان في الموافقة:

لما توفي رسول الله ﷺ قال عمر: لا يتكلم أحد بموته إلَّا ضربته بسيفي هذا. قال سالم بن عبيد[2]: فذهبت إلى أبي بكر فوجدته بالمسجد. فأجهشت أبكي، قال لعل نبي الله توفي؟ قلت: إن عمر قال: لا يتكلم أحد بموته إلَّا ضربته بسيفي هذا. (قال): فأخذ بساعدي ثم أقبل يمشي حتى دخل فأوسعوا له فأكب على رسول الله ﷺ حتى كاد يمس وجهُه وجهَه، فنظر نفسَه حتى استبان أنه توفي فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾. قالوا: يا صاحب رسول الله! أتوفي رسول الله؟ قال: نعم. فعلموا أنَّه كان قال. قالوا: هل يصلي عليه؟ قال: نعم يجيء نفرٌ منكم فيكبرون فيدعون ويذهبون حتى يفرغ الناس. فعلموا أنه كما قال. قالوا: يا صاحب رسول الله، أين يدفن؟ قال: حيث قبض اللّه روحه، فإنَّه لم يقبضه إلَّا في موضع طيب، فعرفوا أنَّه كما قال[3].

قلت: لقد طاشت أحلام الصحابة لهول المصاب وروعة الرزيئة، وحق لها أن تطيش، فقد كان رسول الله ﷺ بين أظهرهم يأمرهم وينهاهم، فقبضه

---

(١) ابن هشام والطبري وهو في البخاري ومسند أحمد مختصراً.

(٢) هو سالم بن عبيد الأشجعي من أهل الصفة سكن الكوفة.

(٣) في الإصابة ما يشير إلى أنَّ يونس بن بكير أخرجه في زياداته.

الله إليه، وانقطع الوحي فلا ينزل أبداً، وفقدوا رسول الله ﷺ فلا يلقونه إلى يوم القيامة، فارتجت المدينة وزلزلت قلوب الصحابة، ودخل على الناس أمر ما دخل عليهم مثله قط، فقال عمر مقالته، وصار الناس لا يدرون ما هم صانعون، حتى جاء الله بأبي بكر، فكان برداً وسلاماً على القلوب، وكان هدى للأفئدة، لم يذهب الحزن بلبه، ولم تنسه المصيبة على شدتها ما عرف من الحق، فقام في الصحابة ذلك المقام العظيم، وتلا عليهم قول الله عزَّ وجل، فعادوا إلى أنفسهم، فعلموا أن الذي يقول أبو بكر هو الحق، وعلموا أن أبا بكر أعلم الناس وأسماهم نفساً، وأربطهم جأشاً، وأنفذهم بصيرة، فدفنوا رسول الله ﷺ، واحتسبوا مصيبتهم عند الله، والله خير وأبقى، وإلى الله ترجع الأمور.

وقال ابن عباس رضي اللَّه عنهما:

والله إني لأمشي مع عمر في خلافته، وهو عامد إلى حاجة له، وفي يده الدِّرَّة وما معه غيري، وهو يحدث نفسه ويضرب وحشيّ قدمه بدِرّته إذ التفت إليّ، فقال: يا بن عباس! هل تدري ما حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله ﷺ؟ قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين، أنت أعلم. قال: فإنّه والله إن كان الذي حملني على ذلك إلاّ أني كنت أقرأ هذه الآية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ فواللَّه إن كنت لأظنّ أن رسول الله ﷺ سيبقى في أُمّته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها. فإنّه لَلّذي حملني على أن قلت ما قلت[1].

---

(١) سيرة ابن هشام.

خِلَافَةُ أَبِي بَكْرٍ



خلافة أبي بكر

حديث السقيفة:

قال ابن عباس رضي الله عنه[1].

كنت أقرىء عبد الرحمن بن عوف في خلافة عمر بن الخطاب، فلما كان آخر حجة حجها عمر أتاني عبد الرحمن ذات ليلة ونحن بمنى، فقال: لو رأيت أمير المؤمنين وقد أتاه رجل فقال: إن رجالاً يقولون لو قد مات أمير المؤمنين لبايعنا فلاناً فقال: إني لقائم في الناس فمحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوا الناس بيعتهم. فقلت: يا أمير المؤمنين! إن الحج يجمع رَعاع الناس وعوامّهم وهم الذين يغلبون على مجلسكم، وإذا قلت لهم اليوم مقالة لم يحفظوها ولم يعوها، ولم يضعوها موضعها واطيّروا بها كل مطير، فلو انتظرت حتى تقْدَم المدينة فإنّها دار الهجرة والسنة، وتخلص بعلماء الناس وأشرافهم، فتقول ما تقول متمكناً، فيعوا مقالتك، ويضعوها مواضعها، فقال عمر: واللّه لئن قدمت المدينة صالحاً لأكلمنّ بها الناس في أول مقام أقومه.

(قال ابن عباس): فلما قدمنا المدينة في عقب ذي الحجة، وذلك يوم الجمعة هجّرت صَكّةَ عُمَيٍّ (أي سرت في أشد الهاجرة حرّاً) لما أخبرني به

---

(١) هذا الحديث مروي في الصحيحين بهذا المعنى، والسياق هنا للحافظ ابن عساكر وابن جرير الطبري وقد أدرجنا فيه أحاديث أخرى أشرنا إليها وإلى مصادرها.

عبد الرحمن، فوجدت سعيد بن زيد[1] قد سبقني بالتهجير، فجلست إلى ركن جانب المنبر، فجلس إلى جنبي تمسّ ركبتي ركبته، فلم ينشب عمر أن خرج، فأقبل أمام المنبر، فقلت لسعيد (وعمر مقبل): أما واللّه ليقولنّ أمير المؤمنين على هذا المنبر اليوم مقالة لم يقلها أحد قبله، فأنكر ذلك سعيد، وقال: ما عسى أن يقول ما لم يقله أحد قبله؟

فلما جلس على المنبر، أذن المؤذن، فلما أن سكت قام عمر فتشهد وأثنى على اللّه بما هو أهله، ثم قال:

أما بعد فإني قائل لكم مقالة، قد قدر لي أن أقولها لعلها بين يدي أجلي، فمن عقلها ووعاها فليحدث بها حيث انتهت به راحلته، ومن خشي ألاَّ يعيها فلا أُحلّ له أن يكذب عليّ. (حتى قال): ثم إنه بلغني أن فلاناً منكم يقول لو قد مات عمر لبايعت فلاناً، فلا يغترن امرؤ منكم أن يقول: إنَّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، ألا وإنها كانت كذلك، ألا وإن الله وقى شرها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر، وإنه كان من خبرنا حين توفي رسول الله ﷺ، إنَّه تخلفت عنا الأنصار مع سعد بن عُبَادة، وتخلف عنا عليٌّ والزبير ومن كان معهما في بيت فاطمة، فاجتمع المهاجرون إلى أبي بكر، فبينما نحن في منزل رسول الله ﷺ إذا برجل ينادي من وراء الجدار: اخرج إليَّ يا بن الخطاب. فقلت: إليك عني فإنا عنك مشاغيل، فقال: إنَّه قد حدث أمر لا بد منك فيه: إن الأنصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة[2]، فأدركوهم قبل أن يحدثوا أمراً يكون بيننا وبينهم فيه حرب. فقلت لأبي بكر: انطلق بنا إلى إخواننا من هؤلاء الأنصار، فخرجنا نؤمهم فلقيت أبا

---

(١) سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل أحد العشرة المبشرين أسلم قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم وهاجر وشهد أحداً والمشاهد بعدها ضرب له بسهمه يوم بدر لأنه كان غائباً بالشام كان من ذوي الرأي والبسالة توفي في المدينة سنة خمسين وقبل أحدى وقيل اثنتين وخمسين وعاش بضعاً وسبعين سنة رضي الله عنه.

(٢) هي ظلة كانوا يجلسون تحتها في المدينة وبنو ساعدة حي من الأنصار وهم بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج.

عبيدة بن الجراح، فأخذ أبو بكر بيده فمشى بيننا وبينه حتى إذا دنونا منهم لقينا رجلان صالحان من الأنصار قد شهدا بدراً، أحدهما عُوَيم بن ساعدة(١) والآخر معن بن عدي(٢) فقالا: أين تريدون يا معشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا من الأنصار. فقالا: لا عليكم ألاَّ تقربوهم يا معشر المهاجرين اقضوا أمركم بينكم. فقلت: والله لنأتينهم.

وكان من خبر الأنصار أنه لما قبض رسول الله ﷺ اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: نولي هذا الأمر بعد محمد ﷺ سعد ابن عُبَادة، وأخرجوا سعداً إليهم وهو مريض، فلما اجتمعوا قال لابنه، أو بعض بني عمه: إني لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلهم كلامي، ولكن تلقَّ مني قولي فأسمعهموه، فكان يتكلم ويحفظ الرجل قوله، فيرفع صوته فيسمع أصحابه، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه:

يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين، وفضيلة في الإسلام، ليست لقبيلة من العرب: إنَّ محمداً ﷺ لبث بضع عشرة سنة في قومه، يدعوهم إلى عبادة الرحمن، وخلع الأنداد والأوثان، فما آمن به من قومه إلاَّ رجال قليل، ما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله ﷺ، ولا أن يُعزّوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيماً عمّوا به. حتى إذا أراد الله بكم الفضيلة، ساق إليكم الكرامة، وخصكم بالنعمة، فرزقكم الله الإيمان به وبرسوله، والمنع له ولأصحابه، والإعزاز له ولدينه، والجهاد لأعدائه، فكنتم أشد الناس على عدوّه منكم، وأثقلهم على عدوّه من غيركم، حتى استقامت العرب لأمر الله طوعاً وكرهاً، وأعطى البعيد المَقَادة صاغراً داخراً (ذليلاً مهاناً)، حتى أثخن

---

(١) هو عويم بن ساعدة بن عائش بن قيس الأنصاري الأوسي شهد العقبتين وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها قال عمر رضي الله عنه: ما نصبت راية للنبي ﷺ إلاَّ وتحت ظلها عويم. مات في خلافة عمر وهو ابن خمس أو ست وستين سنة.

(٢) هو معن بن عدي بن الجد بن العجلان البلوي شهد العقبة وبدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها. آخى النبي ﷺ بينه وبين زيد بن الخطاب فقتلا جميعاً يوم اليمامة رضي الله عنهما.

الله عزَّ وجل لرسوله بكم الأرض، وذانت له بأسيافكم العرب، وتوفاه الله وهو عنكم راض، وبكم قرير عين. استبدوا بهذا الأمر دون الناس.

فأجابوه أن قد وفقت في الرأي. وأصبت في القول. ولن نعدو ما رأيت: نوليك هذا الأمر، فإنَّك فينا مقْنع، ولصالح المؤمنين رضى.

ثم إنَّهم ترادّوا الكلام بينهم، فقالوا: فإن أبت مهاجرة قريش فقالوا: نحن المهاجرون، وصحابة الله ﷺ الأولون، ونحن عشيرته وأولياؤه، فعلامَ تنازعوننا هذا الأمر بعده؟

فقالت طائفة منهم: نقول إذن... منا أمير ومنكم أمير! ولن نرضى بدون هذا الأمر أبداً.

قال سعد حين سمعها: هذا أول الوهن[١].

وجاءهم المهاجرون وهم مجتمعون، قال عمر[٢]: فإذا هم جميع في سقيفة بني ساعدة، وإذا بين أظهرهم رجل مزَّمل. قلت: من هذا؟ قالوا: سعد بن عُبادة قلت: ماله؟ قالوا: وجع. فلما جلسنا قام خطيب الأنصار فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام وأنتم يا معاشر المهاجرين حيّ منا وقد دفّت إلينا دافّة منكم فإذا أنتم تريدون أن تختزلونا من أصلنا، وتحضنوا الأمر من دوننا، (وقد كان رسول الله ﷺ إذا استعمل رجلاً منكم، قرن معه رجلاً منا، فأرى أن يلي الأمر رجلان: أحدهما منكم والآخر منا)[٣].

فلما قضى مقالته، أردت[٤] أن أتكلم، وكنت قد زوَّرت (أي أعددت)

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) رجعنا إلى حديث عمر رضي الله عنه.

(٣) ابن سعد في الطبقات.

(٤) رجعنا إلى حديث عمر رضي الله عنه.

في نفسي مقالة أعجبتني أريد أن أقوم بها بين يدي أبي بكر، فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، ولقد كان أحلم مني وأوقر، فتكلم أبوبكر، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتني مما كنت قد زوّرت في نفسي إلاّ أتى بمثلها أو أفضل منها في بديهته، ولم يدع شيئاً أُنزل في الأنصار أو ذكره رسول الله ﷺ إلاّ ذكره. فقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال: لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلكت وادي الأنصار. وما ذكرتم فيكم من خير فأنتم أهله. ولكن العرب لا تعرف هذا الأمر إلاّ لهذا الحي من قريش. هم أوسط العرب داراً وأنساباً، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم (وأخذ بيدي ويد أبي عبيدة)[1] فوالله ما كرهت من مقالته غيره، ولأن أُقدَّم فتضرب عنقي لا يكون في ذلك من إثم أحبّ إليَّ من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر. فلما قضى أبو بكر مقالته قالت الأنصار: والله ما نحسدكم على خير ساقه الله إليكم، ولا أحد من خلق الله تعالى أحب إلينا، ولا أرضى عندنا منكم، ولكنا نشفق مما بعد اليوم، فلو جعلتم اليوم رجلاً منكم، فإذا هلك اخترنا رجلاً من الأنصار فجعلناه مكانه، فإذا هلك اخترنا رجلاً من المهاجرين فجعلناه مكانه كذلك أبداً. وكان ذلك أجدر أن يشفق القرشي إن زاغ أن ينقض عليه الأنصاري، وأن يُشفق الأنصاري إن زاغ أن ينقض عليه القرشي. فقال عمر: لا ينبغي هذا الأمر ولا يصلح إلاّ لرجل من قريش، ولن ترضى العرب إلاّ به، ولن تعرف الإمارة إلاّ له. فقام الحُبَاب بن المنذر السلمي[2] وكان بدرياً فقال: يا معشر الأنصار املكوا عليكم أمركم، فإنَّ الناس في فيئكم وفي ظلكم، ولن يجترىء مجترىء على خلافكم، ولن يصدر الناس إلاّ عن رأيكم، أنتم أهل

---

(١) أنظر هذه الخطبة في باب الخطب من هذا الكتاب.

(٢) شهد بدراً وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وشهد المشاهد كلها وكان يقال له ذو الرأي لأنه أشار على رسول الله ﷺ برأيين فقبل منه وكان شاعراً. مات في خلافة عمر رضي الله عنهما وقد زاد على الخمسين.

العز والثروة، وأولو العدد والمنَعَة والتجربة وذوو البأس والنجدة، وإنما ينظر الناس إلى ما تصنعون، ولا تختلفوا فيفسد عليكم رأيكم، وينتقض عليكم أمركم، أبى هؤلاء إلاَّ ما سمعتم، فمنا أمير ومنهم أمير. فقال عمر: هيهات لا يجتمع اثنان في قَرَن (أي حبل)، واللّه لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولي أمرها من كانت النبوة فيهم، وولي أمورها منهم ولنا بذلك على من أبى من العرب الحجة الظاهرة والسلطان المبين، من ذا ينازعنا سلطان محمد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته، إلاَّ مُدِلٌّ بباطل، أو متجانف (مائل) لإثم، أو متورِّط في هَلَكة؟ فقال الحُبَاب بن المنذر: يا معشر الأنصار؟ املكوا على أيدكم، ولا تسمعوا مقاله هذا وأصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم ما سألتموه فأجلوهم عن هذه البيلاد، وتولوا عليهم هذه الأمور فأنتم والله أحق بهذا الأمر منهم، فإنَّه بأسيافكم دان لهذا الدين من دان ممن لم يكن بدين. أنا جُذَيلها المُحَكَّك، وعُذَيقها المرجَّب[١]، أما والله لئن شئتم لنعيدنها جَذَعة (فتية).

فقال عمر: إذن يقتلك الله. قال: بل إياك يقتل.

فقال أبو عبيدة: يا معشر الأنصار! إنكم أول من نصر وآزر، فلا تكونوا أول من بدَّ وغيره.

فقام بشير بن سعد[٢] فقال: يا معشر الأنصار! إنا والله لئن كنا أولي فضيلة في جهاد المشركين، وسابقة في هذا الدين، ما أردنا به إلاَّ رضا ربنا وطاعة نبينا، والكدح لأنفسنا، فما ينبغي لنا أن نستطيل على الناس بذلك،

---

(١) الجذيل تصغير جذل أراد العود الذي ينصب للإبل الجربي لتحتك به. والمحكك الذي كثر الاحتكاك به حتى صار مملساً. والعذيق تصغير عذق وهو النخلة. والمرجب المدعوم بالرجبة وهي خشبة ذات شعبتين وذلك إذا طالت وكثر حملها. والمعنى أني ذو رأي يشفي بالاستضاءة به كثيراً، وأنا في كثرة التجارب والعلوم بموارد الأحوال ومصادرها كالنخلة الكثيرة الحمل.

(٢) هو بشير بن سعد بن ثعلبة بن الجلاس الخزرجي شهد العقبة الثانية وبدراً وأحداً والمشاهد بعدها واستعمله النبي ﷺ على المدينة في عمرة القضاء وكان يكتب في الجاهلية. قتل يوم عين التمر مع خالد سنة ١٢.

ولا نبتغي به من الدنيا عرضاً، فإنَّ الله وليّ المنة علينا بذلك. ألا إن محمداً ﷺ من قريش، وقومه أحق به وأولى، ولا يراني الله أنازعهم في هذا الأمر أبداً، فاتقوا الله ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم.

فناداه الحُبَاب بن المنذر: يا بشير بن سعد! عققت عَقاقِ[1] ما أحوجك إلى ما صنعت؟ أَنَفِسْت على ابن عمك الإمارة؟ فقال: لا والله، ولكني كرهت أن أنازع قوماً حقًّا جعله الله لهم.

فلما رأت الأوس ما صنع بشير بن سعد، وما تدعو إليه قريش، وما تطلب الخزرج من تأمير سعد بن عُبَادة، قال بعضهم لبعض وفيهم أُسَيد بن حُضَير وكان أحد النقباء: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرة لا زالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً، فقوموا فبايعوا أبا بكر[2]. وقام زيد بن ثابت[3] فقال: إن رسول الله ﷺ كان من المهاجرين وإنَّ الإمام إنما يكون من المهاجرين، ونحن أنصاره كما كنا أنصار رسول الله. فقام أبو بكر فقال: جزاكم الله من حي خيراً، وثبت قائلكم، أما والله لو قلتم غير ذلك لما صالحناكم[4] وانكسر على سعد وعلى الخزرج ما كانوا أجمعوا له من أمرهم.

قال ابن سعد: ثم قال أبو بكر لعمر: ابسط يدك نبايع لك. فقال عمر: أنت أفضل مني. قال: أنت أقوى مني، قال عمر: فإن قوتي لك مع فضلك[5]. وقال عمر وأبو عبيدة: لا ينبغي لأحد بعد رسول الله ﷺ أن يكون

---

(١) قال في القاموس. عقاق اسم العقوق.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) ابن الضحاك الأنصاري كاتب الوحي، وكتب لأبي بكر وعمر. هاجر النبي ﷺ وهو ابن ١١ سنة، وتعلم وتفقه في الدين وكان رأساً في المدينة في القضاء والفتوى والفرائض والقراءة. وكانت ترد على رسول الله ﷺ كتب بالسريانية فأمر زيداً فتعلمها. واستخلفه النبي ﷺ على المدينة ثلاث مرات، وكان عثمان رضي الله عنه يستخلفه إذا حج، وهو الذي جمع القرآن أيام أبي بكر. اختلف في وفاته فقيل سنة ٤٥ وقيل بعد ذلك.

(٤) ابن سعد.

(٥) رواية ابن شهاب في الرياض النضرة.

فوقك يا أبا بكر، أنت صاحب الغار مع رسول الله، وثاني اثنين، وأمّرك رسول الله ﷺ حين اشتكى فصليت بالناس، فأنت أحق الناس بهذا الأمر.

ووثب عمر فأخذ بيد أبي بكر رضي الله عنهما، وقام أُسَيد ابن الحُضير أخو بني عبد الأشهل، وبشير بن سعد (أبو النعمان بن بشير) يستبقون ليبايعوا فسبقهما عمر وبايعاه معاً، ووثب أهل السقيفة يبتدرون البيعة، وسعد بن عُبادة مضطجع يتوعك (يألم من الحمى) فازدحم الناس على بيعة أبي بكر، فقال قائل من الأنصار:

قال عمر: [1] وإنا والله ما رأينا من أمرنا أمراً أقوى من بيعة أبي بكر، خشينا إن فارقنا القوم قبل أن تكون بيعة أن يحدثوا بيعة. فإما أن نبايعهم على مالاً نرضى وإما أن نخالفهم فيكون فساد[2].

وكانت بيعة أبي بكر يوم قبض رسول الله ﷺ في (١٢ ربيع الأول سنة ١١)[3].

البيعة العامة:

عن أنس رضي الله عنه[4]، قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان من الغد جلس أبو بكر على المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت إلاَّ عن رأيي، وما وجدتها في كتاب الله عز وجل ولا كانت عهداً

---

(١) رجعنا إلى حديث عمر.

(٢) ابن سعد. وقد كانت مبادرة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إلى البيعة مراعاة لمصلحة المسلمين. وخشية اضطراب أمر الأمة، وافتراق كلمتهم، لا حرصاً على الإمامة ـ قاله المحب. وقد صرح بذلك أبو بكر رضي الله عنه في خطبته صبيحة البيعة كما صرح بذلك عمر في خطبته هذه.

(٣) تاريخ الطبري والرياض النضرة وابن هشام.

(٤) هذا وقد جمعت هذا الحديث من مصادر متفاوتة، منها الصحيح، ومنها ما هو دونه، تركتها على حالها، ولو حققتها لنفيت بعضها مما لم تصح روايته، وما تنفيه درايته.

عهده إلى رسول الله ﷺ. ولكني قد كنت أرى رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا حتى يكون آخرنا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسول الله ﷺ فإن اعتصيتم به هداكم لما كان هداه له، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار وأولى الناس بأموركم فقوموا فبايعوا.

فبايع الناس بيعة عامة بعد بيعة السقيفة، ثم تكلم أبو بكر فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: أما بعد أيها الناس فإني وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح (أردّ) عليه حقه إن شاء الله تعالى، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ منه الحق إن شاء الله تعالى. لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلاَّ ضربهم الله بالذل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلاَّ عمهم الله بالبلاء أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله[1].

المتخلفون عن البيعة:

كان أول من تخلف عن البيعة سعد بن عُبادة وقد كانت الأنصار تريد أن تجعل البيعة له، فقال عمر رضي الله عنه: لا ندعه حتى يبايع. فقال له بشير بن سعد وكان أول من صفق بيد أبي بكر الصديق من الأنصار:

إنَّه ليس بمبايعكم أبداً، وليس بمقتول حتى يقتل معه ولده وأهل بيته، وطائفة من عشيرته، فإن تركتموه فليس تركه بضائركم، إنما هو واحد. فقبل أبو بكر نصيحة بشير ومشورته فكفَّ عن سعد، فكان سعد لا يصلي بصلاتهم، ولا يصوم بصيامهم، وإذا حج لم يُفض بإفاضتهم، فلم يزل

(١) قال المحب الطبري: هذا الحديث في البخاري ولكنه مقطع، ومعناه مستوفي، وهو مغاير لما جاء عن موسى بن عقبة أنَّ البيعة في المسجد كانت يوم الوفاة قبل الدفن، وليس بينهما تضاد إذ لعلَّ البيعة على المنبر في المسجد قد تكررت أو بقي من لم يبايع في يوم الوفاة فجلس لهم أبو بكر صبيحة اليوم الثاني فبايعوه.

كذلك حتى توفي أبو بكر وولي عمر فلم يلبث إلاَّ يسيراً حتى خرج مجاهداً إلى الشام، فمات بحوران في أول خلافة عمر، ولم يبايع أحداً.

وذلك لا يقدح في دعوى الإجماع، لأن خلاف الواحد مع ظهور العناد والحمية لا يكون خلافاً ناقضاً للإجماع.

وتخلف عن بيعة أبي بكر يومئذٍ علي وإبناه والعباس، وبنوه في بني هاشم، والزبير، وطلحة، وسلمان[1]، وعمار، وأبو ذر[2]، والمقداد، وغيرهم من المهاجرين، وخالد بن سعيد بن العاص. ثمَّ إنَّهم بايعوا جميعاً. فمنهم من أسرع ببيعته ومنهم من تأخر حيناً، وعلى الجملة فلا خلاف بين طوائف المسلمين أن أبا بكر توفي يوم توفي ولا مخالف عليه من أهل الإسلام[3].

بيعة علي رضي الله عنه:

لما بويع أبو بكر دخل أبو سفيان على عليّ والعباس رضي الله عنهما فقال: يا علي! وأنت يا عباس! ما بال هذا الأمر في أذلّ قبيلة من قريش وأقلّها؟ والله لو شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً وآخذنها عليه من أقطارها، فقال له عليّ: لا والله ما أريد أن تملأها عليه خيلاً ورجلاً، ولولا أنا رأينا أبا بكر لذلك أهلاً ما خليناه وإياها.

---

(١) هو سلمان الفارسي قيل أصله من أصبهان وكان قد سمع بأن النبي ﷺ سيبعث فخرج في طلب ذلك فأسر وبيع بالمدينة فاشتغل بالرق. أسلم عند قدوم النبي ﷺ عليه وسلم المدينة وأول مشاهده الخندق وشهد بقية المشاهد وفتوح العراق وولي المدائن وكان عالماً زاهداً إذا خرج عطاؤه تصدق به وينسج الخوص ويأكل من كسب يده، مات سنة ٣٣ وقيل بعدها.

(٢) هو أبو ذر الغفاري. اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً، وأصح ما قيل فيه جندب بن جنادة. وكان من كبار الصحابة وفضلائهم أسلم بعد أربعة وكان خامساً وقصة إسلامه في الصحيحين وكان رسول الله ﷺ يبتدئه إذا حضر ويتفقده إذا غاب وفيه يقول: ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر. توفي بالربذة سنة إحدى وقيل سنة اثنتين وثلاثين رضي الله عنه.

(٣) الرياض النضرة.

يا أبا سفيان! إن المؤمنين قوم نَصَحة بعضهم لبعض، وإنَّ المنافقين قوم غَشَشَة بعضهم لبعض، متخاونون وإن قربت ديارهم وأبدانهم[1].

ثم كان أن أبطأ عليّ رضي الله عنه في بيعته، وجلس في بيته، فبعث إليه أبو بكر: ما أبطأ بك عني؟ أكرهت إمارتي؟ قال عليّ رضي الله عنه: ما كرهت إمارتك، ولكني آليت أن لا أرتدي ردائي، إلاَّ إلى صلاة، حتى أجمع القرآن[2].

وفي بيعة عليّ رضي الله عنه روايتان:

١ ـ أنه لما بايع المهاجرون والأنصار أبا بكر رضي الله عنه صعد المنبر فنظر في وجوه القوم، فلم ير الزبير، فدعا به فجاء، فقال له: أي ابن عمة رسول الله ﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه، ثم نظر في وجوه القوم فلم ير علياً، فدعا به فجاء فقال: أي ابن عم رسول الله وختنه على ابنته (أي زوج ابنته) أردت أن تشق عصا المسلمين؟ فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، فقام فبايعه. قال الحافظ ابن عساكر: وهذا أصح ما قيل في بيعة الزبير وعلي لأبي بكر رضي الله عنهم. ورواه ابن خُزَيمة[3] عن أبي سعيد الخدري. قال ابن خزيمة: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأته عليه فقال هذا حديث يسوي بَدَنة بل هذا يسوي بَدْرة.

---

(١) ابن السمان في الموافقة.

(٢) الرياض النضرة عن ابن سيرين، وسيأتي في آخر الكتاب رسالة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إليه، وما أجاب به علي كرم الله وجهه على ما رواه التوحيدي. قلت: وقصة هذه الرسالة ما لها أصل. وهي من وضع أبي حيان التوحيدي، على أسلوب القصاصين من الأدباء.

(٣) هو الحافظ الكبير إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري ولد سنة ٢٢٣ عني بالحديث في الحداثة ثم أكثر وجود وصنف وانتهت إليه الإمامة والحفظ في عصره بخراسان. حدَّث عنه الشيخان (البخاري ومسلم) خارج صحيحهما. قال: ما كتبت سواداً في بياض إلاَّ وأنا أعرفه. قال الحاكم: ومصنفاته تزيد على مائة وأربعين كتاباً سوى المسائل وكانت وفاته سنة ٣١١.

٢ ـ أن فاطمة[١] والعباس رضي الله عنهما أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله ﷺ وهما حينئذٍ يطلبان أرضه من فَدَك[٢] وسهمه من خيبر[٣] فقال لهما أبو بكر: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة إنما يأكل كل آل محمد في هذا المال» وإني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله ﷺ يصنعه إلاَّ صنعته. فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت. وكان لعلي رضي الله عنه وجه من الناس حياة فاطمة، فلما توفيت فاطمة رضي الله عنها انصرفت وجوه الناس عن علي وقد توفيت فاطمة رضي الله عنها بعد وفاة أبيها بستة أشهر فاجتمع إلى علي رضي الله عنه أهل بيته فبعثوا إلى أبي بكر أن يأتيهم. فقال عمر: لا تأتهم وحدك. فقال أبو بكر: والله لآتينهم وحدي، وما عسى أن يصنعوا بي؟ فجاءهم حتى دخل على علي، وقد جمع بني هاشم عنده. فقام عليٌّ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإنه لم يمنعنا أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك ولا نفاسة عليك بخير ساقه الله إليك، ولكنا كنا نرى أَن لنا في هذا الأمر حقًّاً فاستبددتم به علينا (ثم ذكر قرابته من رسول الله ﷺ وحقه) فلم يزل علي يذكر ذلك حتى بكى أبو بكر.

فلما صمت علي تشهد أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد فوالله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصلهم من قرابتي، وإني والله ما آلو بكم في هذه الأموال التي كانت بيني وبينكم على الخير، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا نورث ما تركنا صدقة، إنما يأكل آل محمد في هذا المال» وإني واللَّه لا أذكر صنعه فيه إلاَّ صنعته إن شاء الله، ثم

---

(١) هي بنت رسول الله ﷺ وكانت أحب الناس إليه وهي سيدة نساء العالمين ما عدا مريم. تزوجها علي رضي الله عنه بعد أحد، وانقطع نسل رسول الله ﷺ إلاَّ منها، وكانت أول أهله لحوقاً به، توفيت في رمضان سنة إحدى عشرة وكان عمرها تسعاً وعشرين سنة وقيل ٣٠ وقيل ٣٥ رضي الله عنها.

(٢) فدك: قرية بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة.

(٣) خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام.

قال علي رضي اللّه عنه: موعدك للبيعة العشية، فلما صلَّى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ثم عذر عليًّاً ببعض ما اعتذر به، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر، وذكر فضيلته وسابقته، ثم مضى إليه فبايعه، وأقبل الناس إلى علي رضي الله عنه فقالوا: أصبت وأحسنت(١).

خلافته والدليل عليها:

قال في شرح العقيدة الطحاوية: اختلف أهل السنة في خلافة الصديق رضي الله عنه هل كانت بالنص أو بالاختيار فذهب الحسن البصري(٢)

---

(١) الرياض النضرة وقال: حديث صحيح متفق عليه. أما إبطاء علي رضي الله عنه بالبيعة فقد ذكر المحب الطبري في سببه ما ملخصه:

إما أن يعتقد على صحة خلافة أبي بكر وأنَّه أحق بها، وإما لا. فإن اعتقد أن أبا بكر أحق بها وتأخر عن بيعته، بعد أن انعقدت البيعة بإجماع أهل الحل والعقد من المسلمين، كان تخلفه مفارقة للجماعة، وخروجاً من الطاعة، وعدولاً عن الحق، وهو مبرأ من ذلك، منزه عنه، ومنزلته من الإسلام أرفع وأعلى.

وإما ألا يعتقد بصحة خلافة أبي بكر، وأنَّه أحق بها، فيكون قد أقر على الباطل ورضي به، ولم ينكره بقول ولا فعل، مع شدة بأسه، وقوة إيمانه، وكثرة أنصاره، وكفي بفاطمة بنت رسول الله ﷺ والعباس وبني هاشم بأجمعهم. وهو منزه عن ذلك أيضاً.

فلم يبق إلَّا كونه يعتقد بصحة خلافة أبي بكر، ويعرف فضله، ولكنه كان مشغولاً بجمع القرآن، وكان يرى أن له في هذا الأمر حقاً، فلما اجتمع الجم الغفير على ولاية أبي بكر، اتّهم نظره في حق نفسه، ولم ير المبادرة إلى إظهاره، ولا المطالبة بمقتضاه، حتى يبذل جهده في النظر، لما في ذلك من تفريق كلمة المسلمين، فتخلف عن الأمرين: لم يبايع، ولم يطلب البيعة لنفسه. وسلك سبيل الاحتياط والورع، فكان في تلك المدة مجتهداً مأجوراً، فلما تبين له أحقية أبي بكر وأفضليته، وتذكر ما جاء في ذلك عن رسول الله ﷺ ووافق ذلك وفاة فاطمة رضي الله عنها، بعث إليه أن ائتنا. واعتذر إليه بأنَّه كان يرى أحقيته، وأن هذه الرؤية قد زالت كما يدل على ذلك سياق كلامه، ولم يكن ذكره القرابة إقامة للحجة على أبي بكر، فإنَّه معتذر ولا تليق المحاجة بالمعتذر، وإنما كان إظهاراً لمستند تخلفه، كيلا يظن به أن تخلفه لهوى متبع، وليس عن اجتهاد ونظر، والمجتهد مأجور ولو خطأ.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار البصري ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر رضي الله عنه وكان جامعاً عالماً رفيعاً فقيهاً ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كثير العلم فصيحاً جميلاً شجاعاً. قال الربيع ابن أنس: اختلفت إلى الحسن عشر سنين أو ما شاء الله فليس من يوم إلَّا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك وكان إذا ذكر عند الباقر رضي الله عنه قال: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء ولابن الجوزي رسالة فيه ضمنها الكثير من مناقبه وأقواله. وتوفي سنة ١١٠.

وجماعة من أهل الحديث إلى أنَّها ثبتت بالنص الخفي والإشارة، ومنهم من قال بالنص الجلي، وذهب جماعة من أهلْ الحديث والمعتزلة والأشعرية إلى أنَّها ثبتت بالاختيار والدليل على إثباتها بالنص أخبار: من ذلك ما أثبته البخاري عن جبير بن مُطْعِم(١) قال: أتت امرأة النبي ﷺ، فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت فلم أجدك؟ ـ كأنها تريد الموت ـ قال: إن لم تجديني فأتى أبا بكر. وذكر له سياق آخر وأحاديث أخر، وذلك نص على إمامته. وحديث حذيفة بن اليمان(٢) قال: قال رسول الله ﷺ «اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر» رواه أهل السنن. وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: دخل على رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدىء فيه فقال: ادعى لي أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً. ثم قال: يأبى الله والمسلمون إلاَّ أبا بكر. وفي رواية: «فلا يطمع في هذا الأمر طامع» وفي رواية قال: «ادعى لي عبد الرحمن بن أبي بكر لأكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه، ثم قال: «معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر». وأحاديث تقديمه في الصلاة مشهورة معروفة وهو يقول: «مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». وقد روجع بذلك مرة بعد مرة، فصلَّى بهم مدَّة مرض النبي ﷺ. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينا أنا نائم رأيتني على قليب (بئر) عليها دلو فنزعت منها (أي

---

(١) هو جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل القرشي كان من علماء قريش وساداتهم وأحد من يتحاكم إليه ومن علماء النسب قال: أخذت النسب عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. أسلم بين الحديبية والفتح ومات سنة ٥٧ أو بعدها.

(٢) هو حذيفة بن حسل ويقال حسيل بن جابر العبسي. واليمان لقب حسل لأنه حالف الأنصار وهم من اليمن. أسلم هو وأبوه وهاجر إلى النبي ﷺ فخيره بين الهجرة والنصرة فاختار النصرة وشهد أحداً ثم شهد الحرب بنهاوند فلما قتل أمير الجيش أخذ الراية. وكان فتح همدان والري ودينور على يده وشهد فتح الجزيرة ونزل نصيبين وتزوج فيها. قال عمر يوماً وقد تمنى أصحابه: أتمنى رجالاً مثل أبي عبيدة ومعاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان فأستعملهم في طاعة الله عز وجل. واستعمله عمر على المدائن فلم يزل بها حتى مات بعد قتل عثمان بأربعين ليلة سنة ٣٦ رضي الله عنهم.

استخرجت الماء) ما شاء الله، ثم أخذها ابن أبي قُحافة فنزع منها ذَنوباً (دلواً ممتلئة) أو ذَنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له، ثمَّ استحالت غَرْباً (دلواً عظيمة) فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريّاً (العبقري السيد وكل شيء عظيم في نفسه) من الناس يفري فريه (أي يعمل عمله) حتى ضرب الناس بعطن (أي أقاموا بعد الري)». وفي الصحيح أنَّه ﷺ قال على منبره: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلاَّ سدت إلاَّ خوخة أبي بكر» وفي سنن أبي داود[1] وغيره من حديث الأشعث[2] عن الحسن عن أبي بكرة[3] أن النبي ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ فقال رجل: أنا رأيت ميزاناً أنزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت أنت بأبي بكر، ثم وزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ثم وزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع. فرأيت الكراهة في وجه النبي ﷺ فقال: خلافة ثم يؤتي الله الملك من يشاء.

فبين رسول الله ﷺ أن ولاية هؤلاء خلافة نبوة ثم بعد ذلك ملك، وليس فيه ذكر علي رضى الله عنه لأنه لم يجتمع الناس في زمانه بل كانوا مختلفين لم ينتظم فيه خلافة النبوة ولا الملك. وروى أبو داود أيضاً عن جابر رضي الله عنه أنَّه كان تحدث أن رسول الله ﷺ قال: رأى الليلة رجل صالح

---

(١) هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني الإمام في زمانه رحل وطوف وجمع وصنف وهو صاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة المشهورة في الحديث قال إنَّه انتخبه من خمسمائة ألف حديث قال ابن الأعرابي: لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلاَّ المصحف الذي فيه كتاب الله عز وجل ثم هذا الكتاب ـ وأشار إلى سنن أبي داود ـ لم يحتج معهما إلى شيء من العلم بتة. ولد أبو داود سنة ٢٠٢ ومات سنة ٢٧٥.

(٢) هو الأشعث بن عبد الملك الحمراني البصري كان ثقة مأموناً ثبتاً فقيهاً متقناً وهو من أصحاب الحسن البصري قال ابن عدي: أحاديثه عامتها مستقيمة وهو ممن يكتب حديثه ويحتج به وهو في جملة أهل الصدق، مات سنة ٤٦ على الأكثر.

(٣) هو نفيع بن الحارث بن كلدة الثقفي وقيل كان أبوه عبداً للحارث بن كلدة واسمه مسروح فاستلحق الحارث أبا بكرة وكان من فضلاء الصحابة وخيارهم سكن البصرة وأنجب أولاداً لهم شهرة وكان تدلى إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة فاشتهر بأبي بكرة مات سنة خمسين وقيل بعدها رضي الله عنه.

أن أبا بكر نِيطَ (عُلِّق) برسول الله ﷺ ونِيطَ عمر بأبي بكر، ونِيطَ عثمان بعمر، قال جابر: فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ، وأما المُنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذي بعث الله به نبيه. وروى أبو داود أيضاً عن سَمُرة بن جُنْدب[1] إن رجلاً قال يا رسول الله، رأيت كأن دلواً دلّى من السماء فجاء أبو بكر فأخذ بِعرَاقيها (وهما خشبتان تجعلان على فم الدلو لربطه) فشرب شرباً ضعيفاً ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع (ملأ أضلاعه)، ثم جاء عثمان فأخذ بِعَرَاقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء علي فأخذ بعراقيها فانتشطت (نزعت) منه فانتضح عليه منها شيء. وعن سعيد بن جُمهان[2] عن سفينة[3] قال: قال رسول الله ﷺ: «خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتي الله ملكه أو الملك من يشاء». قلت: الله أعلم بصحة هذه الأحاديث، وهي في حاجة إلى من يحقق إسنادها ومتونها.

واحتج من قال لم يستخلف بالخبر المأثور، عن عبدالله بن عمر عن عمر رضي الله عنهما أنَّه قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير مني،

---

(١) هو سمرة بن جندب بن هلال الفزاري حليف الأنصار قدمت به أمه المدينة بعد موت أبيه فتزوجها رجل من الأنصار فكان في حجره، وكان رسول الله ﷺ يعرض غلمان الأنصار كل سنة فمر به غلام فأجازه في البعث، وعرض عليه سمرة فرده فقال: لقد أجزت هذا ورددتني ولو صارعته لصرعته، قال: فدونكه، فصارعه فصرعه سمرة فأجازه في البعث. وغزا مع النبي ﷺ غير غزوة، وسكن البصرة، وكان زياد يستخلفه عليها إذا سار إلى الكوفة، ويستخلفه على الكوفة إذا سار إلى البصرة، وكان شديداً على الخوارج فكانوا يطعنون عليه. توفي قبل سنة ٦٠ رضي الله عنه.

(٢) هو سعيد بن جمهان الأسلمي أبو حفص البصري ذكره ابن حبان في الثقات وقال: مات بالبصرة سنة ١٣٦.

(٣) سفينة مولى رسول الله ﷺ اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً روى عنه أنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر وكان إذا أعيا بعض القوم ألقى على سيفه وترسه ورمحه حتى حملت من ذلك شيئاً كثيراً فقال النبي ﷺ: ما أنت إلاّ سفينة. فكان إذا قيل له ما اسمك؟ يقول: ما أنا بمخبرك سماني رسول الله ﷺ سفينة فلا أريد غيره.

يعني أبا بكر رضي الله عنه، وإن لا أستخلف فلم يستخلف من هو خير مني، يعني رسول الله ﷺ.

(قالوا): والظاهر والله أعلم أنَّ المراد أنه لم يستخلف بعهد مكتوب ولو كتب عهداً لكتبه لأبي بكر، بل قد أراد كتابته ثم تركه وقال: يأبى الله والمسلمون إلَّا أبا بكر، فكان هذا أبلغ من مجرد العهد، فإن النبي ﷺ دلَّ المسلمين على استخلاف أبي بكر وأرشدهم إليه بأمور متعددة من أقواله وأفعاله، وأخبر بخلافته إخبار راضٍ بذلك، حامد له، وعزم على أن يكتب بذلك عهداً، ثم علم أنَّ المسلمين يجتمعون عليه، فترك الكتاب اكتفاء بذلك، ثم عزم على ذلك في مرضه يوم الخميس، ثم لما حصل لبعضهم شك هل ذلك القول من جهة المرض، أو هو قول يجب اتباعه ترك الكتابة، اكتفاء بما علم أن الله يختاره والمؤمنون من خلافة أبي بكر، فلو كان التعيين مما يشتبه على الأمة لبينه بياناً قاطعاً للعذر، لكن لما دلَّهم دلالاتٍ متعددة على أن أبا بكر المتعين، وفهموا ذلك حصل المقصود. ولهذا قال عمر رضي الله عنه في خطبته التي خطبها بمحضر من المهاجرين والأنصار: أنت خيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ ولم ينكر ذلك منهم أحد، وما قال أحد من الصحافة أن غير أبي بكر من المهاجرين أمير، وهذا مما ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي ﷺ بطلانه، ثم إنَّ الأنصار كلهم بايعوا أبا بكر إلَّا سعد بن عُبادة لكونه هو الذي كان يطلب الولاية، ولم يقل أحد من الصحابة قط إنَّ النبي ﷺ نص على غير أبي بكر لا علي ولا العباس ولا غيرهما، كما قد قال أهل البدع، وروى ابن بطة[1]

---

(١) هو عبيدالله بن محمد أبو عبدالله العكبري الحنبلي سافر الكثير إلى مكة والثغور والبصرة وغيرها ولما رجع من الرحلة لزم بيته أربعين سنة فلم ير يوماً منها في سوق ولم ير مفطراً إلَّا في يوم الأضحى والفطر وكان أماراً بالمعروف ولم يبلغه خبر منكر إلَّا غيره. وكان شيخاً صالحاً مستجاب الدعوة توفي بعكبرا سنة ٣٨٧ وله ما يزيد على مائة مصنف.

بإسناده أن عمر بن عبد العزيز[1] بعث محمد بن الزبير الحنظلي[2] إلى الحسن فقال: هل كان النبي ﷺ استخلف أبا بكر؟ فقال: أو في شكٍّ صاحبك؟ نعم والله الذي لا إله إلاَّ هو، استخلفه، لهو كان أتقى لله من أن يتوفى عليها.

وفي الجملة فجميع من نقل عنه أنه طلب تولية غير أبي بكر لم يذكر حجة دينية شرعية، ولا ذكر أن غير أبي بكر أفضل منه أو أحق بها، وإنما نشأ من حب قبيلته وقومه فقط وهم كانوا يعلمون فضل أبي بكر رضي الله عنه وحب رسول الله ﷺ له[3].

جيش أسامة وأهل الردة

جيش أسامة:

بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد بن حارثة، وأَمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم[4] من أرض فلسطين. فتجهز الناس وأَوعب مع أسامة المهاجرون الأولون، وهو آخر بعث بعثه رسول الله ﷺ، فبينا الناس على ذلك، ابتدىء رسول الله ﷺ بشكواه الذي قبضه الله فيه إلى ما أَراد من كرامة

---

(١) هو الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي ولد بالمدينة سنة ٦١ ونشأ فيها وولي إمارتها للوليد بن عبد الملك ثم استوزره أخوه سليمان بالشام وولي الخلافة بعهد منه سنة ٩٩ فلم تطل خلافته فتوفي مسموماً سنة ١٠١ ودفن بدير سمعان وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة أفردت بالتأليف منها سيرته لابن عبد الحكم التي طبعتها المكتبة العربية.

(٢) هو محمد بن الزبير التميمي الحنظلي البصري قال ابن عدي: هو كوفي الأصل قليل الحديث.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية. قلت: وقد أجمع المسلمون على أن أبا بكر أحق الناس بالخلافة، وقال هذا الإجماع كبار الأئمة كالشافعي وغيره، نقل في طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى عن الإمام أحمد أنَّه قال: من قال إنَّ علياً أحق بالخلافة من أبي بكر فقد طعن على رسول الله. وأول من قال هذا الإجماع عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، حتى أصبح هذا الأمر جزءاً من العقيدة الإسلامية لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب العقائد.

(٤) البلقاء منطقة حكومة شرقي الأردن اليوم والداروم قلعة جنوبيّ غزة.

ورحمة[1]، وكان في الجيش عمر بن الخطاب، فلم يجاوز آخرهم الخندق حتى قبض رسول الله ﷺ فوقف أسامة بالناس حتى استخلف أبو بكر فقال لعمر: ارجع إلى خليفة رسول الله ﷺ فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس فإنَّ معي وجوه الناس، ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ، وثَقَل رسول الله وثَقَل المسلمين أن يتخطفهم المشركون. وقالت الأنصار: فإن أبىٰ إلَّا أن نمضي فأبلغه عنا واطلب إليه أن يولي أمرنا رجلًا أقدم سنًّا من أسامة.

فخَرج عمر بأمر أسامة وأتى أبا بكر فأخبره بما قال أسامة[2]، فقال: يا خليفة رسول الله! إن العرب قد ارتدت على أعقابها كفاراً كما قد علمت، وأنت تريد أن تنفذ جيش أسامة؟ وفي جيش أسامة جماعة العرب وأبطال الناس فلو حبسته عندك لتقويت به على من ارتد من هؤلاء العرب.

فقال أبو بكر: والله لو علمت أنَّ السباع تجر برجلي إن لم أرده ما رددته، ولا حللت لواء عقده رسول الله ﷺ. فقال عمر: إنَّ الأنصار أمروني أن أبلغك، وهم يطلبون أن تولي أمرهم رجلًا أقدم سنًّا من أسامة. فوثب أبو بكر وكان جالساً فأخذ بلحية عمر، فقال: ثكلتك أُمك وعدمتك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله ﷺ وتأمرني أن أنزعه؟

فخرج عمر إلى الناس فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: امضوا، ثكلتكم أمهاتكم، ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله[3].

ثمَّ نادى منادي أبي بكر من بعد الغد من متوفي رسول الله ﷺ: ليتم بعث أسامة ألا لا يبقينّ بالمدينة أحد من جند أسامة إلَّا خرج إلى عسكره بالجُرْف[4]، وقام في الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال:

---

(١) ابن هشام.
(٢) تاريخ ابن جرير الطبري. والطبري كما صرّح هو نفسه يروي عن الثقة وغير الثقة.
(٣) تاريخ الطبري.
(٤) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام.

يا أيها الناس إني وليت هذا الأمر وأنا له كاره. والله لوددت لو أنَّ بعضكم كفانيه، وإنما أنا مثلكم، وإني لا أدري لعلكم ستكلفوني ما كان رسول الله ﷺ يطيق، إنَّ الله اصطفى محمداً على العالمين، وعصمه من الآفات، وإنما أنا متبع، ولست بمبتدع ولست بخير من أحدكم، فراعوني، فإن رأيتموني استقمت فتابعوني، وإن رأيتموني زغت فقوِّموني، وإن رسول الله ﷺ قبض وليس أحد من هذه الأمة يطلبة بمظلمة ضربة سوط فما دونها، ألا وإن لي شيطاناً يعتريني، فإذا أتاني فاجتنبوني لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم[1].

ثمَّ أشخص الجيش وشيعه وهو ماشٍ، وأسامة راكب وعبد الرحمن ابن عوف يقود دابة أبي بكر، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله! والله لتركبنَّ أو لأنزلنَّ، قال: والله لا تنزل، ووالله لا أركب! وما عليّ أن أغيِّر قدميَّ في سبيل الله ساعة، فإنَّ للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له، وسبعمائة درجة ترفع له، وترفع عنه سبعمائة خطيئة. حتى إذا انتهى، قال لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل، فأذن له.

ثم قال: يا أيُّها الناس قفوا أوصكم بعشر، فاحفظوها عني:

لا تخونوا ولا تغلُّوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلاَّ لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرَّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً. اندفعوا باسم الله.

وقال لأسامة: اصنع ما أُمرك به رسول الله ﷺ، ابدأ ببلاد قضاعة ثم

---

(١) جمعنا بين روايتي ابن سعد والطبري.

ائت آبل[١]. ولا تقصرنّ في شيء من أمر رسول الله ﷺ. فمضى أُسامة مغذّاً على ذي المَرْوَة والوادي وانتهى إلى ما أُمره النبي ﷺ وغنم، وكان فراغه في أربعين يوماً سوى مقامه ومنقلبه راجعاً[٢].

وجعل لا يمرّ بقبيل يريدون الارتداد إلاّ قالوا: لولا أنَّ لهؤلاء قوّة ما خرج مثل هؤلاء من عندهم، وإنا لندعهم حتى يلقوا الروم. فلما لقوا الروم وهزموهم وقتلوهم ورجعوا سالمين ثبت أُولئك على الإسلام[٣].

أهل الردة[٤]:

وما فصل أسامة حتى كفرت الأرض وتصرَّمت، وارتد من كل قبيلة عامة أو خاصة إلاّ قريشاً وثقيفاً، واستغلظ أمر مُسيلِمة وطُليحة واجتمع على طليحة عوام طيء وأسد، وارتدت غَطفَان. وارتدت خواصّ من بني سُليم وكذلك سائر الناس بكل مكان[٥].

قال قَتادة رضي الله عنه[٦]: لما توفي رسول الله ﷺ ارتدت العرب

---

(١) آبل: بلد بالأردن. كما قالوا، ولست أعرف ماذا يدعى اليوم.
(٢) تاريخ الطبري.
(٣) الرياض النضرة.
(٤) قبض رسول الله ﷺ ورواق الإسلام مسيطر فوق الجزيرة، وقد دانت له العرب كلها، واستجابت إليه، ولكن من العرب بداة جفاة، لم يدخل الإيمان في قلوبهم، ولم ينتزع منها حمية الجاهلية وأخلاقها، فلم يسمعوا بوفاة رسول الله ﷺ ولم يبصروا الهول العظيم، الذي لحق بالمسلمين، والألم الذي حز من نفوسهم، حين فقدوا رسول الله ﷺ من بين ظهرانيهم، وانقطع عنهم الوحي إلى يوم القيامة، وختم على الأرض سفر النبوة، ولم يروا المتنبئين الكذابين: مسيلمة وطليحة والأسود، ومن تبعهم من الخلائق، حتى عصفت في رؤوسهم نخوة الجاهلية وعطس الشيطان في مناخرهم، فامتنعوا أن يدفعوا الزكاة؛ وأصروا واستكبروا استكباراً؛ وقالوا إن هي إلاّ إتاوة؛ وإن هي إلاّ الذل والهوان؛ والله ما ندفعها!
(٥) تاريخ ابن جرير الطبري.
(٦) هو قتادة بن النعمان بن زيد الأنصاري الأوسي أخو أبي سعيد الخدري لأمة كان من فضلاء الصحابة شهد العقبة وبدراً وأحداً والمشاهد كلها وأصيبت عينه يوم بدر أو أحد أو الخندق فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه توفي سنة ٢٣ وهو ابن ٦٥ سنة رضي الله عنه.

كلها إلاَّ ثلاثة مساجد: مكة والمدينة والبحرين، فقالوا: أما الصلاة فإننا سنصلي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا منا[١].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما توفي رسول الله ﷺ، اشرأب النفاق بالمدينة، وارتدت العرب قاطبة، وانحازت الأنصار وصار المسلمون كالغنم السائبة في الليلة الماطرة، حتى جمعهم الله على أبي بكر، فلقد نزل بأبي بكر ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها (كسرها)[٢].

وفي رواية عنها أنَّ رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: لا يبقى في جزيرة العرب دينان. فلما توفاه الله عزَّ وجل ارتد في كل ناحية من جزيرة العرب مرتدون عامة أو خاصة واشرأبت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق بالمدينة وفيما حولها وكادوا الدين.

فكان المرتدون فريقين: فريق بذلوا الصلاة ومنعوا الزكاة، وفريق كفروا بالدين كله، وآمنوا برسالة الشيطان إلى مُسيلِمة وطُليحة والأسود[٣]! فأما الأولون فقالوا: نؤمن بالله ونشهد أن محمداً رسول الله، ولكنا لا نعطيكم أموالنا، وبعثوا إلى المدينة وفداً فنزلوا على وجوه الناس. فأنزلوهم ما خلا عباساً، فتحملوا بهم على أبي بكر على أن يقيموا الصلاة وعلى أن لا يؤتوا الزكاة. فعزم الله لأبي بكر على الحق فقال: والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه، وكانت عُقُل الصدقة على أهل الصدقة. وردَّ الوفد فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بقلَّة أهل المدينة وأطمعوهم فيها[٤].

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٢) ابن عساكر وغيره.

(٣) هو عيهلة بن كعب بن عوف العنسي من أهل اليمن وكان بطاشاً جباراً مشعوذاً أسلم وارتد في زمن النبي ﷺ فكان أول مرتد في الإسلام وادَّعى النبوة واتسع سلطانه حتى غلب على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن. وجاءت كتب النبي ﷺ إلى اليمن بالتحريض على قتله فقتل قبل وفاة النبي ﷺ بشهر واحد.

(٤) تاريخ الطبري.

فقال عمر لأبي بكر رضي الله عنهما: كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلاَّ الله، فمن قال لا إله إلاَّ الله، فقد عصم مني نفسه وماله إلاَّ بحقه، وحسابه على الله. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً (هي الأنثى من أولاد المعز) لقاتلتهم على منعها[١].

وجادله في ذلك كثير من الصحابة منهم عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة[٢] وغيرهم، ورأى الصحابة أن اللين أولى، وأن الأرض قد زلزلت بالردة فما يطاق تثبيتها، وأبو بكر ماضٍ في الذي شرح الله له صدره من الحق، لا يضعف ولا يني، ولقد قال عمر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم، فقال: رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك؟ أجبّار في الجاهلية وخوَّار في الإسلام، إنَّه قد انقطع الوحي، وتمَّ الدين، أو ينقص وأنا حيّ؟[٣] أليس قد قال (أي النبي ﷺ في الحديث الذي احتج به عمر) إلاَّ بحقها، ومن حقها الصلاة وإيتاء الزكاة والله لو خذلني الناس كلهم لجاهدتهم بنفسي. قال عمر رضي الله عنه: فما هو إلاَّ أن رأيت أن اللَّه شرح صدر أبي بكر للقتال حتى عرفت أنَّه الحق[٤].

وهمَّ كثير من أهل مكة بالرجوع عن الإسلام وأرادوا ذلك، حتى خافهم عَتّاب بن أسيد فتوارى فقام سهيل بن عمرو فحمد اللَّه وأثنى عليه ثم ذكر وفاة رسول اللَّه ﷺ وقال: إن ذلك لم يزد الإسلام إلاَّ قوَّة، فمن رابنا ضربنا عنقه، فتراجع الناس وكفّوا عما همّوا[٥].

* * *

---

(١) الصحيحان.

(٢) هو سالم بن عبيد بن ربيعة وقيل بن معقل كان من فضلاء الصحابة والموالي وكبارهم وهو معدود في المهاجرين. قتل يوم اليمامة شهيداً رضي الله عنه.

(٣) خرجه النسائي.

(٤) الصحيحان.

(٥) تاريخ الخميس. قلت: وبذلك تحقق ما رواه الطبري في تاريخه من أن سهيلاً لما أسر في =

وجعل أبو بكر بعدما أخرج الوفد على أنقاب المدينة علياً والزبير وطلحة وعبدالله بن مسعود وأخذ أهل المدينة بحضور المسجد، وقال لهم: إنَّ الأرض كافرة، وقد رأى وفدهم قلَّة، وإنَّكم لا تدرون أليلاً تؤتون أم نهاراً، وأدناهم منكم على بريد، وقد كان القوم يأمُلون أن نقبل منهم ونوادعهم، وقد أبينا عليهم، ونبذل إليهم عهدهم، فاستعدوا وأعدّوا[١].

ثم لم يمرّ إلَّا ثلاث ليال حتى طرقوا المدينة غارة مع الليل، وخلَّفوا بعضهم بذي حُسي[٢] ليكونوا لهم ردءاً (عوناً) فوافوا ليلاً الأنقاب (النقب الطريق بين الجبلين) وعليها المقاتلة، فمنعوهم وأرسلوا إلى أبي بكر بالخير، فأرسل إليهم أبو بكر رضي الله عنه أن ألزموا أماكنكم، ففعلوا، وخرج في أهل المسجد على النواضح (الإبل) إليهم، فانفشَّ العدو، فاتبعهم المسلمون على إبلهم، حتى بلغوا ذا حُسىٰ، فخرج عليهم الردء بأنحاء (أي بزقاق السمن) قد نفخوها، وجعلوا فيها الحبال، ثمَّ دهدهوها (دحرجوها) بأرجلهم في وجوه الإبل، فنفرت إبل المسلمين وهم عليها، ولا تنفر الإبل من شيء نفارها من الأنحاء فعاجت بهم ما يملكونها، حتى دخلت بهم المدينة فلم يصرع مسلم ولم يصب.

وظن القوم بالمسلمين الوهن وبعثوا إلى ذي القَصَّة[٣] بالخبر، فقدموا عليهم اعتماداً على الذي أخبروهم وهم لا يشعرون لأمر الله عزَّ وجل الذي أراده وأحب أن يبلغه فيهم، فبات أبو بكر رضي الله عنه ليلته يتهيأ ويعبىء الناس، ثمَّ خرج على تعبئة من أعجاز ليلته يمشي وعلى ميمنته النعمان بن

= بدر قال عمر: يا رسول الله انتزع ثنيتي سهيل بن عمرو السفليين، (وكان أعلم من شفته السفلى) يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً، فقال له رسول الله ﷺ: «إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه» فقام هذا المقام.

(١) تاريخ الطبري.

(٢) ذو حسي: موضع قرب المدينة تلقاء نجد.

(٣) ذو القصة: موضع على بريد من المدينة تلقاء نجد.

مُقَرِّن وعلى ميسرته عبدالله بن مقرن وعلى الساقة سويد بن مقرن[1] فما طلع الفجر إلاَّ وهم والعدو في صعيد واحد، فما سمعوا للمسلمين همساً ولا حسَّاً حتى وضعوا فيهم السيوف، فاقتتلوا أعجاز ليلتهم فما ذَرَّ قرن الشمس حتى ولوهم الأدبار وغلبوهم على عامة ظهرهم، وقتل حِبال (أخو طليحة) واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القَصَّة وكان أوَّل الفتح، ووضع بها النعمان بن مُقَرِّن في عدد ورجع إلى المدينة، فذل بها المشركون وعز المسلمون بوقعة أبي بكر. وحلف أبو بكر رضي الله عنه ليقتلن في المشركين كل قتله، وليقتلن في كل قبيلة بمن قتلوا من المسلمين وزيادة[2].

ثم لم يصنع إلاَّ ذلك حتى ازداد المسلمون لها ثباتاً على دينهم في كل قبيلة، وازداد لها المشركون انعكاساً على أمرهم في كل قبيلة.

وطرقت المدينة صدقات نفر كانوا على صدقات المسلمين منهم صفوان[3] في أول الليل، وكان الذي بشَّر به سعد بن أبي وقاص. والزِّبْرِقان[4] في وسطه، وكان الذي بشر به عبد الرحمن بن عوف. وعديّ[5] في آخر الليل، وكان الذي بشر به عبدالله بن مسعود. وقال الناس لكل منهم

---

(١) الثلاثة إخوة أشهرهم النعمان وهو النعمان بن مقرن وقيل ابن عمرو بن مقرن المزني هاجر ومعه سبعة إخوة له ثم سكن البصرة وفتح القادسية وقتل في وقعة نهاوند سنة ٢١ قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ للإيمان بيوتاً وللنفاق بيوتاً وإن من بيوت الإيمان بيت ابن مقرن.

(٢) تاريخ الطبري.

(٣) هو صفوان بن صفوان بن أسيد التميمي كان عامل رسول الله ﷺ على بني عمرو.

(٤) هو الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس التميمي يقال كان اسمه الحصين ولقب الزبرقان لحسن وجهه وهو من أسماء القمر. كان سيداً في الجاهلية عظيم القدر في الإسلام أسلم مع وفد بني تميم سنة تسع وولاه رسول الله ﷺ صدقات قومه بني عوف وأقره أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وكان شاعراً فصيحاً وفد على عبد الملك بن مروان وقد كف بصره توفي في حدود سنة ٤٥.

(٥) عدي بن حاتم الطائي الجواد المشهور أسلم في سنة تسع أو عشر وكان نصرانياً وثبت على الإسلام في الردة وشهد فتح العراق وشهد صفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد سنة ستين وقد أسن قيل بلغ ١٣٠ سنة وقيل ١٨٠ سنة.

حين طلع: نذير! فقال أبو بكر هذا بشير. فكان إذا بشَّر بالخير قالوا: طالما بشرت بالخير. وذلك لتمام ستين يوماً من مخرج أسامة، وقدم أسامة بعد ذلك بأيام فاستخلفه أبو بكر رضي الله عنه على المدينة وقال له: أريحوا وأريحوا ظهركم، ثم خرج في الذين خرجوا إلى ذي القَصَّة والذين كانوا على الأنقاب، فقال له المسلمون: ننشدك الله يا خليفة رسول الله، أن تعرض نفسك، فإنك إن تُصَبْ لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو، فابعث رجلاً فإن أصيب أمّرت آخر[1] وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلته وقال له: أقول لك كما قال لك رسول الله ﷺ يوم أحد: شِمْ (أغمد) سيفك ولا تفجعنا بنفسك، وارجع إلى المدينة فوالله لئن أصبنا بك لا يكون للإسلام بعدك نظام أبداً[2] فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج في تعبئته إلى ذي الحُسىٰ وذي القَصَّة، والنُّعمان وعبدالله وسويد على ما كانوا عليه، حتى نزل على أهل الربذة[3] بالأبرق فاقتتلوا.

فلما غُلب أهل الردة ودخلوا في الباب الذي خرجوا منه رجع إلى المدينة وقد جاء صدقات كثيرة تفضل عنهم، فقطع أبو بكر البعوث وعقد الألوية لقتال أهل الردة فكانت أحد عشر لواء.

ففصلت الأمراء من ذي القصَّة ونزلوا على قصدهم فلحق بكل أمير جنده، وقد عهد إليهم عهده، وكتب إلى من بعث إليه من جميع المرتدة كتاباً واحداً (سيأتي ذكره في آخر هذا الكتاب).

ولا نحب أن نفيض في ذكر حروب الردة لأننا أنشأنا هذا الكتاب لتدوين سيرة أبي بكر ويراها القارىء مفصلة في سيرة خالد بن الوليد وفي كتب التاريخ الإسلامي.

---

(١) تاريخ ابن جرير.
(٢) من حديث عائشة في الرياض وتاريخ الخلفاء عن ابن عمر وقال أخرجه الدارقطني.
(٣) الربذة: قرية من قرى المدينة وهي منها على ثلاثة أميال.

قال أبو رجاء[1]: دخلت المدينة فرأيت الناس مجتمعين ورأيت رجلاً يقبل رأس رجل وهو يقول: أنا فداؤك ولولا أنت لهلكنا، قلت: من المقبِّل ومن المقبَّل؟ قالوا: ذاك عمر يقبل رأس أبي بكر في قتال أهل الردة إذ منعوا الزكاة حتى أتوا بها صاغرين.

قلت: وهذا فتح في الإسلام عظيم... فتحه الله على أبي بكر، ليكون معجزة من معجزات النبوة، أمد الله أبا بكر بقوة من عنده، فاستطاع أن يقف وحده أمام هذه الجزيرة الهائجة المائجة التي لم تخضع مذ بسط الله أرضها لمخلوق، والتي أعجزت الفاتحين منذ أول الدنيا، وأطمعتهم حتى إذا طمعوا بها، أطعمتهم رمالها المحرقة، فلبثوا فيها إلى الأبد.

والتي لم تحن رأسها إلَّا لمحمد بن عبدالله ﷺ.

وقف وحده أمام هذه القبائل المرتدة... وقد انفجرت كما ينفجر البركان وأخذت عليه كل سبيل، وهتفت به متمردة ثائرة تقول:

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا ... فيا لعباد الله ما لأبي بكر
أيورثها بكراً ـ إذا مات ـ بعده؟ ... وتلك لعمر الله قاصمة الظهر

وحار الصحابة وجزعوا، وقالوا: يا أبا بكر! لا ترسل أسامة بجيشه إلى الشام فإنَّ معه وجوه الناس وشجعانهم، فاستعن بهم على قتال هؤلاء الذين نقضوا عرى الإسلام، أطفىء به هذه النار التي اندلع لسانها من كل جانب، وعمت وانتشرت، ثبت به هذه الأرض التي زلزلت زلزالها، واضطربت ومادت... وما نقدر على شيء إذا أخلينا المدينة من هذا الجيش، وما لنا بقتال الروم من حاجة.

وواجه أبو بكر الخطر برأسه، واستقبل التبعة العظيمة، وأنصت الدهر

(1) هو أبو رجاء العطاردي البصري واسمه عمران بن ملحان أدرك زمن النبي ﷺ ولم يره. كان ثقة في الحديث توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وقيل بعدها وقد عمر طويلاً.

وأمسك كتاب التاريخ، بأقلامهم، وعلقوا أنفاسهم ليسمعوا جواب أبي بكر وكان المستقبل متوقفاً على جوابه، فما كان إلاَّ أن قال: ثكلتكم أمهاتكم! أنا أحل لواء عقده رسول الله ﷺ؟ والله لو جرت السباع برجلي ما فعلت ذلك.

ثم أمضى الجيش وزوده بوصايا ما عرفتها الإنسانية من قبل، كأنما نظر بنور الله إلى المستقبل البعيد، الذي تتقدم فيه الإنسانية حتى تعرف قواعد الحرب وتسعى لتطبيقها. ولم يكن إرسال الجيش مغامرة من أبي بكر كما قال من قال، فالمغامرة هي الإقدام على أمر مشكوك في نجاحه، وليس عند أبي بكر شك في نجاح شيء فعله رسول الله ﷺ. ذلك سر من أسرار الإيمان لا يعرفه إلاَّ من ذاقه:

لا يعـرف الشوق إلاَّ من يكـابـده   ولا الصبّـابـة إلاَّ من يعـانـيهـا

واشتد البلاء، وانتقضت الأرض وزلزلت، وتجرأ المرتدون من العرب على مهاجمة المـدينة، وازداد الصحـابة حيـرة وجزعـاً، حتى لقد حـار عمر ـ القوى ـ وجزع، وقال:

ـ يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم. . .

ولكن نفس أبي بكر ـ معجزة الله في النفوس ـ لم تعرف الحيرة ولا الجزع. فقال أبو بكر:

ـ ماذا يا عمر؟ رجوت نصرتك وجئتني بخذلانك؟ أجبّار في الجاهلية وخوَّار في الإسلام؟ لقد تمَّ الدين وانقطع الوحي، أفينقص وأنا حي؟

ثم قال الكلمة الحاسمة في التاريخ الإنساني. الكلمة التي أنشأت الحضارة الإسلامية، الكلمة التي بنت دولاً وهدت دولاً وثبَّت الله بها الإسلام فكانت من آيات الله الباهرة على نبوة محمد ﷺ، ومرَّ عليها إلى اليوم ألف وثلاثمائة وواحد وأربعون عاماً، ولم تفقد بعد روعتها، بل هي جديدة حيَّة في نفس كل مسلم كأنَّما نطق بها الصديق الأعظم أمس.

قال: والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله لقاتلهم عليه بالسيف، ولو تخليتم عني لجاهدتهم وحدي!

ثمَّ خرج إليهم بنفسه، ورتب الجيوش لقتالهم، فلم تكن إلاَّ هنيات حتى خضعت الجزيرة المرة الثانية في التاريخ، ثم أخضعت ـ إذ خضعت للحق ـ العالم.

* * *

أما إني لست أعرف فيما قرأت من كتب التاريخ عظيماً من العظماء في أمة من الأمم وقف مثل موقف أبي بكر، وقد يقف رجل وحده أمام أمة يقاتلها وتقاتله باللسان والقلم ثم لا يبالي، أظفرت به أم ظفر بها، وقد يقدم فارس شجاع على جيش كبير، فيقاتل مستميتاً ثم يقتل ولا يصنع شيئاً، أما أن يقف رجل واحد أمام أمة ثائرة على مبدأ من المبادىء تدافع عن عقيدة استقرت في نفوسها، وخالطت دمها ولحمها، وجردت للدفاع عنها سيوفها وألسنتها، وباعت في سبيلها حياتها، ثم تكون له الغلبة على أجسامها حتى تخضع له، وعلى قلوبها حتى ترجع عن عقيدتها... فأمر لم يقع ـ بعد الأنبياء والمرسلين ـ إلاَّ لأبي بكر.

وقد يكون في أمة رجال أشداء، ذوو صلابة وعزم، ومضاء وحزم، يقدمون على العظائم، ويصمدون للشدائد، ولكني لا أعرف عظيماً من العظماء في أمة من الأمم، ينازل وحده أمة، ويغلبها ويقوى عليها، وينزل به ما لو نزل بالجبال الراسيات لهاضها، فلا ينال منه ولا يميله، حتى إذا زالت الشدة وأصبح سيد الجزيرة والشام والعراق غدا فرعى غنم أهله، وحلب للحي أغنامهم وقال للجارية التي ظنت أنَّه لن يفعل: بلى لعمري لأحلبنها لكم. وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه.

رحمك الله يا أبا بكر ورضي عنك: فإنك عظيم في العظماء، وإنما العظيم عظيم في الناس.

حياته بعد الخلافة

لما هاجر أبو بكر رضي الله عنه نزل بالسُّنح على خارجة بن زيد بن أبي زهير وتزوج ابنته حبيبة ولم يزل في بني الحارث بن الخزرج حتى توفي رسول الله ﷺ[1].

قال ابن عساكر: وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فما زاد على ذلك حتى تحول إلى منزله بالمدينة[2] وكان قد أقام بالسُّنح بعدما بويع له ستة أشهر، يغدو على رجليه كل يوم إلى المدينة، وربما ركب على فرس له وعليه إزار ورداء ممشّق (مصبوغ)، فيوافي المدينة فيصلي الصلوات الخمس بالناس، فإذا صلّى العشاء رجع إلى أهله، وكان إذا حضر صلّى بالناس، وإذا لم يحضر صلّى بهم عمر رضي الله عنهما، وكان يقيم صدر الجمعة بالسُّنح يصبغ رأسه ولحيته ثمَّ يذهب إلى المدينة فيجّمع بالناس.

وكان رجلاً تاجراً يغدو كل يوم إلى السوق فيبيع ويبتاع. قال عطاء بن السائب[3]: لما استخلف أبو بكر أصبح غادياً إلى السوق وعلى رقبته أثواب يتجر بها، فلقيه عمر وأبو عبيدة فقالا: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ قال: السوق. قالا: تصنع ماذا وقد وليت أمور المسلمين؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ فقالا: انطلق معنا حتى نفرض لك شيئاً. فانطلق معهما ففرضوا له كل يوم شطر شاة.

وفي الرياض النضرة أن رزقه الذي فرضوه له خمسون ومائتا دينار في السنة وشاة يؤخذ منه بطنها ورأسها وأكارعها، فلم يكن يكفيه ذلك ولا عياله، وكان قد ألقي كل دينار ودرهم عنده في بيت مال المسلمين، فخرج إلى

---

(١) ابن سعد.

(٢) لما أقطع رسول الله ﷺ الدور في المدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد وهي الدار التي صارت لآل معمر ـ ابن سعد.

(٣) الثقفي الكوفي أحد الأئمة قيل مات سنة ١٢٦.

البقيع (وهو مقبرة أهل المدينة) فتصافق[1]، فجاء عمر رضي الله عنه فإذا هو بنسوة جلوس، فقال: ما شأنكن؟ قلن: نريد خليفة رسول الله ﷺ، فانطلق يطلبه فوجده في السوق، فأخذ بيده فقال: تعال ها هنا. فقال: لا حاجة لي في إمارتكم، رزقتموني ما لا يكفيني ولا عيالي. قال: فإنا نزيدك. قال أبو بكر: ثلاثمائة دينار والشاة كلها، قال عمر: أما هذا فلا! فجاء علي رضي الله عنه وهما على حالهما تلك، قال: أكملها له. قال: ترى ذلك؟ قال: نعم، قال: قد فعلنا: قال أبو بكر: أنتما رجلان من المهاجرين لا أدري أيرضى بها بقية المهاجرين أم لا؟

وانطلق أبو بكر رضي الله عنه فصعد المنبر، واجتمع إليه الناس فقال: أيها الناس إن رزقي كان خمسين ومائتي دينار وشاة يؤخذ مني بطنها ورأسها وأكارعها، وإن عمر وعلياً كملا لي ثلاثمائة دينار والشاة. أفرضيتم؟ قال المهاجرون: اللهم نعم! قد رضينا. فقال أعرابي من جانب المسجد: لا والله ما رضينا فأين حق أهل البادية؟ قال أبو بكر: إذا رضي المهاجرون شيئاً فإنَّما أنتم تبع[2].

وفي البخاري: عن عائشة أن أبا بكر رضي الله عنهما لما استخلف قال: لقد علم قومي أنَّ حرفتي لم تكن تعجز عن مؤونة أهلي، وشغلت بأمر المسلمين فسيأكل آل أبي بكر من هذا المال ويحترفون للمسلمين فيه[3].

---

(١) أصله من الصفق وهو الضرب باليد وذلك أنَّ العرب إذا وجب البيع ضرب أحد البائعين على يد صاحبه ثمَّ استعملت الصفقة في العقد والمصافقة والمبايعة.

(٢) تأمل في هذا النظام الحكومي المتين، وهذه الديموقراطية السامية. وانظر بعد... كيف يقول قائل: إنما كانت حكومة الراشدين حكومة بدوية استبدادية لا نظام فيها ولا مبدأ...

(٣) قال المحب الطبري: ظاهر الحديث أنَّه كان يتجر للمسلمين فيه كما كان يتجر في ماله، عوضاً عما يأكل، إلَّا أنَّه لا يلائم قوله: وشغلت بأمر المسلمين فإنَّ المتجر يشغله عن أمر المسلمين سواء كان بماله أو بمالهم، ولا يقال: إنَّه من أمر المسلمين فيدخل تحت عموم الشغل بأمر المسلمين، فإنَّ الشغل الذي أقيم له غير هذا وأهم منه، ولعله ـ والله أعلم ـ بريد بالاحتراف الاشتغال بحفظه، وتأدية الحقوق فيه ومنه وتحصيله من وجوهه، وأطلق على هذا كلمة الاحتراف تجوزاً.

وفي رواية: كان الذي فرض لأبي بكر رضي الله عنه عندما استخلف برديه: إذا أخلقهما وضعهما وأخذ مثلهما، وظهره (ركابه) إذا سافر، ونفقته على أهله، كما كان ينفق قبل أن يستخلف، فرضي بذلك[1].

وكانت له قطعة غنم تروح عليه، وربما خرج فيها بنفسه فرعاها، وربما كفيها فرعيت له، وكان يحلب للحي أغنامهم، فلما بويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يحلب لنا منايح (أغنام) دارنا فسمعها أبو بكر فقال: بلى لعمري لأحلبنها لكم، وإني لأرجو ألَّا يغيرني ما دخلت فيه عن خلق كنت عليه، فكان يحلب لهنَّ[2]، وكنَّ إذا أتينه بأغنامهم يقول: أنفج أم ألبد؟ فإن قالت أنفج باعد الإناء من الضرع حتى تشتد الرغوة، وإن قالت ألبد أدناه منه حتى لا تكون له رغوة[3]، فمكث كذلك بالسُّنح ستة أشهر[4] ثم نزل إلى المدينة[5].

قلت: أبو بكر العظيم، الذي غلب بعزيمته الصادقة، وثباته العجيب، الجزيرة العربية، وأخضعها لدين الله، ثم بعث بها فقاتلت تحت ألويته الدولتين الكبريين على وجه الأرض، وغلبت عليها. أبو بكر... يحلب لجواري الحي أغنامهنَّ، ويقول: أرجو ألَّا يغيرني ما دخلت فيه. وليس الذي دخل فيه بالأمر الهين، بل هو خلافة رسول الله ﷺ، وسيادة العرب، وقيادة الجيوش التي ذهبت لتقلع من الأرض الجبروت الفارسي، والعظمة الرومانية، وتنشيء مكانهما صرح العدل والعلم والحضارة، ثم يرجو ألَّا يغيره هذا كله، ولا يمنعه من حلب أغنام الحيِّ...

هذه عظمة أبي بكر، وهذه لعمري هي العظمة: قوَّة على الأقوياء

---

(١) ابن عساكر والرياض النضرة.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر.
(٣) الفائق للزمخشري.
(٤) وعند ابن سعد: سنة.
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

الجبَّارين، حتى يصرعهم ويلقي برؤوسهم على قدميه، وتواضعٌ للفقراء والمساكين، حتى يطيِّب قلوبهم، ويهون عليهم مصابهم، ولم يكن أبو بكر متكبراً، لأن الكبر عظمة النفوس الصغيرة، ولأنه العجز والخوف والشر: فهو العجز لأن صاحبه لو استطاع أن يكون كبيراً لما كان متكبراً، وهو الخوف لأن صاحبه لا يجرؤ أن يراه الناس كما هو فيستتر وراء حجاب من الكبر، يخفي نقصه وصغاره، وهو الشر لأن صاحبه لا يقدر أن يكون خيراً يجله الناس لخيره، فيكون شريراً يخشاه الناس لشره وضـرّه. أما أبو بكر فكان بعيداً عن هذا كله، وكان يحمل بين جوانحه نفساً كأكبر ما تكون النفوس، وأسماها، فلم يكن الكبر ليجد إلى هذه النفس سبيلاً.

ولم يكن في تواضعه ضعيفاً، فما للضعف سبيل إلى نفس أبي بكر، وهو أقرب الناس إلى معدن النبوة، ومنزلة الوحي، وبريد السماء. هو أدنى الناس إلى رسول الله ﷺ، وأشدُّهم به صلة، ولفعله اتباعاً، وعلى أمره محافظة، وما في فعل رسول الله ﷺ ولا في أمره ضعف، ولا شيء يشبه الضعف.

بيت مال أبي بكر رضي الله عنه

روى ابن سعد وغيره أن أبا بكر رضي الله عنه، كان له بيت مال بالسُّنح معروف، ليس يحرسه أحد، فقيل له: ألا تجعل على بيت المال من يحرسه؟ ففال: لا يخاف عليه. قيل له: ولم؟ قال: عليه قفل! وكان يعطي ما فيه حتى لا يبقى فيه شيئاً، فلما تحوَّل إلى المدينة حوَّله معه فجعله في الدار التي كان فيها، وقدم عليه مال من معدن من معادن جُهينة، فكان كثيراً، وانفتح معدن بني سليم في خلافته، فقدم عليه منه بصدقة، فكان يضع ذلك في بيت المال، فيقسمه بين الناس سويَّاً، بين الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير على السواء.

قالت عائشة رضي الله عنها: «فأعطى أول عام الحرّ عشرة» والمملوك

عشرة، وأعطى المرأة عشرة، وأمتها عشرة. ثم قسم في العام الثاني، فأعطاهم عشرين عشرين» فجاء ناس من المسلمين فقالوا: يا خليفة رسول الله ﷺ! إنك قسمت هذا المال فسوّيت بين الناس، ومن الناس أناس لهم فضل وسوابق وقدم، فلو فضلت أهل السوابق والقدم والفضل.

فقال: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل فما أعْرَفَني بذلك. وإنما ذلك شيء ثوابه على الله جلَّ ثناؤه، وهذا معاش، فالأسوة فيه خيرٌ من الأثرة[1].

وكان يشتري الإبل والخيل والسلاح، فيحمل في سبيل الله، واشترى عاماً قطائف (القطيفة كساء مخمل) أتى بها من البادية، ففرقها في أرامل أهل المدينة في الشتاء، فلما توفي أبو بكر رضي الله عنه ودفن، دعا عمر الأمناء، ودخل بهم بيت مال أبي بكر ومعه عبد الرحمن بن عوف وعثمان رضي الله عنهم، ففتحوا بيت المال، فلم يجدوا فيه لا ديناراً ولا درهماً. ووجدوا خيشة فنفضت فوجدوا فيها درهماً. . . فترحموا على أبي بكر.

وكان بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ وزّان. وكان يزن ما عند أبي بكر، فسئل: كم بلغ المال الذي ورد على أبي بكر؟ قال: مائتي ألف!

---

(١) بقية الحديث وتفصيله في كتاب الخراج لأبي يوسف.

مَنَاقِبُ أَبِي بَكْر[1]

(١) قال الإمام النووي في كتابه تهذيب الأسماء واللغات: مناقب الصدِّيق لا يمكن استقصاؤها، ولا الإحاطة بها بعشر معشارها.

مَنَاقِبُ أَبِي بَكْر

ما نزل فيه أو بسببه من القرآن:

١ ـ قوله تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِيْنَ كَفروا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

لا خلاف في أنَّ المراد بأحد الإثنين أبو بكر وأنَّه المراد بصاحبه، قال ابن عساكر: جاء من الآثار ما كاد يبلغ درجة التواتر على أنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر. وأجمع علماء السيرة والتفسير على أنَّه لم يكن مع رسول الله ﷺ في الغار إلاَّ الصديق. وقال الحسن[1]: لقد عاب الله عزَّ وجل أهل الأرض جميعاً بهذه الآية إلاَّ أبا بكر. وسمع أبو بكر رجلاً يتلوها، فبكى وقال: أنا والله صاحبه.

٢ ـ قال المشركون، لما أعتق أبو بكر بلالاً رضي الله عنهما: ما أعتقه إلاَّ ليدٍ (نعمة) كانت لبلال عنده، فنزل قوله تعالى:

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَىٰ، إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ، وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾[2].

٣ ـ عن ابن عباس رضي الله عنه، في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ

---

(١) إذا أطلق الحسن فالمراد الحسن البصري.

(٢) عمدة التحقيق. وقال: أخرجه ابن أبي حاتم.

عَلَيْهِ﴾ قال: أنزلها على أبي بكر، إذ النبيّ ﷺ لم تزل السكينة عليه[1].

٤ ـ عن عروة رضي الله عنه[2]، قال:

قالت لي عائشة: أبواك والله من ﴿الَّذِيْنَ اسْتَجَابُوا للّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ تعني: أبا بكر والزبير.

أول من يدخل الجنة من الأمة:

روى أبو داود والحاكم[3] عن أبي هريرة.

أن رسول الله ﷺ قال أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي يدخل منه أمتي، قال أبو بكر: وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه. قال: أما إنك يا أبا بكر أوَّل من يدخل الجنة من أمتي[4].

يدعى من أبواب الجنة كلها:

أخرج الشيخان وأحمد[5] والترمذي والنسائي[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه:

---

(١) عمدة التحقيق.

(٢) هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة رضي الله عنهم. كان ثقة كثير الحديث فقيهاً عالماً ثبتاً مأموناً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن وهو معدود في فقهاء المدينة السبعة مات سنة ٩٤ وقيل غير ذلك.

(٣) هو محمد بن عبدالله النيسابوري الشهير بالحاكم ويعرف بابن البيع من أكابر الحفاظ والمصنفين في الحديث ومن مؤلفاته المستدرك على الصحيح رحل وجال وأخذ عن نحو ألفي شيخ وولي قضاء نيسابور توفي سنة ٤٠٥.

(٤) منتخب كنز العمال.

(٥) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل صاحب المذهب وأحد الأئمة الأربعة ولد في بغداد سنة ١٦٤ وطوف في بلاد كثيرة ومناقبه أفردت بالتأليف وأوسعها ما ألفه ابن الجوزي توفي سنة ٢٤١ رضي الله عنه.

(٦) هو أحمد بن شعيب بن علي النسائي صاحب السنن وكان مشهوداً له بالتقدم والإمامة موصوفاً بالاجتهاد في العبادة والمواظبة على الحج والجهاد وإقامة السنن المأثورة واحترازه عن مجالس السلطان إلى أن استشهد سنة ٣٠٣ وعمره قريب من ٨٨ سنة.

أن رسول الله ﷺ قال: من أنفق زوجين في سبيل الله، نودي من أبواب الجنة يا عبدالله! هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة. ومن كان من أهل الجهاد، دعي من باب الجهاد. ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الرَّيَّان. ومن كان من أهل الصدقة، دعي من باب الصدقة.

قال أبو بكر: يا رسول الله! هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.

تنعمه في الجنة:

أن النبي ﷺ قال: إن طير الجنة كأمثال البُخْت نزعاً من شجر الجنة. قال أبو بكر: إن هذه الطير ناعمة. فقال النبي ﷺ: أكلها أنعم منها (قالها ثلاثاً) وإني لأرجو أن تكون ممن يأكلها.

أبو بكر خير الناس:

روى الطبراني[1] في معجمه الكبير عن سَلمة بن الأكوع:

أن رسول الله ﷺ قال: أبو بكر خير الناس إلَّا أن يكون نبيّ[2].

وروى أبو نُعيم[3] في الحلية عن أبي الدرداء رضي الله عنه[4]:

---

(١) هو سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني مسند الدنيا ولد سنة ٢٦٠ وحدث عن ألف شيخ أو يزيدون وصنف مصنفات كثيرة أشهرها المعاجم الثلاثة: الكبير والأوسط والصغير توفي سنة ٣٦٠ وقد استكمل مائة عام وعشرة أشهر.

(٢) منتخب كنز العمال.

(٣) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني الصوفي الحافظ الكبير محدث عصره ولد سنة ٣٣٦ وأجاز له مشايخ الدنيا وكان في وقته مرحولاً إليه لم يكن في أفق من الآفاق أحد أحفظ منه ولا أسند. له تصانيف أشهرها حلية الأولياء مات سنة ٤٣٠ وفيه كثير من الأحاديث الضعيفة.

(٤) هو عويمر بن زيد أو ابن عامر أو ابن مالك الأنصاري الخزرجي أسلم يوم بدر وشهد أحداً وألحقه عمر بالبدريين جمع القرآن وولي قضاء دمشق وله فضائل جمَّة مات سنة ٣٢ ومن قوله: رب شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً.

أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا الدرداء! تمشي أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة؟ ما طلعت الشمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر[1].

وروى صاحب فضائل أبي بكر عن جابر رضي الله عنه قال:

كنا عند باب النبي ﷺ نفراً من المهاجرين والأنصار نتذاكر الفضائل، فارتفعت أصواتنا، فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال: فيم أنتم؟ قلنا: نتذاكر الفضائل. قال: فلا تقدموا على أبي بكر أحداً فإنَّه أفضلكم في الدنيا والآخرة[2].

سبقه إلى أنواع البر:

خرَّج أحمد ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: من أصبح منكم اليوم صائماً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟ قال أبو بكر: أنا. قال: فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن في امرىء إلَّا دخل الجنة.

وفي رواية أخرى عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما:

أن رسول الله ﷺ صلَّى الصبح، فلما قضى صلاته. قال: أيكم أصبح اليوم صائماً؟ فقال عمر: أما أنا يا رسول الله، فقد بت لا أحدث نفسي بالصوم، وأصبحت مفطراً.

فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، بت الليلة وأنا أحدث نفسي بالصوم فأصبحت صائماً.

قال: أيكم عاد اليوم مريضاً؟ قال عمر: يا رسول الله، إنما صلينا

---

(١) منتخب كنز العمال. قلت: ولعله هو الجامع الكبير للسيوطي وليس كل ما فيه صحيحاً.
(٢) الرياض النضرة.

الساعة ولم نبرح، فكيف نعود المريض؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله أخبروني أن أخي عبد الرحمن بن عوف مريض وجع، فجعلت طريقي عليه، فسألت عنه، ثم أتيت المسجد.

قال رسول الله ﷺ: فأيكم تصدق اليوم بصدقة؟ قال عمر: يا رسول الله! ما برحنا معك مذ صلينا فكيف نتصدق؟ قال أبو بكر: أنا يا رسول الله، دخلت المسجد فإذا سائل يسأل، وابن لعبد الرحمن بن أبي بكر، معه كسرة خبز، فأخذتها فأعطيتها السائل. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: فأبشر بالجنة (مرتين) فلما سمع ذلك عمر، تنفس، فقال: هاه. فنظر إليه رسول الله ﷺ فقال كلمة رضي بها عمر.

رحم الله عمر، كان يقول: ما سابقت أبا بكر إلى خير قط إلاَّ سبقني إليه[١].

وكان عليّ رضي الله عنه إذا ذكر عنده أبو بكر يقول: هو السبّاق، والذي نفسي بيده، ما استبقنا إلى خير قط إلاَّ سبقنا إليه أبو بكر.

صاحب رسول الله ﷺ:

كنت جالساً مع رسول الله ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه، حتى أبدى عن ركبته فقال رسول الله ﷺ: أما صاحبكم فقد غامر (خاصم). فسلَّم وقال: يا رسول الله إنَّه كان بيني وبين ابن الخطاب شيء فأسرعت إليه ثمَّ ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليٌّ، فأقبلت إليك، فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً)، ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فقال: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ وسلم فسلم عليه فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر (أي تذهب نضارته من الغضب)، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، فقال: يا رسول الله أنا كنت أظلم (مرتين).

فقال النبي ﷺ إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر:

---

(١) الرياض النضرة.

صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لي صاحبي (مرتين) فما أوذي بعدها.

مكانته عند رسول الله ﷺ:

أخرج الإمام أحمد والطبراني، عن ربيعة الأسلمي قال: كنت أخدم النبي ﷺ فأعطاني أرضاً، وأعطى أبا بكر أرضاً، وجاءت الدنيا فاختلفنا في عذق نخلة، فقال أبو بكر هي في حدِّي، وقلت أنا: هي في حدِّي، فكان بيني وبينه كلام، فقال أبو بكر كلمة كرهتها، وندم. فقال: يا ربيعة ردّ عليّ مثلها حتى يكون قصاصاً، فقلت: لا أفعل، فقال: لتقولنَّ أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ، فقلت: ما أنا بفاعل، وانطلق إلى النبي ﷺ فانطلقت أتلوه، فجاء أناس من أسلم، فقالوا: رحم الله أبا بكر، في أيّ شيء يستعدي عليك رسول الله ﷺ وهو الذي قال لك ما قال؟ قلت: أتدرون من هذا؟ هذا أبو بكر الصديق، وهو ثاني اثنين وهو ذو شيبة في الإسلام، فإياكم أن يلتفت فيراكم تنصروني عليه فيغضب، فيأتي رسول الله ﷺ فيغضب لغضبه، فيغضب الله عز وجل لغضبهما فتهلك ربيعة، قالوا: فماذا تأمرنا؟ قلت: ارجعوا!

وانطلقت وحدي أتبع أبا بكر، حتى أتى رسول الله ﷺ فحدَّثه الحديث، فرفع إليّ رأسه، فقال: يا ربيعة، مالك وللصديق؟ فقلت: يا رسول الله كان كذا وكذا فقال لي كلمة كرهتها فقال لي قل لي كما قلت لك حتى يكون قصاصاً فأبيت، قال رسول الله ﷺ: أجل، فلا تردَّ عليه، ولكن قل: غفر الله لك يا أبا بكر، فقلت: غفر الله لك يا أبا بكر فولى أبو بكر وهو يبكي[1].

أبو بكر صاحب النبي ﷺ:

خرج الترمذي، عن ابن عمر رضي الله عنهما:

---

(١) منتخب كنز العمال ومسند الإمام أحمد.

أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي بكر: أنت صاحبي في الغار، وصاحبي على الحوض[١].

أبو بكر أرحم الأمة:

قال رسول الله ﷺ أرحم أُمتي بأمتي أبو بكر (وذكر بقية الحديث)[٢].

إيمان أبي بكر رضي الله عنه:

أخرج الشيخان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال:

سمعت رسول الله ﷺ يقول: بينما رجل يسوق بقرة قد حمل عليها فالتفتت إليه فكلمته، فقالت: إني لم أخلق لهذا، لكني خلقت للحرث فقال الناس: سبحان الله! فقال النبي ﷺ: فإني أُومن بذلك وأبو بكر وعمر[٣] وما ثمّ أبو بكر ولا عمر[٤].

مال أبي بكر رضي الله عنه:

ـ أخرج أبو حاتم[٥] عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنفق أبو بكر على النبي ﷺ أربعين ألفاً[٦].

وأخرج الشيخان وأحمد والترمذي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ من أمنّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر،

---

(١) قال الصفوري في المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة: أثبت الله الصحبة لأبي بكر بقوله سبحانه وتعالى ﴿إذ يقول لصاحبه لا تحزن﴾ فمن أنكرها فقد كفر. وقال في شرح المشكاة: أجمع المفسرون على أن المراد بصاحبه في الآية هو أبو بكر وقد قالوا من أنكر صحبته كفر لأنه أنكر النص الحلى بخلاف إنكار صحبة غيره.

(٢) عمدة التحقيق والرياض النضرة.

(٣) هذه إحدى روايات البخاري.

(٤) عمدة التحقيق والرياض النضرة.

(٥) هو محمد بن إدريس الرازي، كان من أقران البخاري ومسلم، وهو أحد الأئمة الحفاظ وله (طبقات التابعين) توفي سنة ٢٢٧.

(٦) الرياض النضرة وشرح مشكاة المصابيح.

ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوّة الإسلام ومودته، لا يبقينّ في المسجد باب إلاَّ سدّ إلاَّ باب أبي بكر (اللفظ للبخاري).

وأخرج أحمد وأبو حاتم وابن ماجه[١]. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: ما نفعني مال قطّ ما نفعني مال أبي بكر، فبكى أبو بكر، وقال: ما أنا ومالي إلاَّ لك. وفي رواية للإمام أحمد أن أبا بكر قال: وهل نفعني الله إلاَّ بك (كررها ثلاثاً).

وأخرج أبو نعيم في الحلية[٢]، عن الحسن البصري: أنَّ أبا بكر أتى النبي ﷺ، بصدقته فأخفاها. وقال: يا رسول الله! هذه صدقتي، ولله عزَّ وجلّ عندي معاد.

وجاء عمر بصدقته فأظهرها وقال: يا رسول الله! هذه صدقتي ولي عند الله معاد. قال رسول الله ﷺ: يا عمر! وترت قوسك بغير وتر، ما بين صدقتيكما، كما بين كلمتيكما.

وأخرج أيضاً، عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

قالت: كانت يد النبي ﷺ في مال أبي بكر ويد أبي بكر واحدة حين حجّا.

وأخرج عبد الرزاق[٣] في جامعه عن ابن المسيب:

أن رسول الله ﷺ قال: ما مال رجلٍ من المسلمين أنفع لي من مال

---

(١) هو محمد بن يزيد الربعي أبو عبدالله ابن ماجه القزويني الحافظ أحد أصحاب الكتب الستة قال الخليلي: ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة بالحديث وحفظ وله مصنفات في السنن والتفسير والتاريخ مات سنة ٢٧٣ وله ٦٤ سنة.

(٢) الحلية فيها الصحيح وغيره.

(٣) هو عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني ولد سنة ١٢٦ وهو ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر ورحل إليه ثقات المسلمين وأئمتهم وكتبوا عنه إلاَّ أنَّهم نسبوه إلى التشيع مات سنة ٢١١ بعد أن عمي.

أبي بكر. وكان رسول الله ﷺ يقضي في مال أبي بكر كما يقضي في مال نفسه[١].

يده عند رسول الله ﷺ:

روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله ﷺ: ما أحد أعظم عندي يداً من أبي بكر: واساني بنفسه، وماله، وأنكحني ابنته[٢].

وأخرج الترمذي عن أبي هريرة، قال:

قال رسول الله ﷺ: ما لأحد عندنا يدٌ إلاَّ وقد كافيناه بها، ما خلا أبا بكر، فإنَّ له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة[٣].

أبو بكر أحب الناس إلى النبي ﷺ وأصحابه:

أخرج الترمذي وابن ماجه، عن أنس رضي الله عنه قال:

قالوا: يا رسول الله! أيّ الناس أحبّ إليك؟ قال: عائشة. قالوا: إنما نعني من الرجال، قال: أبوها.

وأخرج أحمد والشيخان وأبو حاتم عن عمرو بن العاص مثله وزاد:
قلت ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، وعدّ رجالاً[٤].
وأخرج البخاري عن جابر رضي الله عنه قال:

إنَّ الله جمع أمركم على خيركم، صاحب رسول الله ﷺ، وثاني اثنين إذ هما في الغار، وأولى الناس بكم.

وأخرج الترمذي عن عمر رضي الله عنه قال:

---

(١) شرح مشكاة المصابيح.
(٢) منتخب كنز العمال.
(٣) سنن الترمذي وقال: حسن غريب وعنه شرح المشكاة.
(٤) الرياض النضرة وشرح مشكاة المصابيح.

أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبّنا إلى رسول الله ﷺ[١].

وأخرج البخاري وأحمد، عن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي (يعني عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه): أيّ الناس خير بعد النبي ﷺ؟ قال: أبو بكر! قلت: ثم من؟ قال: عمر، وخشيت أن يقول عثمان. قلت: ثم أنت. قال: ما أنا إلاّ رجل من المسلمين[٢].

علمه:

خرّج أبو حاتم. عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: كأني أعطيت عُسّاً (قدحاً كبيراً) مملوءاً لبناً، فشربت منه حتى امتلأت، فرأيتها تجري في عروقي بين الجلد واللحم، ففضلت منها فضلة فأعطيتها أبا بكر. قالوا: يا رسول الله هذا علم أعطاكه الله، حتى إذا امتلأت فضلت فضلة فأعطيتها أبا بكر. قال ﷺ: قد أصبتم.

فهمه عن رسول الله:

روى أحمد والشيخان، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. قال: إنَّ رسول الله ﷺ جلس على المنبر، فقال: إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده، فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، ثم علمنا أن رسول الله ﷺ هو المخير وأن أبا بكر كان أعلمنا به[٣].

اختصاصه بالفتوى بين يدي رسول الله:

كان يفتي في عهد رسول الله ﷺ أربعة عشر من الصحابة، أما الفتوى بحضرته ﷺ فلم تكن لأحد غير أبي بكر[٤].

---

(١) الرياض النضرة وشرح مشكاة المصابيح.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري والإمام أحمد، يصرح فيه علي كرّم الله وجهه بأن أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر رضي الله عنه ورحمهم جميعاً ورزقنا أتباعهم والسير على سنتهم.

(٣) وذكره ابن الجوزي في كتاب (الأذكياء)، واستدل به على ذكاء أبي بكر.

(٤) الرياض النضرة.

أخرج الشيخان عن أبي قتادة قال:

قال رسول الله ﷺ: من قتل قتيلاً له عليه بينة فله سَلَبه، وكنت قتلت رجلاً من المشركين فقمت، فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. فأعادها، فقمت فقلت: من يشهد لي؟ ثم جلست. فأعادها الثالثة، فقال رجل: صدق يا رسول الله سلبه عندي فأرضِهِ عني. فقال أبو بكر: لاها الله إذاً (أي لا والله حينئذ) لا أعمد إلى أسد من أسد الله، يقاتل عن الله ورسوله يعطيك سَلَبه.

فقال النبي ﷺ: صدق، فأعطه.

فبعت الدرع فابتعت به مَخْرِفاً (أي بستاناً) في بني سَلِمة (وهم بطن من الأنصار) فإنَّه لأول مال تأثلته (أي أصبته) في الإسلام[1].

اختصاصه بالشورى بين يدي النبي ﷺ:

أخرج الشيخان في قصة الحديبية:

أنَّه لما أتى النبيَّ ﷺ عينه (العين الجاسوس)، قال: إنَّ قريشاً جمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت ومانعوك، فقال: أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيالهم، وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن فاتونا كان الله قد قطع عيناً من المشركين، وإلاَّ تركناهم محروبين.

فقال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتال أحد ولا حرباً، فتوجه له، فمن صدنا قاتلناه.

قال: امضوا على اسم الله عز وجل[2].

تعبيره الرؤيا بين يد النبي ﷺ:

أخرج الشيخان أن ابن عباس رضي الله عنه كان يحدث.

---

(١) الرياض النضرة.

(٢) الرياض النضرة وفتح الباري.

أنَّ رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني رأيت الليلة في المنام ظُلة تنطف عسلاً وسمناً والناس يتكففون (يأخذون بأكفهم) منها فمنهم المقلّ، ومنهم المستكثر، ثم رأيت سبباً (حبلًا) واصلاً من السماء، أخذتَ به فعلوت، ثم أخذ به آخر بعدك فعلاً، ثم أخذ به آخر فعلاً، ثم أخذ به آخر فانقطع ثم وصل له فعلاً.

قال أبو بكر: اتركني أعبرها يا رسول الله. قال: اعبرها.

قال: أما الظلة فالإسلام، وأما السمن والعسل فهو القرآن حلاوته ولينه، والناس يتكففون منه فمنهم المقل، ومنهم المكثر، وأما السبب من السماء فهو الحق الذي أنت عليه، أخذت به فعلوت، ثم أخذ به آخر بعدك فعلاً، ثم أخذ به آخر فعلاً، ثم أخذ به آخر فانقطع ثم وصل له فعلاً. أصبتُ يا رسول الله؟.

قال: أَصبت بعضاً وأَخطأت بعضاً. قال: أَقسمت عليك يا رسول الله لتخبرني قال: لا تقسم![1].

كتمانه سر النبي ﷺ:

أَخرج البخاري وأحمد والنسائي، عن ابن عمر أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين تأَيّمت حفصة بنت عمر من خُنَيس بن حُذافة السَّهمي[2]، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدراً فتوفى بالمدينة فقال عمر بن الخطاب: أتيت عثمان بن عفان فعرضت عليه حفصة، قال: سأنظر في أمري، فلبث ليالي. ثم لقيني فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. (فقال عمر): فلقيت أبا بكر الصديق فقلت: إن شئت زوجتك حفصة بنت

---

(١) الرياض النضرة. وقال في فتح الباري: ورواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما.

(٢) هو خنيس بن حذافة بن قيس القرشي السهمي أخو عبدالله بن حذافة وكان من السابقين إلى الإسلام وهاجر إلى الحبشة وعاد إلى المدينة فشهد بدراً وأحداً فأصابه بأحد جراحة مات منها.

عمر، فصمت أبو بكر فلم يرجع إلي شيئاً فكنت أوجد عليه مني على عثمان، فلبثت ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه.

فلقيني أبو بكر، فقال: لعلَّك وجدت عليّ (أي غضبت) حين عرضت عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ (قال عمر) قلت: نعم. قال أبو بكر: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت عليَّ إلاَّ أني كنت قد علمت أنَّ رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ قبلتها[1].

إيثاره سرور رسول الله ﷺ:

خرَّج أحمد في المناقب عن أنس رضي الله عنه قال:

بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد قد أطاف به أصحابه إذ أقبل علي بن أبي طالب رضي الله عنه فوقف فسلم ثم نظر مجلساً. فنظر رسول الله ﷺ في وجوه أصحابه، أيهم يوسع له، فكان أبو بكر جالساً عن يمين النبي ﷺ فتزحزح له عن مجلسه، وقال: ههنا يا أبا الحسن، فجلس بين رسول الله ﷺ وبين أبي بكر، (قال أنس): فرأيت السرور في وجه رسول الله ﷺ على أبي بكر، فقال: يا أبا بكر، إنَّما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل[2].

وفاؤه بعدات رسول الله عليه الصلاة والسلام:

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال:

أتى أبو بكر بمال من البحرين فقال: من كانت له عِدَة عند رسول الله ﷺ فليأت، فقمت فقلت: لي عدة عند رسول الله ﷺ.

---

(١) هذه أتم رواية في البخاري وقريب منها رواية أحمد والنسائي.

(٢) الرياض النضرة وفضائل الصحابة والآل للنقشبندي وقال: أخرجه أحمد في المناقب والخلعي وابن السمان.

فقال: وما عدتك؟ فقلت: قال لي: لو جاء مال البحرين لأعطيتك هكذا وهكذا وهكذا (يشير بكفيه) فقال له أبو بكر خذ، فأخذ بكفيه، ثم عده فوجده خمسمائة، فقال: خذ إليها ألفاً ثم أعطى كل إنسان كان رسول الله ﷺ وعده شيئاً[1].

جمع القرآن الحكيم:

أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:

أرسل إليَّ أبو بكر لمقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتا فقال: إنَّ القتل قد استحرَّ (اشتد وكثر) يوم اليمامة بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحرّ القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن. (قال أبو بكر) فقلت: كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر عمر ورأيت في ذلك الذي رأى عمر. (قال زيد) قال أبو بكر: وإنك رجل شاب عاقل لا نتّهمك قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

قال زيد: فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان بأثقل عليَّ مما كلفني به من جمع القرآن قلت: كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال أبو بكر: هو والله خير.

فلم يزل يحث مراجعتي حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر، ورأيت في ذلك الذي رأيا، فتتبعت القرآن أجمعه من العُسُب (جرائد النخل) والرقاع واللِّخاف (الخزَف) وصدور الرجال، فوجدت آخر سورة التوبة ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ إلى آخرها مع خزيمة[2] (أو

---

(١) الخراج لأبي يوسف والحديث في الصحيحين والترمذي وابن ماجه ومسند الإمام أحمد وغيرها.

(٢) هو خزيمة بن ثابت بن الفاكه الأنصاري الأوسي كان من السابقين الأولين شهد بدراً وما بعدها =

أبي خزيمة) فألحقتها في سورتها. وكانت الصحف عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله عزَّ وجل ثم عند عمر حياته حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر[1]، وعنها نسخ عثمان مصاحفه التي أرسلها إلى الأمصار.

ورعه وخوفه من الله تعالى:

وقال محمد بن سيرين[2]: لم أعلم أنَّ أحداً استقاء من طعام أكله غير أبي بكر، فإنَّه أُتي بطعام فأكله، ثم قيل له جاء به ابن النعمان قال: أفأطعمتموني من كهانة ابن النعمان؟ ثم استقاء[3].

وأخرج أبو نعيم في الحلية، عن زيد بن أرقم[4] قال:

كان لأبي بكر مملوك يغلّ عليه، فأتاه ليلةً بطعام، فتناول منه لقمةً. فقال له المملوك: مالك كنت تسألني كل ليلة، ولم تسألني، ولم تسألني الليلة؟ قال: حملني على ذلك الجوع[5]... من أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم رقيت لهم في الجاهلية فوعدوني، فلما أن كان اليوم، مررت بهم، فإذا عرس لهم، فأعطوني قال: إن كدت لتهلكني...

وأدخل يده في حلقه فجعل يتقيَّأ، وجعلت لا تخرج! فقيل له: إنَّ هذه

= وقيل أول مشاهده أحد. وهو الذي جعل النبي ﷺ شهادته بشهادتين استشهد بصفين مع علي رضي الله عنهما.

(1) هذه رواية البخاري وقد رواه أيضاً باختلاف الترمذي وأحمد والطبراني.

(2) هو محمد بن سيرين الأنصاري البصري إمام وقته كان ثقة مأموناً عالياً رفيعاً فقيهاً إماماً كثير العلم ورعاً فاضلاً حافظاً يحدث بالحديث على حروفه ويعبر الرؤيا ولم يكن بالبصرة أعلم بالقضاء منه توفي سنة ١١٠ وهو ابن ٧٧ سنة.

(3) منتخب كنز العمال.

(4) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي، كان يتيماً في حجر عبدالله بن رواحة روي عنه أنَّه شهد مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة واستصغر يوم أحد. وسكن الكوفة فتوفي بها سنة ٦٨ وهو معدود في خاصة أصحاب علي رضي الله عنه وشهد معه صفين.

(5) خليفة رسول الله ﷺ يعضه الجوع بنابه، ثم لا يأكل حتى يأتيه غلامه بطعام، وفي يديه مفاتيح الكنوز وليس بينه وبين أن تحمل إليه تحف العراق وثمرات الشام إلَّا أن يأمر، ولكنه لا يفعل، لأن بين جنبيه نفساً تقول للدنيا وما فيها: أنا أكبر منك، لأني لا أحتاج إليك، ولا أريدك...

لا تخرج إلَّا بالماء، فدعا بطست من ماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى بها فقيل له: يرحمك الله! كل هذا من أجل لقمة؟! قال: لو لم تخرج إلَّا مع نفسي لأخرجتها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به، فخشيت أن ينبت من جسدي شيء بهذه اللقمة[١].

وأخرج عنه أيضاً: أن أبا بكر دعا بشراب، فأُتي بماء وعسل، فلما أدناه من فيه نحّاه، ثم بكى حتى أبكى أصحابه، ثم سكتوا وما سكت، ثم عاد فبكى، حتى ظنوا أنَّهم لا يقوون على مسألته، ثم أفاق، فقالوا: يا خليفة رسول الله! ما أبكاك؟ قال: كنت مع رسول الله ﷺ: فرأيته يدفع عن نفسه شيئاً، ولم أرَ أحداً معه، فقلت: يا رسول الله! ما هذا الذي تدفع ولا أرى أحداً معك؟ قال: هذه الدنيا تمثلت لي فقلت لها: إليك عني، فتنحت ثم رجعت، فقالت: أما إنك إن أفلت، فلن يفلت مني من بعدك. فذكرت ذلك فخشيت أن تلحقني[٢].

تواضعه:

أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: من جرَّ ثوبه خُيَلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة. فقال أبو بكر: إنَّ أحد شِقَّيْ ثوبي يسترخي إلَّا أن أتعاهد ذلك منه. فقال رسول الله ﷺ: إنك لست تصنع ذلك خُيَلاء[٣].

وكان أبو بكر إذا سقط خطام ناقته ينزل ليأخذه. فيقال له: لو أمرتنا أن نناولكه؟ فيقول: أمرنا رسول الله ﷺ ألَّا نسأل الناس شيئاً[٤].

---

(١) حلية الأولياء، وفضائل الصحابة والآل للنقشبندي. وهما مما لا يحتج بالنقل عنه.
(٢) حلية الأولياء. وفضائل الصحابة والآل للنقشبندي.
(٣) صحيح البخاري.
(٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر وقد تقدم أنَّه كان يحلب للحي أغنامهم.

تعلمه الدعاء من رسول الله ﷺ:

أخرج الشيخان عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما(١).

أن أبا بكر قال لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، علمني دعاء، أدعو به في صلاتي (قال): قل: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلاَّ أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم».

وأخرج الترمذي، عن أبي راشد(٢)، قال:

أتيت ابن عمر فقلت له: حدِّثنا ما سمعت من رسول الله ﷺ، فألقى إليَّ صحيفة، فإذا فيها أن أبا بكر الصدِّيق قال: يا رسول الله! علمني ما أقول إذا أصبحت وإذا أمسيت. (قال): قل: «اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، لا إله إلاَّ أنت. ربَّ كلِّ شيء ومليكه، أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ الشيطان وشركه، أن أقترف على نفسي شرّاً، أو أجرُّه إلى مسلم»(٣).

قلت: وكان رضي الله عنه يحرص على أن يكون دعاؤه وتسبيحه على الصيغة التي يأمر بها ﷺ ويرتضيها، إذ ليس للمسلم أن يفضل على الصيغة المأثورة في الدعاء والتسبيح والصلاة على النبي ﷺ صيغاً أخرى، مهما كانت في ظاهرها حسنة اللفظ، جيدة المعنى. لأن رسول الله ﷺ هو معلم الخير، والهادي إلى الصراط المستقيم، وهو أعرف بالأفضل والأكمل.

---

(١) هو عبدالله بن عمرو بن العاص وائل القرشي السهمي كان أصغر من أبيه باثنتي عشرة سنة أسلم قبل أبيه وكان فاضلاً عالماً قرأ القرآن والكتب المتقدمة واستذأن النبي ﷺ في أن يكتب عنه فأذن له فقال: يا رسول الله أكتب ما أسمع في الرضا والغضب؟ قال: نعم فإني لا أقول إلاَّ حقاً، شهد اليرموك وفتح الشام. اختلف في وفاته فأكثر ما قيل سنة ٧٣ وأقله..

(٢) هو أبو راشد الحبراني الحمصي ويقال الدمشقي اسمه خضر وقيل النعمان معدود في الطبقة العليا التي تلي الصحابة وهو شامي تابعي ثقة قالوا لم يكن في زمانه بدمشق أفضل منه.

(٣) عن الرياض النضرة وابن عساكر وأسنده البيهقي.

سيدا كهول أهل الجنة:

لما آخى رسول الله ﷺ بين أصحابه، آخى بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأقبلا يوماً، أحدهما آخذ بيد صاحبه، فقال: من سرّه أن ينظر إلى سيدي كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلاَّ النبيين والمرسلين، فلينظر إلى هذين المقبلين[١].

أفضل هذه الأمة أبو بكر:

وفد ناس من أهل الكوفة، وناس من أهل البصرة، على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما نزلوا المدينة تحدث القوم بينهم إلى أن ذكروا أبا بكر وعمر، ففضل بعض القوم أبا بكر على عمر، وفضل بعض القوم عمر على أبي بكر، وكان الجارود بن المُعَلَّى[٢] ممن فضل أبا بكر على عمر، فجاء عمر ومعه دِرّته، فأقبل على الذين فضلوه على أبي بكر، فجعل يضربهم بالدِّرة، حتى ما يتقي أحدهم إلاَّ برجله.

فقال له الجارود: أفق أفق يا أمير المؤمنين، فإنَّ الله عزَّ وجل، لم يكن ليرانا نفضلك على أبي بكر، أبو بكر أفضل منك في كذا، وأبو بكر أفضل منك في كذا. فسرّي عن عمر. ثم انصرف.

فلما كان العشيّ صعد المنبر فقال: ألا إنَّ أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، فمن قال غير هذا بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري[٣].

---

(١) من روايتين لابن سعد في الطبقات.

(٢) هو الجارود بن المعلى وقيل ابن العلاء وقيل غير ذلك العبدي (من عبد القيس) وفد على رسول الله ﷺ سنة عشر في وفد عبد القيس وكان سيدهم وكان نصرانياً فأسلم ففرح النبي ﷺ بإسلامه فأكرمه وقرَّبه فكان صلباً على دينه قيل إنَّه قتل بأرض فارس سنة ٢١ وقيل بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه.

(٣) أسد الغابة...

الثلاثة المبرزون:

قال حسان في النبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما:

ثلاثة برّزوا بسبقهم ... نضّرهم ربهم إذا نشروا
عاشوا بلا فُرقة حياتهم ... واجتمعوا في الممات إذ قبروا
فليس من مسلم له بصر ... ينكر من فضلهم إذا ذكروا[1]

وقال أعرابي لعبدالله بن عمر رضي الله عنهما:

إليك ابن خير الناس إلاّ محمّداً ... وإلاّ أبا بكر نروح ونغتدي[2]

أبو بكر وعلي رضي الله عنهما:

قال عليّ رضي الله عنه: لقد صنع رسول الله ﷺ بأبي بكر أمراً ما صنعه بي: يوم جاء المشركون يقتلون رسول الله، خرج وخرج بأبي بكر معه، فلم يأمن على نفسه أحداً غيره، حتى دخل الغار[3].

وسئل يوماً عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهم فقال للسائل:

على الخبير سقطت، كانا والله أمامي هدى، هاديَين مهديِّين، راشدَين مرشدَين، مصلحين منجحين، خرجا من الدنيا خميصين (المراد أنهما عفيفان عن أموال الناس).

وقال: جعل الله أبا بكر وعمر حجة على من بعدهما إلى يوم القيامة، فسبقا والله سبقاً بعيداً، وأتعبا من بعدهما إتعاباً شديداً.

---

(١) ابن قتيبة في عيون الأخبار وما علمنا من رواها غيره. قلت: ولا يشبه أسلوبها أسلوب حسان.
(٢) عيون الأخبار.
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

وقال على المنبر: سبق رسول الله ﷺ، وصلَّى أبو بكر، وثلَّث عمر، ثم خبطتنا فتنة.

وبينما كان يقضي ذات يوم في الكوفة، إذ قال رجل: يا خير الناس انظر في أمري، فوالله ما رأيت أحداً هو خير منك. قال: قدِّموه، فقدِّم، فقال له: هل رأيت رسول الله ﷺ؟ قال: لا، هل رأيت أبا بكر وعمر؟ قال: لا، قال: لو أخبرتني أنك رأيت رسول الله ﷺ لضربت عنقك، ولو أخبرتني أنك رأيت أبا بكر وعمر لأوجعتك ضرباً[1].

هو الخير كله:

عن طارق قال: جاء ناس إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقالوا: أي رجل كان أبو بكر؟ قال: كان خيراً كله، أو قال: كالخير كله على حِدّة كانت فيه[2].

---

(١) مختصر الموافقة للزمخشري.

(٢) فضائل الصحابة والآل للنقشبندي وقال: خرجه أبو عمر.

أَخبَارٌ متفَرّقَة

عن أبي بكر رضي الله عنه



أَخبَارُ متَفرّقَة

عن أبي بكر رضي الله عنه

قدَّمك رسول الله ﷺ:

وعن سويد بن غَفَلة[1] قال: لما بايع الناس أبا بكر رضي الله عنه قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس أذكّر بالله أيمَّا رجل ندم على بيعتي لما قام على رجليه، فقام إليه عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ومعه السيف، فدنا منه حتى وضع رجلًا على عتبة المنبر والأخرى على الحصى وقال: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدَّمك رسول الله ﷺ فمن ذا يؤخرك؟[2].

من يقصد إذا لم يقصد:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلام. فقال: من ترضين أن يكون بيني وبينك؟ أترضين بأبي عبيدة بن الجراح؟ قلت: لا، ذلك رجل هيِّن ليِّن يقضي لك. قال: أترضين بأبيك؟ قلت: نعم، فأرسل إلى أبي بكر فجاء فقال: اقصصي، فقالت: بل اقصص أنت،

---

(١) هو سويد بن غفلة الجعفي أبو أمية قدم المدينة حين نفضت الأيدي من دفنه عليه الصلاة والسلام وشهد اليرموك ومات سنة ٨١ وله ١٣٠ سنة.

(٢) قد جاء هذا الخبر من طرق كثيرة في الرياض النضرة والموافقة وابن عساكر ولكن طرقه كلها مراسيل. قال المحب: وهذا أسندها لأن سويد بن غفلة أدرك الجاهلية وأسلم في حياة النبي ﷺ.

فقال: هي كذا وكذا، فقلت: اقصد؟ (والقصد الاستقامة والصدق) فرفع أبو بكر يده فلطمني وقال: تقولين يا بنت فلانة أقصد؟ من يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ فجعل الدم يسيل من أنفسها، فقال رسول الله ﷺ: إنا لم نرد هذا، وجعل يغسل الدم بيده من ثيابها ويقول: رأيتِ كيف أبعدك الله منه[1].

يضعونها في غير موضعها:

قرأ أبو بكر رضي الله عنه هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فقال: إنَّ الناس يضعون هذه الآية في غير موضعها، ألا وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ القوم إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، والمنكر فلم يغيروه، عمَّهم الله بعقابه[2].

أطيب من ريح المسك:

إنَّ نفراً قالوا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: والله ما رأينا رجلاً أقضى بالقسط، ولا أقول بالحق، ولا أشد على المنافقين منك يا أمير المؤمنين، فأنت خير الناس بعد رسول الله ﷺ.

فقال عوف بن مالك[3] كذبتم والله لقد رأينا خيراً منه بعد النبي ﷺ، قال: ومن هو يا عوف؟ قال: أبو بكر، قال عمر: صدق عوف وكذبتم، والله لقد كان أبو بكر أطيب من ريح المسك، وأنا أضل من بعير أهلي[4].

يحملونها على غير المحمل:

قال أبو بكر رضي الله عنه يوماً لأصحابه: ما تقولون في هاتين الآيتين:

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٢) ابن عساكر وقال: وروى الحديث أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجه وابن حبان في صحيحه مع اختلاف في الروايات قليل.

(٣) عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، كانت معه راية أشجع يوم الفتح له ٦٧ حديثاً شهد خيبر ومات سنة ٧٣.

(٤) منتخب كنز العمال (قال): قال ابن كثير: إسناده صحيح.

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ و﴿الَّذِيْنَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾؟

قالوا: قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلبسوا إيمانهم بظلم الخطيئة قال: لقد حملتموها على غير المحمل (ثم قال): قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا إلى إله غيره، ولم يلبسوا إيمانهم بشرك(١).

عسى ذلك أن يكفر عنك:

قالت عائشة رضي الله عنها: لبست ثيابي فطفقت أنظر إلى ذيلي وأنا أمشي في البيت، والتفت إلى ثيابي وذيلي، فدخل عليَّ أبو بكر فقال: يا عائشة! أما تعلمين أن الله لا ينظر إليك الآن؟ قلت: وممَّ ذاك؟ قال: أما علمت أن العبد إذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عزَّ وجل حتى يفارق تلك الزينة؟ قالت: فنزعته فتصدقت به، فقال أبو بكر: عسى ذلك أن يكفِّر عنك(٢).

دعهن فإنَّها أيام عيد:

دخل أبو بكر رضي الله عنه على عائشة وعندها قينتان تغنيان في أيام منى والنبي ﷺ مضطجع مسجى، ثوبه على وجهه، فقال أبو بكر: أعند رسول الله يصنع هذا؟

فكشف النبي ﷺ عن وجهه وقال: دعهن فإنَّها أيام عيد(٣).

ما أحسب جلدك يتسع لها:

حضرت الوفاة ابناً لأبي بكر(٤) فجعل الفتى يلحظ إلى الوسادة، فلما

---

(١) الحلية لأبي نعيم.

(٢) الحلية لأبي نعيم.

(٣) الفائق وتيسير الوصول.

(٤) هو ابنه عبدالله. انظر ترجمته في فصل «أسرة أبي بكر».

توفي قالوا لأبي بكر: رأينا ابنك يلحظ إلى الوسادة، فرفعوه عن الوسادة فوجدوا تحتها خمسة دنانير أو ستة، فضرب أبو بكر بيده على الأخرى، يرجّع يقول: إنّا للّه وإنا إليه راجعون، ما أحسب جلدك يتسع لها[1].

لا يستعمل أهل بدر:

قيل لأبي بكر رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله ﷺ! ألا تستعمل أهل بدر؟ قال: إني أرى مكانهم، ولكني أكره أن أدنسهم بالدنيا[1].

أجتهد برأيي:

لم يكن بعد النبي ﷺ أهيب لما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن بعد أبي بكر أهيب لما لا يعلم من عمر، وإن أبا بكر نزلت به قضية لم يجد لها في كتاب الله ولا في السنة أصلاً، فقال: أجتهد برأيي، فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمن نفسي وأستغفر الله[2].

وكان إذا ورد عليه الخصم نظر في كتاب الله تعالى فإن وجد فيه ما يقضي بينهم قضى به، وإن لم يجد خرج فسأل الناس ثم يقول: الحمدلله الذي جعل فينا من يحفظ علينا سنة نبينا[3].

فتوى ابن عباس رضي الله عنه:

ثبت عن ابن عباس رضي الله عنه أنَّه كان يفتي من كتاب الله، فإن لم يجد فبما سنّه رسول الله ﷺ فإن لم يجد أفتى بقول أبي بكر وعمر، ولم يكن يفعل ذلك بعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين. وابن عباس حبر الأمة وأعلم الصحابة وأفقههم في زمانه[4].

---

(١) الحلية لأبي نعيم.
(٢) طبقان ابن سعد.
(٣) قمع النفوس للحصني.
(٤) فتاوى ابن تيمية.

يسمر عند أبي بكر:

قال عمر رضي الله عنه: كان رسول الله ﷺ يسمر عند أبي بكر في الأمر من أمور المسلمين وأنا معه[1].

خليفة رسول الله وأمير المؤمنين:

عن ابن شهاب أن عمر بن عبد العزيز سأل أبا بكر سليمان بن أبي حَثْمة[2]: لم كان أبو بكر يكتب من أبي بكر خليفة رسول الله ثم كان عمر يكتب بعده من عَمر بن الخطاب خليفة أبي بكر، ومن أول من كتب أمير المؤمنين؟ فقال: حدَّثتني جدتي الشفاء[3] وكانت من المهاجرات الأوَل وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا هو دخل السوق دخل عليها قالت: كتب عمر بن الخطاب إلى عامل العراقين أن أبعث إليَّ برجلين جَلدين نبيلين أسألهما عن العراق وأهله فبعث إليه صاحب العراقين بلَبيد بن ربيعة[4] وعدي بن حاتم فقدما المدينة فأناخا راحلتيهما بفناء المسجد، ثم دخلا المسجد فوجدا عمرو بن العاص فقالا له: يا عمرو! استأذن لنا على أمير المؤمنين عمر، فوثب عمرو فدخل على عمر فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين. فقال له عمر: ما بدا لك في هذا الإسم يا ابن العاص؟ لتخرجن مما قلت. قال: نعم قدم لَبيد بن ربيعة وعدي ابن حاتم فقالا لي: استأذن لنا على أمير المؤمنين فقلت: أنتما والله أصبتما اسمه، وإنـه الأمير ونحن

---

(١) ابن تيمية، قال: رواه ابن أبي شيبة.

(٢) واسم أبي حثمة عبدالله بن حذيفة وقيل عدي بن كعب بن حذيفة العدوي المدني. وكان من علماء قريش.

(٣) هي الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس القرشية العدوية قيل اسمها ليلى وغلب عليها الشفاء أسلمت قبل الهجرة بمكة وكانت من عقلاء النساء وفضلائهنَّ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدمها في الرأي ويرضاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق.

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن عامر العامري كان من فحول الشعراء وفد على النبي ﷺ فأسلم وحسن إسلامه وترك قول الشعر فلم يقل غير بيت واحد وكان شريفاً في الجاهلية والإسلام. مات بالكوفة في خلافة عثمان وهو الصحيح وكان من المعمرين قيل عاش ١٤٠ سنة وقيل أكثر.

المؤمنون: فجرى الكتاب من ذلك اليوم[1].

هكذا كنا:

لما قدم أهل اليمن زمان أبي بكر وسمعوا القرآن جعلوا يبكون فقال أبو بكر رضي الله عنه: هكذا كنا ثم قست القلوب[2].

لا تكون طاعة الرب إلاَّ بالتواضع:

وفد على أبي بكر رضي الله عنه من ملوك حمير ذو الكلاع[3] ومعه ألف عبد دون ما كان معه من عشيرته وعليه التاج والبرود والحلى، فلما شاهد ما عليه أبو بكر من اللباس والزهد والتواضع والنسك، ألقى ما كان عليه، وتزيّا بزِيِّه حتى إنَّه رُئي يوماً في سوق من أسواق المدينة، على كتفيه جلد شاة... ففزعت عشيرته، وقالوا له: فضحتنا بين المهاجرين والأنصار! قال: فأردتم أن أكون ملكاً جباراً في الجاهلية، جباراً في الإسلام؟ لاها الله (أي لا والله) لا تكون طاعة الرب إلاَّ بالتواضع والزهد في هذه الدنيا.

وتواضعت الملوك ومن ورد عليه من الوفود بعد التكبر، وتذللوا بعد التجبر[4].

قلت: ذلك لأن أبا بكر كان آية من آيات الله المعجزة، لا تقول للناس: اقرؤوا، ولكن تقول انظروا... وأبلغ نصيحة تلك التي تنحدر إلى النفس من طريق العين، لا من طريق الأذن... وخير الناصحين من ينصح بأفعاله، لا بأقواله... فلما رأى هؤلاء أن أبا بكر خليفة رسول الله، وصاحب

---

(١) التاريخ الصغير والأدب المفرد وكلاهما للبخاري.

(٢) الحلية لأبي نعيم والحلية لا يعتمد عليها وحدها.

(٣) ذو الكلاع الحميري قيل اسمه سميفع بن ناكور وقيل أيفع وقيل أسميفع أسلم في حياة رسول الله ﷺ وكان رئيساً في قومه متبوعاً ثم خرج إلى الشام وأقام به فلما كانت الفتنة كان القيم بأمر صفين وقتل فيها وكان قد أعتق أربعة آلاف أهل بيت وقيل عشرة آلاف والله أعلم.

(٤) مروج الذهب للمسعودي.

الأمر والنهي في نصف الأرض، يمشي في الأسواق، ويلبس العباءة والشملة، علموا أنَّ هناك شيئاً أعظم من الثياب المزركشة والذهب واللآلىء، هو النفس العظيمة، فسعوا ليتشبهوا بأبي بكر، واستحيوا من الله والناس أن يقابلوا خليفة رسول الله، بالتاج والبرود والحلي، وهو بعباءة. . . صغرت عليهم نفوسهم وهانت. . . وهدأت ثورتها، وانطفأت سورتها، كما ينطفىء النجم الصغير، إذا واجه الشمس! رحم الله أبا بكر فقد كان أبو بكر عظيماً في تواضعه، متواضعاً في عظمته.

أين أبو بكر:

خرج عمر حاجًّاً، فبينا هو يسير إذ لحق راكباً يقول:

ما ساسنا مثلُك يا بن الخطَّابْ أبَرُّ بالأقصى ولا بالأصحابْ
بعد النبيّ صاحب الكتاب

فنخسه عمر بمخصرة (عكازة) معه، وقال: فأين أبو بكر؟[1].

أضياف أبي بكر:

عن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أنَّ أصحاب الصفّة كانوا ناساً فقراء وأن النبيَّ ﷺ قال: من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وإن أربعة فخامس، أو بسادس، وإن أبا بكر جاء بثلاثة وانطلق النبي ﷺ بعشرة (قال) فهو أنا وأبي وأمي (فلا أدري هل قال: وامرأتي) وخادم بين بيتنا وبين بيت أبي بكر، وإن أبا بكر تعشى عند النبيّ ﷺ ثم لبث حيث صُليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله، وقالت له امرأته: ما حبسك عن أضيافك؟ (أو قالت عن ضيفك) قال: أو ما عشيتيهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء قد عرضوا فأبوا. قال (أي عبد الرحمن): فذهبت أنا فاختبأت (أي خوفاً من خصام أبي بكر) فقال: يا غُنْثَر

---

(١) تاريخ الطبري.

فجدّع وسبّ[1] وقال: كلوا لا هنيئاً، فقال: والله لا أطعمه أبداً، وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلاَّ ربأ من أسلفها أكثر منها، قال: شبعوا وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها، فقال لامرأته: يا أخت بني فراس، ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان (يعني يمينه) ثم أكل منها لقمة، ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده. وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، ففرقنا اثني عشر رجلاً مع كل رجل منهم أناس والله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون. أو كما قال.

وفي رواية لمسلم وأحمد أنَّ أبا بكر رضي الله عنه لما قال والله لا أطعمه قالوا: فوالله لا نطعمه حتى تطعمه، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بَرُّوا وحنثت (قال فأخبره) فقال: بل أنت أبرهم وأخيرهم[2].

صدقت وكذبت:

قدم لبيد الشاعر على أبي بكر رضي الله عنه، فقال:

ألا كلّ شيء ما خلا الله باطل

فقال: صدقت.

فقال: وكل نعيم لا محالة زائل.

---

(1) قال في فتح الباري: وفي رواية الجريري (وهي في مسلم): فقال يا غنثر أقسمت عليك إن كنت تسمع صوتي لما جئت. (قال): فخرجت فقلت: والله مالي ذنب، هؤلاء أضيافك فسلهم، قالوا: صدقت، قد أتانا. وقوله: فجدع وسب أي دعا عليه بالجدع وهو قطع الأذن أو الأنف والشفة، قال القرطبي: ظن أبو بكر أن عبد الرحمن فرط في حق الأضياف، فلما تبين له الحال أدبهم بقوله: كلوا لا هنيئاً. والغنثر الذباب الأزرق. ا هـ. وروى يا عنتر وهو هو ـ قاله في الفائق.

(2) الصحيحان ومسند الإمام أحمد.

فقال: كذبت، عند الله نعم لا تزول[1].

ما قال شعراً قط:

عن عبدالله بن الزبير رضي الله عنه، قال:
ما قال أبو بكر شعراً قط، ولكنكم تكذبون عليه[2].

نقش خاتمه:

كان نقش خاتم أبي بكر: «نعم القادر الله»[3].

حفظه القرآن كله:

قال النووي في التهذيب: كان أبو بكر ممن يحفظ القرآن كله.

طعام أبي بكر:

قال سعد: رأيت أبا بكر بالخذوات (موضع) وقد حلَّ سفرة معلقة في مؤخر الحصار (شيء كالحقيبة) فإذا قُريص من مَلة (أي مما ينضج في مَلة وهي الرماد الحار) فيه أثر الرضيف (اللحم المشوي على الرضيف) وإذا حميت (زق) من سمن! فدعاني فأصبت من طعامه[4].

أخذه بالحزم:

قال النبي ﷺ لأبي بكر: متى توتر؟ قال: من أول الليل.
وقال لعمر: متى توتر؟ قال: من آخر الليل.
فقال لأبي بكر: أخذت بالحزم، وقال لعمر: أخذت بالعزم[5].

استعراضه الجند:

مرَّ أبو بكر رضي الله عنه بالناس في معسكرهم بالجُرْف، فجعل ينسب

---

(١) الموشح للمرزباني. وفي أسد الغابة أن الذي قال له صدقت وكذبت هو النبي ﷺ.
(٢ ـ ٣) ابن عساكر وتاريخ الطبري وغيرهما.
(٤ ـ ٥) الفائق للزمخشري.

القبائل، حتى مرَّ ببني فزارة فقالوا: نحن يا خليفة رسول الله أحلاس الخيل، وقد قدناها معنا، قال أبو بكر: بارك الله فيكم[1].

أنا أفرس منك ومن أبيك:

ركب أبو بكر رضي الله عنه فرساً يشوره (يعرضه) فقام إليه فتى من الأنصار فقال: احملني عليه يا خليفة رسول الله، فقال أبو بكر: لأن أحمل عليه غلاماً ركب الخيل على غُرلته (أي منذ حداثته) أحب إليَّ من أن أحملك عليه. فقال أنا والله أفرس منك ومن أبيك[2].

قال المغيرة: فما تمالكت حين سمعته أن أخذت بأذنيه، ثم ركبت أنفه بركبتي فكأن أنفه عَزْلاء مَزادة (أي فم مزادة) انبعثت (انفجرت). فتواثبت الرجال والأنصار، ومضى أبو بكر فلما رأى ما يصنعون بي قال: إنَّ المغيرة رجل وازع (الوازع الذي يدبر أمور الجيش).

فلما سمعوا ذلك أرسلوني[3].

أرقع القميص:

قال عليّ لعمر رضي الله عنهما حين استخلف: إن أردت أن تلحق صاحبك فارقع القميص، ونكس الإزار، واخصف النعل، وقصر الأمل، وكل دون الشبع[4].

تقسيمه الخمس:

إنَّ الخمس كان في عهد رسول الله ﷺ على خمسة أسهم لله وللرسول سهم، ولذي القربى سهم، ولليتامى والمساكين وابن السبيل ثلاثة أسهم، ثم قسمه أبو بكر على ثلاثة أسهم. أسقط سهم الرسول وسهم ذوي القربى،

(١ و٢) الفائق للزمخشري.

(٣) الفائق.

(٤) الخراج لأبي يوسف.

وتابعه على ذلك عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم[1].

كلام لم يخرج من إلّ:

لما قدم وفد اليمامة بعد قتل مُسَيْلَمة. قال لهم أبو بكر رضي الله عنه: ما كان صاحبكم يقول؟ فاستعفوه من ذلك، فقال: لتقولنَّ. قالوا: كان يقول:

يا ضفدع نقّي كم تنقّين، لا الشراب تمنعين، ولا الماء تكدرين (في كلام كثير) فقال أبو بكر: ويحكم إن هذا لم يخرج من إلّ ولا برّ[2].

الاقتصاد في نفقة بيته:

اشتهت زوجة أبي بكر رضي الله عنه حلواً، فقال: ليس لنا ما نشتري به، فقالت: أنا أستفضل من نفقتنا في عدة أيام ما نشتري به. قال: افعلي، ففعلت فاجتمع لها في أيام كثيرة شيء يسير فلما عرفته ذلك ليشتري به حلواً أخذه فرده إلى بيت المال. وقال: هذا يفضل عن قوتنا. وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم وغرمه إلى بيت المال من ملك كان له[3].

ساعة وساعة:

عن حنظلة الأسيدي[4] أنَّه مرَّ بأبي بكر رضي الله عنه وهو يبكي فقال: مالك يا حنظلة؟ قال: نافق حنظلة يا أبا بكر، نكون عند رسول الله ﷺ يذكر بالنار والجنة كأنا رأى عين فإذا رجعنا عافسنا (مارسنا) الأزواج والضيعة ونسينا

---

(١) الخراج لأبي يوسف.

(٢) الفائق. وفي منتخبات في أخبار اليمن لنشوان بن سعد الحميري وفي الأمالي للقالي أنَّه قال: هذا كلام ما أتى من عند إل.

(٣) تاريخ ابن الأثير.

(٤) هو حنظلة بن الربيع التميمي المعروف بحنظلة الأسيدي والكاتب لأنه كان يكتب للنبي ﷺ وهو ابن أخي أكثم بن صيفي حكيم العرب توفي بقر قيسياً فجزعت عليه امرأته وقالت من أبيات:

إن سواد العين أودى به ... حزن على حنظلة الكاتب

وهو ممن تخلف عن علي رضي الله عنه في قتال الجمل بالبصرة.

كثيراً قال: فوالله إنا كذلك، انطلق بنا إلى رسول الله ﷺ فانطلقنا، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: مالك يا حنظلة (فأجابه بما أجاب به أبا بكر) فقال النبي ﷺ: لو تدومون على الحال التي تقومون بها من عندي لصافحتكم الملائكة في مجالسكم، وفي طرقكم، وعلى فرشكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة[1].

في بيت رسول الله ﷺ:

استأذن أبو بكر رضي الله عنه على النبي ﷺ فسمع صوت عائشة عالياً، فلما دخل تناولها ليلطمها وقال: لا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ. فجعل رسول الله ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضباً، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: رأيت كيف أنقذتك من الرجل؟

فمكث أبو بكر أياماً ثم استأذن فوجدهما قد اصطلحا. فقال لهما: أدخلاني في سلمكما كما أدخلتماني في حربكما.

فقال النبي ﷺ: قد فعلنا[2].

أبو بكر ودغفل النسابة:

قال ابن عباس حدَّثني علي بن أبي طالب رضي الله عنه من فيه قال: لما أمر الله رسول الله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى رفعنا إلى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم. قال علي: وكان أبو بكر مقدماً في كل خير وكان رجلاً نسابة. فقال: ممن القوم؟ قالوا من ربيعة. قال: وأي ربيعة أنتم أمن هاماتها أو من لهازمها؟ (يريد أمن أشرافها أم من أوساطها) قالوا: من هاماتها العظمى. قال: وأي هاماتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذهل الأكبر. قال أبو بكر: فمنكم عوف بن

---

(١) أسد الغابة وقال: رواه الترمذي وأبو داود.

(٢) المراح في المزاح ـ وقال في المشكاة: رواه أبو داود.

مُحِلّم[1] الذي يقال فيه لا حر بوادي عوف؟ قالوا: لا. قال: فمنكم المزدلف[2] الحر صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا. قال: فمنكم بسطام بن قيس[3] أبو القرى ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: فمنكم جساس بن مرة[4] حامي الذمار، ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: فمنكم الحَوْفَزان[5] قاتل الملوك وسالبها أنفسها؟ قالوا: لا، قال: فمنكم أخوال الملوك من كندة؟ قالوا: لا، قال فمنكم أصهار الملوك من لخم قالوا: لا. قال أبو بكر: فلستم ذهلاً الأكبر، إنما أنتم ذهل الأصغر. فقام إليه غلام من بني شيبان حين بَقَلَ وجهه (أي نبت شعره) يقال له دَغْفَل[6] فقال:

إن على سائلنا أن نسأله والعبء لا تعرفه أو تحمله

يا هذا! إنك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً فممن الرجل؟ قال أبو بكر: من قريش. قال بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من ولد تيم بن مرة.

قال الفتى: أمكنت والله الرمية من سواء الثغرة (أي وسط النحر)،

---

(١) هو عوف بن محلم بن ذهل بن شيبان من أشراف العرب في الجاهلية كان مطاعاً في قومه قوياً في عصبيته طلب منه الملك عمرو بن هند رجلاً كان قد أجاره فمنعه فقال الملك: لا حر بوادي عوف أي لا سيد فيه يناوئه فسارت مثلاً وفيه المثل أوفى من عوف بن محلم قال الزركلي في الأعلام: توفي نحو سنة ٤٥ قبل الهجرة.

(٢) قال الزمخشري: كان يسمى الخصيب ويكنى بأبي ربيعة ولقب بذلك لأنه قال في حرب. كليب ازدلفوا قوسي أو قدرها أي تقدموا في الحرب، وكان إذا ركب لم يعتم معه غيره.

(٣) هو بسطام بن قيس بن مسعود سيد بني شيبان وهو أفرس من في الجاهلية والإسلام يضرب بفروسيته المثل أدرك الإسلام ولم يسلم قتل في حدود سنة ١٠ قبل الهجرة.

(٤) هو جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان كان شجاعاً شاعراً من أمراء العرب في الجاهلية وهو الذي قتل كليب وائل فكان سبباً لحرب طاحنة بين بكر وتغلب دامت ٤٠ سنة قتل جساس في آخرها في حدود سنة ٨٥ قبل الهجرة.

(٥) هو الحارث بن شريك بن عمرو الصلب الشيباني ولقب بالحوفزان لأن قيس بن عاصم رضي الله عنه حفزه بالرمح فاقتلعه عن سرجه وكان أحد الشجعان.

(٦) هو دغفل بن حنظلة الشيباني قيل اسمه حجر ولقبه دغفل قيل إنَّه أدرك النبي ﷺ، يضرب به المثل في معرفة الأنساب قال الجاحظ: لم يدرك الناس مثله لساناً وعلماً وحفظاً وفد على معاوية في خلافته وتولى تعليم يزيد. غرق يوم دولاب في فارس سنة ٦٥.

أفمنعكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فسمي مجمعاً؟ قال: لا، قال: أفمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مُسنتون عجاف؟ قال: لا، قال فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب[1] مطعم طير السماء الذي وجهه كالقمر في الليلة الظلماء؟ قال: لا، قال فمن أهل الإفاضة بالناس؟ قال: لا، قال فمن أهل الندوة أنت؟ قال: لا، قال فمن أهل السقاية أنت؟ قال: لا، قال: فمن أهل الحجابة؟ قال: لا، فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله ﷺ فقال الغلام:

صادف درء السيل درءاً يدفعه   يَهيضه حيناً وحيناً يصدعه

قال: فتبسّم النبي ﷺ (قال علي) فقلت له: لقد وقعت يا أبا بكر من الأعرابي على باقعة (داهية). قال: أجل يا أبا الحسن، ما من طامة إلا وفوقها أخرى، والبلاء موكَّل بالمنطق[2].

سؤاله عن الولاة:

لما ولى أبو بكر استعمل عمر رضي الله عنهما على الحج ثم حج أبو بكر من قابل ثم اعتمر فدخل مكة وقال: هل من أحد يتشكى ظلامة؟ فما أتاه أحد، فأثنى الناس على واليهم (وكان الوالي عَتّاب بن أَسِيد)[3].

معرفته بالنسب:

لما هاجى حسان قريشاً، قالت قريش: إنَّ هذا الشتم ما غاب عنه ابن أبي قُحافة (عنوا أنَّه عالم بالأنساب والأخبار فحسان يراجعه ويسأله عنها).

وفي الحديث أنَّه ﷺ قال لحسان: نافح عن قومك، واسأله عن معايب القوم (يعني أبا بكر)[4].

---

(١) هو جد النبي ﷺ وكذلك قصي ومرة من سلسلة النسب النبوي.

(٢) الكامل للمبرد والفائق للزمخشري وغيرهما قال في الإصابة: رواه البيهقي في دلائل النبوة.

(٣) صفوة الصفوة.

(٤) الفائق، وروى في الرياض النضرة أنه قال له: لا تعجل وائت أبا بكر فإنَّه أعلم قريش بأنسابها حتى يمحص لك نسبي، وقال حديث حسن صحيح.

غيرته على أهله:

قال محمد (يعني ابن سيرين): كان أَغير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر(١).

وحدث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن نفراً من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عُميس فدخل أبو بكر وهي تحته يومئذٍ فرآهم فكره ذلك فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال: لم أرَ إلاّ خيراً، فقال رسول الله ﷺ: إن الله قد برأها من ذلك، ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال: لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مُغيبة (هي التي غاب عنها زوجها) إلاّ ومعه رجل أو اثنان(٢).

بقاؤكم ما استقامت أئمتكم:

دخل أبو بكر على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم فقال: ما لها لا تتكلم؟ فقالوا: حجت مصمتة، قال لها تكلمي فإنَّ هذا لا يحل، هذا من عمل الجاهلية. فتكلمت فقالت: من أنت؟ قال: أمرؤ من المهاجرين، قالت: أيّ المهاجرين؟ قال من قريش، قالت: من أي قريش؟ قال: إنك لسؤول أنا أبو بكر، قالت: ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية؟ قال: بقاؤكم عليه ما استقامت أئمتكم، قالت: وما الأئمة؟ قال أوما كان لقومك رؤوس وأشراف يأمرونهم فيطيعونهم؟ قالت: بلى، قال: فهم أولئك الناس(٣).

دعاؤه أشد من سرقته!

إنَّ رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل، قدم فنزل على أبي بكر فشكا إليه أن عامل اليمن ظلمه، فكان يصلي من الليل. . . فيقول أبو بكر: وأبيك ماليلك بليل سارق!

---

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزي.

(٢) صحيح مسلم ومسند الإمام أحمد.

(٣) تاريخ الخلفاء.

ثمَّ إنَّهم افتقدوا حليّاً لأسماء بنت عُميس امرأة أبي بكر فجعل يطوف معهم ويقول: اللهم عليك بمن بيّت أهل هذا البيت الصالح. فوجدوا الحلى عند صائغ زعم أنَّ الأقطع جاءه به، فاعترف الأقطع أو شهد عليه، فأمر به أبو بكر فقطعت يده اليسرى، وقال أبو بكر: والله لدعاؤه على نفسه أشدُّ عندي عليه من سرقته[1].

حلمه وانتصافه:

عن سعيد بن المسيب أنَّه قال:

بينما رسول الله ﷺ جالس ومعه أصحابه وقع رجل بأبي بكر فآذاه، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثانية، فصمت عنه أبو بكر، ثم آذاه الثالثة، فانتصر منه أبو بكر، فقام رسول الله ﷺ حين انتصر أبو بكر، فقال أبو بكر: أوجدت (أي أغضبت) علي يا رسول الله؟ فقا رسول الله ﷺ: نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك، فلما انتصرت وقع الشيطان، فلم أكن لأجلس إذ وقع الشيطان[2].

وفي رواية أن رجلاً شتمه فسكت مراراً ثمَّ ردَّ عليه فقام النبي ﷺ فقال أبو بكر: شتمني وأنت جالس، فلما رددت عليه قمت، قال: إن ملكاً كان يجيب عنك فلما رددت عليه ذهب الملك وجاء الشيطان، فلم أجلس عند مجيء الشيطان فنزل قوله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً﴾[3].

أيستنّ بفارس والروم:

عن عقبة بن عامر[4] أنَّ عمرو بن العاص وشرحَبِيْل بن حسنة[5] بعثاه

---

(١) تاريخ الخلفاء وقال: أخرجه البخاري عن قيس بن أبي حازم.

(٢) سنن أبي داود، وفضائل الصحابة والآل للنقشبندي.

(٣) تفسير الفخر الرازي وتفسير الخازن وحاشية الجمل على تفسير الجلالين.

(٤) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني كان قارئاً عالماً بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعراً كاتباً وكان البريد إلى عمر بفتح دمشق وكان مع معاوية في صفين ثم تحول إلى مصر ووليها سنتين ومات سنة ٥٨.

(٥)هو شرحبيل بن حسنة وهي أمه وأبوه عبدالله بن المطاع أسلم قديماً وهاجر إلى الحبشة وكان =

بريداً إلى أبي بكر برأس بُنان بِطريق الشام فلما قدم على أبي بكر أنكر ذلك، فقال له عقبة: يا خليفة رسول الله، فإنَّهم يصنعون ذلك بنا. قال: أفيستنَّان بفارس والروم؟ لا يحمل إليَّ رأس، إنَّما يكفي الكتاب والخبر[1].

أوّلياته:

هو رضي الله عنه أول من أسلم، وأول من جمع القرآن، وأول من سماه مصحفاً، وأول من سمي خليفة، وأول من ولي الخلافة وأبوه حي، وأول خليفة مات وأبواه حيّان، وأول خليفة فرض له رعيته العطاء، وأول من اتَّخذ بيت المال، وأول من لقب في الإسلام لقب عتيقاً، وأول من لقب بشيخ الإسلام، وأول من قاء تحرُّجاً من الشبهات، وأوَّل من غسلته زوجته في الإسلام[2].

رئيس التشريفات:

كان أبو بكر رضي الله عنه إذا قدم على رسول الله ﷺ الوفود أرسل من يعلمهم كيف يسلمون، ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله ﷺ[3].

رسر‎ا‎ء إلى ملك الروم:

قال عبدالله بن الصامت[4]: وجهني أبو بكر الصديق سنة استخلف إلى ملك الروم لأدعوه أو آذنه بحرب، فسرت حتى أتيت القسطنطينية (وذكر بقية الحديث)[5].

= من وجوه قريش سيره أبو بكر وعمر على جيش إلى الشام ولم يزل والياً على بعض نواحي الشام إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ١٨ وعمره ٦٧ طعن هو وأبو عبيدة في يوم واحد رضي الله عنهما.

(١) تاريخ الخلفاء وقال: أخرجه البيهقي.

(٢) صفوة الصفوة، والتراتيب الإدارية للسيد عبد الحي الكتاني، وشرح عقيدة السفاريني نقلاً عن منتخب المنتخب لابن الجوزي وغيرهما.

(٣) الترتيبات الإدارية نقلاً عن تفسير أبي السعود الحنفي.

(٤) هو عبدالله بن الصامت الغفاري البصري كان تابعياً ثقة ذكره البخاري في التاريخ الأوسط في من مات بين السبعين إلى الثمانين.

(٥) لأخبار الطوال للدينوري.

كتابه وعماله في المدينة:

لما ولي أبو بكر رضي الله عنه قال له أبو عبيدة: أنا أكفيك المال (يعني الجِزاء). وقال عمر: أنا أكفيك القضاء، فمكث عمر سنة لا يأتيه رجلان[1].

وكان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان، وزيد بن ثابت رضي الله عنهم. وروى أن عبدالله بن الأرقم[2] كتب له، وأن حنظلة بن الربيع كتب له أيضاً[3]، وكان يكتب له من حضر[4].

عدَّة ما روى من الأحاديث:

روى الصديق رضي الله عنه ١٤٢ حديثاً اتفق الشيخان على ستة وانفرد البخاري بأحد عشر، ومسلم بحديث، وسبب قلة ما روي أنَّه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها[5].

أما الرواة عنه من الصحابة والتابعين فأكثر من أن يحصوا.

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) هو عبدالله بن الأرقم بن عبد يغوث القرشي الزهري أسلم عام الفتح كتب للنبي ﷺ ولأبي بكر ولعمر رضي الله عنهما واستعمله عمر على بيت المال وكان يقول فيه: ما رأيت أخشى لله تعالى من عبدالله بن الأرقم وعمي قبل وفاته.

(٣) كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري، ومرآة الجنان لليافعي.

(٤) تاريخ الطبري.

(٥) تهذيب الأسماء واللغات للنووي.

مَرَضُهُ، وَاسْتِخْلَافُهُ، وَوَفَاته



مَرَضُهُ، وَاسْتِخْلَافُه، وَوَفَاته

مرضه:

روى ابن سعد عن الزهري أن أبا بكر والحارث بن كلدة[1]، كانا يأكلان حريرة[2] أهديت لأبي بكر، فقال له الحارث: ارفع يدك يا خليفة رسول الله(ﷺ)، إنَّ فيها لسمّ سنة، وأنا وأنت نموت في يوم واحد، عند انقضاء السنة.

وكان ابتداء مرض أبي بكر، أنَّه اغتسل يوم الإثنين لسبع خلون من جُمادي الآخرة وكان يوماً بارداً، فحمّ خمسة عشر يوماً، لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يصلي بالناس، ويدخل الناس عليه يعودونه وهو يثقل كل يوم.

وروى عن ابن عمر أنَّ سبب موت الصديق الكمد على رسول الله ﷺ. وأنَّ ذلك أعقبه سُلًّا، فمرض بعد خروج خالد من العراق، وهو نازل يومئذ في داره التي أقطعها له النبيّ ﷺ وجاه دار عثمان، وكان عثمان أكرم الناس له في مرضه، وألزمهم له[3].

---

(١) هو الحارث بن كلدة بن عمرو الثقفي طبيب العرب قال ابن أبي حاتم: لا يصح إسلامه مولده قبل الإسلام وعاش إلى خلافة معاوية وله كلام في الحكمة. قلت: فعلى هذا لم يصدق الله خبره وفي صفوة الصفوة أنَّهما ماتا في يوم واحد عند انقضاء السنة ولم يثبت.

(٢) الحريرة: دقيق يطبخ بلبن أو دسم.

(٣) طبقات ابن سعد.

استخلافه عمر رضي الله عنهما:

قال الحسن البصري: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه واستبان له من نفسه، جمع الناس إليه فقال: إنَّه قد نزل بي ما قد ترون، ولا أظنني إلاَّ ميِّتاً لما بي، وقد أطلق الله أيمانكم من بيعتي، وحلَّ عنكم عقدتي، وردَّ عليكم أمركم، فأمّروا عليكم من أجبتم، فإنَّكم إن أمّرتم في حياة منى كان أجدر ألاَّ تختلفوا بعدي.

فقاموا في ذلك فلم يستقم لهم أمر، فرجعوا إليه، فقالوا: رأينا يا خليفة رسول الله رأيك، قال: فأمهلوني حتى أنظر لله ولدينه ولعباده[1].

ثم إنَّه دعا ـ بعد ذلك ـ عبد الرحمن بن عوف فقال له: أخبرني عن عمر ابن الخطاب. فقال له: ما تسألني عن أمر إلاَّ وأنت أعلم به مني. فقال له: وإن فقال عبد الرحمن: هو والله أفضل من رأيك فيه.

ثم دعا عثمان. فقال له مثل ذلك. فقال: علمي به أن سريرته خير من علانيته، وأنه ليس فينا مثله، فقال له أبو بكر: يرحمك الله، والله لو تركته ما عدوتك.

ثم شاور سعيد بن زيد، وأسيد بن الحُضَير، وغيرهما من المهاجرين والأنصار، فقال أُسيد: اللهم أُعلمه الخيرة بعدك. يرضى للرضا، ويسخط للسخط، والذي يسرُّ خير من الذي يعلن، ولن يلي هذا الأمر أحد أقوى عليه منه.

وسمع بعض الصحابة بدخول عبد الرحمن وعثمان على أبي بكر، وخلوتهما به، فدخلوا على أبي بكر، فقال له قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك عمر علينا، وقد ترى غلظته، وهو إذا ولى كان أفظ وأغلظ؟

---

(١) سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه لابن الجوزي.

قال أبو بكر رضي الله عنه: أجلسوني. فلما جلس. قال: أبالله تخوفونني؟ خاف من تزوّد من أمركم بظلم. أقول: اللهم إني قد استخلفت على أهلك خير أهلك. ثم قال للقائل: أبلغ عني ما قلت لك مَن وراءك.

ثم اضطجع ودعا بعثمان، فقال له: اكتب. بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما دعا به أبو بكر بن أبي قُحافة، في آخر عهده بالدنيا خارجاً منها، وأول عهده بالآخرة داخلاً فيها، حيث يؤمن الكافر، ويوقن الفاجر، ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم بعدي...

وأخذته غشية فذُهب به قبل أن يسمي أحداً. فكتب عثمان رضي الله عنه: إني استخلفت عليكم بعدي عمر بن الخطاب.

ثم أفاق أبو بكر فقال: اقرأ عليَّ ما كتبت فقرأ عليه ذكر عمر، فكبر أبو بكر، وقال: أراك خفت أن تذهب نفسي في غشيتي تلك فيختلف الناس، فجزاك الله عن الإسلام خيراً، والله إن كنت لها لأهلاً. ثم أمره أن يكتب تتمة الكتاب:

فاسمعوا له وأطيعوا، وإني لم آل الله ورسوله ودينه ونفسي وإياكم خيراً، فإن عدل فذلك ظني به وعلمي فيه، وإن بدَّل فلكل امريء ما اكتسب، والخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوْا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُوْنَ﴾. والسلام عليكم ورحمة الله.

ثم أمره فختم الكتاب وخرج به مختوماً، ومعه عمر وأُسيد بن الحضير وأَسيد بن سعية القرظي[١]. فقال عثمان للناس: أتبايعون لمن في هذا الكتاب؟ فقالوا نعم[٢].

وفي رواية أن أبا بكر أشرف على الناس من كوَّته فقال: يا أيها الناس

---

(١) هو أسيد وقيل أسد بن سعية وقيل سعنة القرظي أحد من أسلم من اليهود صبح فتح قريظة.
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر والطبقات لابن سعد وتاريخ الخلفاء وغيرها.

إني قد عهدت عهداً، أفترضونه؟ فقال الناس: رضينا يا خليفة رسول الله ﷺ، فقام علي رضي الله عنه فقال: لا نرضى إلاَّ أن يكون عمر[1].

فأقروا بذلك جميعاً. ورضوا به ثم بايعوا[2] فرفع أبو بكر رضي الله عنه يديه فقال: اللهم إني لم أرد بذلك إلاَّ صلاحهم. وخفت عليهم الفتنة، فعملت فيهم ما أنت أعلم به، واجتهدت لهم رأيي، فوليت عليهم خيرهم وأقوالهم عليه. وأحرصهم على ما أرشدهم. وقد حضرني من أمرك ما حضر، فاخلفني فيهم، فهم عبادك، ونواصيهم بيدك، وأصلح لهم أميرهم، واجعله من خلفائك الراشدين، يتبع هدى نبي الرحمة، وهدى الصالحين بعده، وأصلح له رعيته. ثم دعاه فأوصاه[3].

وعن معيقيب بن أبي فاطمة[4] قال: كنت على نفقة أبي بكر فلما كان مرضه الذي توفي فيه، أتيته فوجدت عنده بعض الصحابة خالياً به يعاتبه باستخلافه عمر، فأردت أن أرجع، فأشار لي أن أجلس فجلست، فارتفع الكلام فسمعت أبا بكر يقول:

لا والله ولا نعمة عين، هو والله خير لكم، والله لو وليتك لجعلت أنفك في السماء ولرفعت نفسك فوق قدرك حتى يكون الله هو الذي يضعك. تريد أن تردني عن رأيي وتفتنني في ديني؟ فوالله لئن بلغني أنك عصيته أو ذكرته بسوء لأفعلن ولأفعلنَّ ثم قام فخرج؛ فدنوت منه إذ قيل: عثمان وعلي بالباب فخيل لي أن يسارع إلى دخولهما فأذن لهما ثم قال: لعلكما تقولان في عمر ما قال فلان آنفاً؟

---

(١) مختصر الموافقة للزمخشري وليس من المراجع المعتمدة.

(٢) طبقات ابن سعد.

(٣) تاريخ الخلفاء. انظر باب الوصايا في آخر هذا الكتاب.

(٤) ويقال معيقب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني أمية أسلم قديماً وشهد المشاهد بعد بيعة الرضوان وكان من مهاجرة الحبشة وكان على خاتم النبي ﷺ ثم على بيت المال لعمر ثم كان على خاتم عثمان ومات في خلافته وقيل عاش إلى بعد الأربعين رضي الله عنه.

قالا: وماذا قال يا خليفة رسول الله؟

قال: زعم أن عمر أحدثكم إسلاماً و(ذكر خصالاً أخرى).

قال عثمان رضي الله عنه: بئس لعمر الله ما قال فلان، عمر بحيث يحب من قوته مع سابقته.

وقال علي رضي الله عنه: بئس ما قال، عمر عند ظنك به، ورأيك فيه، إن وليته، مع أنه قد كان والياً معك ـ نحظى برأيه ونأخذ منه، فامض لما تريد ودع مخاطبة الرجل فإن يكن على ما ظننت إن شاء الله فله عمدت، وإن يكن مالاً تظن لم ترد إلاَّ الخير[1].

قلت: وفي هذا رد على من زعم أنَّ أبا بكر رضي الله عنه استأثر بالأمر من دون المسلمين؛ ومضى فيه برأيه، وإنَّ استخلاف عمر لم يكن عن مشورة الأمة وإرادتها وفي هذا الدليل القاطع على أن عمر رضي الله عنه إنَّما ولي الخلافة باتفاق أصحاب الحل والعقد وإرادتهم، فهم الذين فوضوا لأبي بكر انتخاب الخليفة، وجعلوه نائباً عنهم في ذلك، فشاور ثم عين الخليفة، ثم عرض هذا التعيين على الناس فأقروه، وأمضوه ووافقوا عليه، وأصحاب الحل والعقد في الأمة هم النواب (الطبيعيون) عن هذه الأمة، وإذن فلم يكن استخلاف عمر رضي الله عنه إلاَّ على أصح الأساليب (الديمـوقراطيـة) وأعدلها.

ودخل عبد الرحمن بن عوف على أبي بكر الصديق يعوده في مرضه الذي مات فيه فوجده مقنعاً، فقال له عبد الرحمن: أصبحت بحمد الله بارئاً، فقال: أبرءٌ ذاك؟ قال: نعم، قال: أما إني على ذلك لشديد الوجع، ولما لقيت منكم أيها المهاجرون أشد عليَّ من وجعي، إني وليت أمركم خيركم في نفسي، فكلكم ورم أنفه أن يكون له الأمر دونه ورأيتم الدنيا قد أقبلت، ولما تقبل، وهي مقبلة، حتى تتخذوا ستور الحرير ونضائد الديباج، وحتى

---

(١) مختصر الموافقة.

يألم أحدكم بالاضطجاع على الصوف الأذربي (أي المنسوب إلى أذربيجان) كما يألم أحدكم إذا هو نام على حسك السعدان (وهو نبت كثير الشوك)، والذي نفسي بيده لأن يقدم أحدكم فتضرب عنقه في غير حد، خير له من أن يخوض غمرات الدنيا، ثم أنتم غداً أول ضال بالناس يميناً وشمالاً، لا تضيعوهم عن الطريق، يا هادي الطريق جرت، إنما هو الفجر أو البجرْ[1]. فقال له عبد الرحمن: خفض عليك يرحمك الله فإن هذا يهيضك (يكسرك) إلى ما بك[2] إنما الناس في أمرك رجلان: إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل رأى ما لم تر فهو يشير عليك بما يعلم، وصاحبك كما تحب أو كما يحب ولا نعلمك أردت إلاَّ الخير ولم تزل صالحاً مصلحاً مع أنَّك لا تأسى على شيء من الدنيا فقال أبو بكر: أجل لا آسي على شيء من الدنيا إلاَّ على ثلاثة فعلتهن وددت لو تركتهن، وثلاثة تركتهنَّ وددت أني فعلتهنَّ، وثلاثة وددت أني سألت عنهن رسول الله ﷺ.

فأما اللواتي وددت أني تركتهن: لو أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قلدت الأمر في عنق هذين الرجلين: أبي عبيدة وعمر. فكان أحدهما أميراً وكنت وزيراً، ووددت أني لم أكن كشفت بيت فاطمة عن شيء مع أنَّهم أغلقوه على الحرب. ووددت أني لم أكن حرقت الفجاءة السلمى وأني قتلته سريحاً أو خليته نجيحاً.

وأمَّا الثلاثة اللواتي تركتهنَّ ووددت أني كنت فعلتهنَّ: وددت أني يوم وجهت خالد بن الوليد إلى أهل الشام وجهت عمر بن الخطاب إلى أهل العراق، فكنت قد بسطت كلتا يدي في سبيل الله. ووددت أني حين أُتيت بالأشعث بن قيس أسيراً ضربت عنقه، فإنَّه يخيل إليَّ أنَّه لا يرى شراً إلاَّ أعان عليه، ووددت لو أني إذ سيرت خالد بن الوليد إلى أهل الردة كنت أقمت

---

(١) البجر بالفتح والضم: الداهية والأمر العظيم؛ والمعنى إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر أبصرت الطريق؛ وإن خبطت الظلماء أفضت بك إلى المكروه.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر والكامل للمبرد والفائق للزمخشري.

بذي القَصَّة فإن ظفر المسلمون ظفروا، وإن هزموا كنت ردءاً لهم ومدداً.

وأمَّا الثلاثة التي وددت أني سألت رسول الله ﷺ عنهن: فوددت أني كنت سألته هل للأنصار في هذا الأمر نصيب؟ ووددت أن كنت سألته عن ميراث العمة وبنت الأخ فإنَّ في نفسي منها شيئاً، ووددت أني سألته لمن هذا الأمر فلا ينازعه أحد[١].

قلت: وورد مثل ذلك عن عمر رضي الله عنه. فإذا كان سيداً هذه الأمة أبو بكر وعمر يودان لو سألا رسول الله ﷺ عن أشياء، ثم يعلمان أنه لا يسأل عنها بعد أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، فما بال أقوام يزعمون أنهم يسألون النبي ﷺ عن أمور يريدونها، وأنَّه يجيبهم إن يقظة وإن مناماً، ويتجاوزون حد السؤال والجواب، إلى بناء الأحكام الشرعية على مثل هذه الأجوبة التي يدعون أنَّهم سمعوها منه ﷺ؟.

وصية أبي بكر رضي الله عنه:

روى ابن سعد عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت:

لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه، قال: أما إننا منذ ولينا أمر المسلمين لم نأكل لهم ديناراً ولا درهماً، ولكنا قد أكلنا من جريش (خشن) طعامهم في بطوننا، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا، فانظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي وأبرأوا منهنَّ، فإني قد كنت أستحلّه وأستصلحه جهدي.

(قالت عائشة): فلما مات نظرنا فيما خلّفه، فإذا عبد نُوبي كان يحمل صبيانه وإذا ناضح كان يسني عليه، فيسقي بستاناً له وإذا جَرْد قطيفة. فبعثنا بهنَّ إلى عمر، فلما جاءه الرسول بكى حتى جعلت دموعه تسيل على الأرض، وهو يقول: رحم الله أبا بكر لقد أتعب من بعده، ويرددها، ثم قال:

---

(١) ابن عساكر والطبري. وهما من كتب التاريخ لا من كتب الصحاح.

يا غلام! ارفعهن. فقال عبد الرحمن بن عوف: سبحان الله! تسلب عيال أبي بكر عبداً حبشياً وبعيراً ناضحاً وجرد قطيفة ما تساوي خمسة الدراهم؟ قال: فماذا تأمر؟ قال: تردهنَّ على عياله. قال: والذي بعث محمداً بالحق لا يكون هذا في ولايتي أبداً ولم يكن أبو بكر ليخرج منهن عند الموت، وأردهن أنا على عياله، الموت أقرب من ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل أبو بكر رضي الله عنه قال: فأي يوم هذا؟ قلنا يوم الإثنين قال: فأي يوم قبض رسول الله ﷺ؟ قلنا: يوم الإثنين، قال فإني أرجو فيما بيني وبين الليل، قال: ففيم كفنتم النبي ﷺ؟ قالت: في ثلاثة أثواب بيض سَحُوليّة يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة.

فقال أبو بكر: أنظروا ملأتيَّ هاتين، فإذا مت فاغسلوهما وكفنوني فيهما، قالت عائشة: يا أبتاه قد رزق الله وأحسن، نكفنك في جديد قال: إنَّ الحيَّ هو أحوج إلى الجديد يصون به نفسه من الميت، إنَّما يصير الميت إلى الصديد، وإلى البِلى.

وروى ابن سعد أيضاً عن زيد بن أسلم رضي الله عنه[1]: كان أبو بكر رضي الله عنه معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث النبي ﷺ وعنده أربعون ألف درهم. فكان يعتق منها، ويقوِّي المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها مثل ما كان يفعل بمكة. ثم توفي أبو بكر وعليه ستة آلاف درهم، كان أخذها من بيت المال، فلما حضرته الوفاة قال: إن عمر لم يدعني حتى أصبت من بيت المال ستة آلاف درهم، وأن حائطي الذي بمكان كذا وكذا فيها. فلما توفي ذكر ذلك لعمر، فقال: يرحم الله أبا بكر، لقد أحبَّ ألَّا يدع لأحد بعده مقالة، وأنا والي الأمر من بعده قد رددتها عليكم.

وروى أيضاً: أن أبا بكر أوصى بخمس ماله، وقال آخذ من مالي ما

---

(١) هو زيد بن أسلم بن ثعلبة البلوي العجلاني حليف الأنصار. شهد بدراً وقتله طليحة الأسدي يوم بزاخة.

أخذ الله من فيء المسلمين. ولأن أُوصي بالخمس أحب إليَّ من أن أُوصي بالربع ولأن أُوصي بالربع أحب إلي من أن أُوصي بالثلث، ومن أوصى بالثلث لم يترك شيئاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: لما حضر أَبا بكر الوفاة. جلس فتشهد ثم قال: أما بعد يا بنية، فإن أَحب الناس إليَّ غني بعدي أنت. وإن أَعز الناس عليَّ فقراً بعدي أنت، وإني كنت نحلتك (أَعطيتك) من أَرض بالعالية جداد عشرين وسقاً (أي نخلاً يقطع منه ما يبلغ عشرين وسقاً) فلو كنت جددتيه تمراً عاماً واحداً انحاز لك وإنما هو مال الوارث؛ وإنما هما أَخواك وأُختاك. قالت: إنما هي أَسماء؟ قال: وذات بطن ابنة خارجة قد أُلقى في رُوعي أَنها جارية، فاستوصى بها خيراً. فولدت أُم كلثوم.

وكان مال العالية من أموال بني النضير، وكان النبي ﷺ أعطاه أبا بكر رضي الله عنه فأصلحه، وغرس فيه.

وفاته:

امتد المرض بأبي بكر رضي الله عنه خمسة عشر يوماً، والناس يعودونه وهو يثقل كلّ يوم حتى توفي ليلة الثلاثاء لثمانٍ بقين من جمادي الآخرة، سنة ثلاث عشرة من الهجرة[١].

ولما حضرته الوفاة قالت عائشة رضي الله عنها كلمة من قول حاتم:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوماً وضاق بها الصدر[٢]

---

(١) ابن سعد وابن عساكر وغيرهما.

(٢) وروى ابن سعد أنها قالت:

وكل ذي إبل لا بد مورثها ... وكل ذي سلب لا بد مسلوب

وروى الطبري أنها قالت:

وكل ذي إبل موروث ... وكل ذي سلب مسلوب

وكل ذي غيبة يؤوب ... وغائب الموت لا يؤوب

وروي غير ذلك.

فقال: لا تقولي هكذا يا بنية! ولكن قولي: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾.

وروى ابن سعد أنها عادت فأنشدت فوق رأسه وهو يقضي:

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثِمالُ اليتامى عصمة للأرامل

فقال: ذاك رسول الله ﷺ.

سنه:

قال ابن سعد: اتفقت الروايات على أنَّ أبا بكر استكمل في خلافته سنّ رسول الله ﷺ، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال، وكانت ولادته بعد الفيل بسنتين[1] وأربعة أشهر إلَّا أياماً وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وقال أنس رضي الله عنه: كان أسنَّ أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر وسهيلُ بن بيضاء[2]، ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يكن في أصحابه أشمط (أي في رأسه مع السواد بياض) غير أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.

غسله ودفنه:

قال ابن سعد: اتفقت الروايات على أن أبا بكر أوصى امرأته أسماء بنت عُمَيس أن تغسله إذا مات وعزم عليها لما أفطرت لأنه أقوى لك. فذكرت يمينه من آخر النهار، فدعت بماء فشربت وقالت: والله لا أتبعه اليوم حنثاً. وأوصى أن تستعين إذا عجزت ابنه عبد الرحمن[3].

---

(١) الرياض النضرة، وفي ابن عساكر بثلاث سنين.

(٢) هو سهيل بن بيضاء وهي أمه واسمها دعد بنت الجحدم واسم أبيه وهب بن ربيعة وهو قرشي من بني فهر قديم الإسلام جمع الهجرتين جميعاً ثم شهد بدراً وغيرها ومات بالمدينة سنة تسع وصلّى عليه رسول الله ﷺ في المسجد ولم يعقب.

(٣) وفي بعض الروايات أنَّه أوصى أن يعينها ابنه محمد، وليس هذا بشيء لأن محمداً ولد بذي الخليفة في حجة الوداع فكيف يعينها وله يومئذٍ ثلاث سنين أو نحوها؟ ـ قاله الواقدي.

قال: فهي أول امرأة غسلت زوجها في الإسلام. وأوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مسجد رسول الله ﷺ بين القبر والمنبر، وحمل على السرير الذي حمل عليه رسول الله ﷺ وهو سرير عائشة رضي الله عنها وكان من خشبتين ساجاً منسوجاً بالليف وبيع في ميراث عائشة بأربعة آلاف درهم فاشتراه مولي لمعاوية وجعله للمسلمين.

ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن رضي الله عنهم. قال ابن عمر: فأردت أن أنزل فقال عمر: كفيت.

وقالت عائشة رضي الله عنها: توفي أبو بكر ليلاً فدفناه قبل أن نصبح، وصلَّى عليه عمر ثم دخل المسجد فأوتر بثلاث.

موضع قبره:

أوصى أبو بكر عائشة رضي الله عنهما أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ، فلما توفي حفر له وجعل رأسه عند كتفي رسول الله ﷺ، وألصق اللحد بقبر رسول الله ﷺ ثم جعل رأس عمر عند حقوي أ. بكر. قال ابن حَنْطب[1] جعل قبر أبي بكر مثل قبر النبي ﷺ مسطَّحاً ورش عليه الماء.

عن القاسم بن محمد[2]: قال دخلت على عائشة فقلت: يا أُمة اكشفي لي عن قبر النبي ﷺ وصاحبيه، فكشفت لي عن ثلاثة قبور لا مشرفة ولا لاطئة، مبطوحة ببطحاء العرصة الحمراء، فرأيت قبر النبي ﷺ مقدماً وقبر أبي بكر عند رأسه، ورأس عمر عند رجل النبي ﷺ[3].

---

(١) هو المطلب بن عبدالله بن حنطب المخزومي، كان من وجوه قريش، كثير الحديث وعامة أحاديثه مراسيل وثقه الدارقطني وأبو زرعة وغيرهما.

(٢) هو القاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنهم كان ثقة رفيعاً عالماً فقيهاً إماماً ورعاً كثير الحديث. مات أبوه وبقي هو يتيماً في حجر عمته عائشة رضي الله عنها. مات بعد عمر بن عبد العزيز واختلف في السنة التي مات فيها فأقل ما قيل سنة ١٠١ وأكثره سنة ١١٢.

(٣) طبقات ابن سعد.

النوح عليه:

أخرج عبد الرزاق من طريق سعيد بن المسيب قال:

لما مات أبو بكر رضي الله عنه بكوا عليه فقال عمر: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الميت يعذب ببكاء الحي[1]، فأبوا إلاَّ أن يبكوا، فقال لهشام بن الوليد[2] قم فأخرج النساء، فقالت عائشة: أحرّج عليك فقال عمر: أدخل فقد أذنت لك؛ فقالت عائشة: أمخرجي أنت يا بني؟ قال: أما لك فقد أذنت، فجعل يخرجهن امرأة امرأة حتى خرجت أم فروة بنت أبي قحافة (أُخت أبي بكر).

(وفي رواية ابن سعد) فقال عمر لهشام بن الوليد: أَخرج إليَّ ابنة أبي قحافة فعلاها بالدِّرة ضربات فتفرق النوائح حين سمعن ذلك[3].

تأبينه:

لما قبض أبو بكر رضي الله عنه سجى عليه بالثوب، فارتجت المدينة بالبكاء ودهش القوم كيوم قبض رسول الله ﷺ، وجاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه باكياً مسرعاً مسترجعاً حتى وقف بالباب وهو يقول:

رحمك الله يا أبا بكر، كنت والله أول القوم إسلاماً، وأخلصهم إيماناً، وأشدهم يقيناً، وأعظمهم غناءً، وأحفظهم على رسول الله، وأحدبهم على الإسلام وأحناهم على أهله، وأشبههم برسول الله خَلقاً وخُلقاً وهدياً وسَمْتاً، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسول الله خيراً صدَّقت رسول الله حين كذبه الناس وواسيته حين بخلوا وقمت معه حين قعدوا، وأسماك الله في كتابه صديقاً ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُوْنَ﴾ يريد محمداً ويريدك، وكنت والله للإسلام حصناً وعلى الكافرين عذاباً، لم تُفلل حجتك،

---

(١) هذا الحديث تكلّم فيه العلماء كثيراً لأنه مخالف لقوله تعالى: ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾.

(٢) هو هشام بن الوليد بن المغيرة أخو خالد بن الوليد رضي الله عنه.

(٣) الإصابة وطبقات ابن سعد.

ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك، كنت كالجبل الذي لا تحـركه العواصف ولا تزيله القواصف. كنت ـ كما قال رسول الله ﷺ ـ ضعيفاً في بدنك قويًّاً في أمر الله، متواضعاً في نفسك عظيماً عند الله، جليلاً في الأرض كبيراً عند المؤمنين، ولم يكن لأحد عندك مطمع ولا لأحد عندك هَوادة، فالقوي عندك ضعيف حتى تأخذ الحق منه والضعيف عندك قويٌّ حتى تأْخذ الحق له، فلا حرمها الله أجرك، ولا أضلنا بعدك[1].

وروى الحافظ ابن عساكر أنه لما كانت الحرب بين عليّ ومعاوية مرَّ رجل من التابعين، على رجلين من أصحاب عليّ، ينتقصان أبا بكر وعمر رضي الله عنهم أجمعين، فأخبر عليّاً بذلك فغضب غضباً شديداً، ونادى الصلاة جامعة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال:

ما بال أقوام يذكرون سيدي قريش وأبوي المؤمنين، بما أنا عنه منزه وعليه معاقب. أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما إلاّ مؤمن تقي ولا يبغضهما إلاّ منافق: صحبا رسول الله ﷺ على الصدق والوفاء، ومضى رسول الله ﷺ أبا بكر بالصلاة، فصلى بالمؤمنين سبعة أيام في حياة رسول الله ﷺ، فلما قبض الله عزَّ وجل نبيه واختار له ما عنده ولاَّه المؤمنون أمرهم وفوَّضوا إليه الزكاة لأنهما مقرونتان ثم أعطوه البيعة طائعين غير كارهين وهو لذلك كاره يود لو أن أحدنا كفاه ذلك، وكان والله خير من اتقى. أرحمه رحمة وأرأفه رأْفة، وأثبته رُوعاً وأقدمه سناً وإسلاماً. سار فينا بسيرة رسول الله ﷺ حتى مضى على ذلك[2] (إلى أن قال):

فمن لكم بمثليهما، رضي الله عنهما ورزقنا المضيّ على سبيلهما، فإنَّه لا يبلغ مبلغهما إلاَّ باتباع آثارهما والحب لهما، ألا من أحبني فليحبهما

---

(١) نهاية الأرب وقال: فانظر إلى هذا الأسلوب العجيب، وتأمل هذا النمط الغريب، الذي جمع بين سلاسة الألفاظ وإيجازها؛ وإصابة المباني وإعجازها؛ ولا يستكثر على من أنزل القرآن بلغتهم، أن يكون هذا القول من بديهتهم. قلت: وذكره المحب الطبري مطولاً.

(٢) ثم وصف عمر وتكلم عن خلافته وأثنى عليه.

ومن لم يحبهما فقد أبغضني وأنا منه بريء. ألا وإن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ولو شئت سميت لكم الثالث. وأستغفر الله لي ولكم[١].

ووقفت عائشة رضي الله عنها على قبره فقالت:

نضر الله وجهك، وشكر لك صالح سعيك، فلقد كنت للدنيا مذلاً بإعراضك عنها، وللآخرة معزّاً بإقبالك عليها ولئن كان أجلّ الحوادث بعد رسول الله ﷺ رزءك وأعظم المصائب بعده فقدك، إن كتاب الله ليعد بالعزاء عنك حسن العوض منك، فأنا أنتجز من الله موعوده فيك، بالصبر عليك وأستعيضه منك بالدعاء لك، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، وعليك السلام ورحمة الله، توديع غير قالية لحياتك، ولا زارية على القضاء فيك[٢].

وقالت يوم الحكمين: رحمك الله يا أبت، فلئن أقاموا الدنيا لقد أقمت الدين حين وهي شعبه، وتفاقم صدعه، ورجفت جوانبه، انقبضت عما إليه أصغوا، وشمرت فيما عنه ونَوا، واستصغرت من دنياك ما أُعظموا، ورغبت بدينك عما أغفلوا، طالوا عنان الأمر، واقتعدت مطي الحذر، فلم تهتضم دينك، ولم تنس غدك، ففاز عند المساهمة قِدحك، وخف مما استوزروا ظهرك[٣]:

ولما انقضى الجمل قامت فقالت:

أيها الناس! إن لي عليكم حرمة الأمومة وحق الموعظة، لا يتهمني إلاّ من عصى ربه، قبض رسول الله ﷺ بين سحري ونحري وحاقنتي وذاقنتي (المعنى أنّه قبض وهي ملازمته وضامته إلى هذه المواضع من جسدها) وأنا

---

(١) قال عبد الرزاق بن همام الصنعاني وكان ينسب إلى التشيع: أفضل الشيخين بتفضيل على إياهما على نفسه؛ ولو لم يفضلهما ما فضلتهما؛ كفى بي ازدراء أن أحب علياً ثم أخالف قوله ـ نقله في تهذيب التهذيب.

(٢) الرياض النضرة. ونهاية الأرب.

(٣) مفتاح الأفكار.

إحدى نسائه في الجنة، وبه حصنني ربي من كل وضيع، وبه ميّز مؤمنكم من منافقكم، وفيَّ رخص الله لكم صعيد الأقواء[١] وابي ثاني اثنين الله ثالثهما، وأول من سمي صديقاً، مضى رسول الله ﷺ وهو عنه راض، وقد طوقه وَهْفَ الإمامة[٢]، ثم اضطرب حبل الدين فأخذ بطرفيه، وربّق لكم أثناءه[٣]، فوقذ النفاق (أي كسره) وغاض نبغ الردة (أي ما نبغ منها) وأطفأ ماحشت (أي أوقدت) يهود، وأنتم يومئذ جحظ العيون تنتظرون العدوة، وتستمعون الصيحة، فرأب الثأي (أي أصلح الفساد) وأوذم السقاء (أي شده) وامتاح من المهواة (البئر) واجتهر (استخرج) دُفُن الرواء (الماء الكثير) حتى أعطن الوارد، وأورد الصادر، وعلَّ الناهل فقبضه الله واطئاً على هام النفاق مذكياً نار الحرب للمشركين فانتظمت طاعتكم بحبله، فولى أمركم رجلاً مُرْعِياً إذا ركن إليه، بعيد ما بين اللابتين (أي واسع الصدر) عُرَكَة للأذاة بجنبه (أي يحتمل الأذى) صفوحاً عن أذاة الجاهلين، يقظان الليل في نصرة الإسلام[٤].

---

(١) الأقواء جمع قواء وهو القفر الخالي. تريد أنها كانت سبب رخصة التيمم، فقد روى البخاري عنها أنَّها قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش، انقطع عقد لي فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء. فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسوله الله قد نام. فقال: حبست رسول الله وليسوا على ماء وليس معهم ماء (قالت عائشة): فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله أية التيمم، فتيمموا؛ فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر (قالت) فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته.

(٢) أي القيام بها كأنَّها أرادت أمره بالصلاة بالناس في مرضه.

(٣) تريد أنَّه لما اضطرب الأمر يوم الردة أحاط به من جوانبه وضمه فلم يشذ منهم أحد والتربيق الشد في الرباق.

(٤) العقد الفريد والفائق ومفتاح الأفكار ومنتخب كنز العمال مع اختلاف يسير. وكل هذه المراجع ليست من كتب الصحاح، ولا تروي ما ترويه بالسند المتصل المحرّر.

أُسْرَةُ أَبِي بَكْر



أُسْرَةُ أَبِي بَكْر

١ ـ إخوته

ولد لأبي قُحافة: أبو بكر، وأُم فروة، وقريبة[1].

أم فروة:

أما أم فروة فتزوجها رجل من الأزد فولدت له جارية. ثم تزوجها تميم الداري[2] ثم تزوجها الأشعث بن قيس[3].

وذلك أن أبا بكر أتى بالأشعث بن قيس مغلولةً يده إلى عنقه بعث به زياد بن لبيد[4]، وكتب إلى أبي بكر رضي الله عنه: إنَّما أنزلناه على

---

(١) المعارف، قلت: وقد تقدم أنَّه ولد لأبي قحافة عتيق ومعتق ومعتيق، فمات الأخيران وبقي أبو بكر وهو عتيق، ولعلَّ ابن قتيبة إنما يعني من بقي له.

(٢) هو تميم بن أوس بن خارجة وقيل حارثة الداري كان نصرانياً وقدم المدينة فأسلم سنة تسع وكان راهب أهل عصره وعابد أهل فلسطين وهو أول من أسرج السراج في المسجد وأول من قص (أي وعظ) وذلك في عهد عمر رضي الله عنه، انتقل إلى الشام بعد قتل عثمان وسكن فلسطين وكان النبي ﷺ أقطعه قرية عينون. وكان كثير التهجد وله هيئة ولباس توفي ببيت جبرين وقبره فيها.

(٣) هو الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي وكان اسمه معدي كرب وإنما لقب بالأشعث، وفد على النبي ﷺ سنة عشر في سبعين راكباً من كندة وكان من ملوك كندة ثم ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر ثم أسلم وشهد اليرموك والقادسية وصفين مع علي رضي الله عنه ومات بعد قتله بأربعين ليلة وقيل مات سنة ٤٢ وله ٦٣ سنة.

(٤) هو زياد بن لبيد بن ثعلبة الأنصاري البياضي شهد العقبة وبدراً وكان عامل النبي ﷺ على =

حكمك، وقد بعثنا به إليك بأهله وماله فرأيك فيه.

فجعل أبو بكر رضي الله عنه يعدِّد عليه غدراته، وما فعل... وهو أمامه به الحديد، مغلولة يده إلى عنقه.

فقال له الأشعث: اعفُ عني بفضلك، واستبقني لحربك، وزوجني أختك. ففعل أبو بكر[1] فاخترط الأشعث سيفه ودخل سوق الإبل فجعل لا يرى جملاً ولا ناقة إلاَّ عرقبة، فصاح الناس: كفر الأشعث. فلما فرغ طرح سيفه وقال: إني والله ما كفرت ولكن زوجني هذا الرجل أخته، ولو كنا في بلادنا كانت وليمة غير هذه. يا أهل المدينة كلوا، ويا أهل الإبل تعالوا خذوا شرواها[2] وولدت محمداً وإسحق وحُبابة وقريبة. قال ابن سعد: إنَّ أمها هند بنت عتيك بن بجير ابن عبد بن قصي. وروى أنَّها كانت ممن بايع تحت الشجرة[3] وتقدم أنَّها هي التي ضربها عمر بالدِّرة حينما ناح النساء على أبي بكر.

قريبة:

وأما قريبة فكانت عند قيس بن سعد بن عُبادة[4] ولم تلد له شيئاً وهي شقيقة أُم فروة[5].

= حضرموت وولاه أبو بكر رضي الله عنه قتال أهل الردة من كندة. وتوفي أول أيام معاوية رضي الله عنهما.

(١) مناقل الدرر ومنتخب كنز العمال. وفي تاريخ الطبري أنه قال: وتردُّ عليّ زوجتي - وقد كان خطب أمَّ فروة مقدمه على رسول الله ﷺ - فزوجه وأخرها إلى أن يقدم الثانية.

(٢) الإصابة.

(٣) الاستيعاب وأسد الغابة.

(٤) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، أحد دهاة العرب ومن أهل الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والسخاء والشجاعة، وكان شريف قومه غير مدافَع. وفي صحيح البخاري أنه كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. شهد معه المشاهد ودفع يوم الفتح الراية له، ثم شهد فتح مصر، ثم كان أميرها لعليٍّ وكان معه، ثم مع ابنه الحسن رضي الله عنهما، ومات بالمدينة في آخر خلافة معاوية.

(٥) الإصابة. وفي المعارف: كانت عند سعد بن عبادة.

٢ ـ زوجاته

تزوج أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية: قتلة، وأم رومان. وفي الإسلام: أسماء وحبيبة.

قتلة:

وقيل قتيلة بنت عبد العزّي القرشية العامرية (من بني عامر بن لؤي) فولدت له عبد الله وأسماء واختلف في إسلامها.

أم رومان:

اختلف في اسمها فقيل زينب وقيل دعد بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس (من كنانة) واختلف في نسبها[١] وهي والدة عبد الرحمن وعائشة وكانت تحت عبدالله بن الحارث بن سخبرة[٢] بن جرثومة الأزدي وكان قد قدم بها مكة فحالف أبا بكر قبل الإسلام وتوفي عن أُم رومان بعد أن ولدت له الطفيل ثم خلف عليها أبو بكر. أسلمت قديماً وبايعت وهاجرت بعدما استقر المقام بأبي بكر في المدينة (وقد مرَّ خبر هجرتها)[٣].

وروى ابن سعد أنَّها توفيت في حياة النبي ﷺ سنة ست من الهجرة، فلما دليت في قبرها نزل ﷺ سنة ست من الهجرة، فلما دليت في قبرها نزل ﷺ في قبرها واستغفر لها وقال: اللهم لم يخف عليك ما لقيت أُم رومان فيك وفي رسولك، وقال النبي ﷺ: من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين فلينظر إلى أُم رُومان.

والصحيح أنَّها توفيت بعد ذلك[٤] فقد ذكرها البخاري في الأوسط

---

(١) تاريخ الطبري وقال في الإصابة: والخلاف في نسبها من عامر إلى كنانة لكن اتفقوا على أنَّها من بني فراس بن غنم بن مالك بن كنانة.

(٢) الإصابة وفي المعارف وابن سعد تحت الحارث بن سخبرة.

(٣) الإصابة.

(٤) انظر ترجمتها في الإصابة.

والصغير في فصل من مات في خلافة عثمان[1].

أسماء:

هي أسماء بنت عُميس بن معد بن الحارث بن تيم الخثعمية وهي أخت ميمونة بنت الحارث أم المؤمنين لأمها. وكانت قبله عند جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[2] أسلمت قبل دخول دار الأرقم بن أبي الأرقم وبايعت ثم هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فولدت له هناك محمداً وعبدالله وعوناً[3] ثم هاجرت إلى المدينة، فلما قتل جعفر تزوجها أبو بكر رضي الله عنه، وروى أن النبي ﷺ زوجه إياها يوم حنين[4] فولدت له محمداً، ثم مات عنها فتزوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فولدت له يحيى لا خلاف في ذلك[5].

ولما مات أبو بكر، أوصى أن تغسله (وقد مرَّ بيان ذلك).

وكان عمر رضي الله عنه يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء من ذلك ومن غيره.

ويقال إنَّه بلغها قتل ولدها محمد بمصر قامت إلى مسجد بيتها وكظمت غيظها، حتى شخب (سال) ثدياها دماً...[6].

---

(١) تهذيب التهذيب.

(٢) تاريخ الطبري والإصابة. وجعفر هو شقيق علي رضي الله عنهما وكان أسن منه بعشر سنين وأحد السابقين إلى الإسلام وخير الناس للمساكين، روى البخاري ومسلم أن النبي ﷺ قال له: أشبهت خلقي وخلقي. استشهد بمؤتة من أرض الشام مقبلاً غير مدبر مجاهداً للروم سنة ثمان وقد استوفى أربعين سنة بعد أن قطعت يداه ووجدوا في ما أقبل من جسمه بضعاً وتسعين بين طعنة ورمية وهو المعروف بالطيار وبذي الجناحين رضي الله عنه.

(٣) مناقل الدرر والإصابة.

(٤) الإصابة.

(٥) وذكر ابن سعد عن الواقدي أنها ولدت له عوناً ويحيى.

(٦) الإصابة.

حبيبة :

هي حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير الخزرجية. وكانت قد أسلمت وبايعت. توفي أبو بكر رضي الله عنه وهي حامل فولدت له بعد وفاته جارية سميت أُم كلثوم[١] وخلف على حبيبة بعد أبي بكر خُبيب بن إساف[٢].

٣ ـ أولاده

كان لأبي بكر رضي الله عنه من الولد ستة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات.

أما البنون فهم:

عبدالله :

هو أكبر أولاده الذكور. وأمه قُتيلة، وهو غلام شاب فطن ولما هاجر مع رسول الله ﷺ كان يأتيهما بأخبار قريش ثم خرج إليه بعياله[٣] (وقد مرَّ بيان ذلك)، شهد فتح مكة وحنيناً والطائف مع النبي ﷺ، وجرح بالطائف، رماه أبو محجن الثقفي بسهم[٤] فاندمل جرحه ثم انتقض فمات في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ ودفن بعد الظهر وصلَّى عليه أبوه، ونزل في قبره أخوه عبد الرحمن وعمر وطلحة بن عبيدالله، وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر[٥].

وقال أبو بكر لعائشة رضي الله عنهما: أتخافون أن تكونوا دفنتم عبدالله ابن أبي بكر وهو حيّ؟ فاسترجعت. فقال: استعيذي بالله.

---

(١) تاريخ الطبري والإصابة وغيرهما.

(٢) هو خبيب بن إساف ويقال يساف بن عنبة الأنصاري الأوسي تأخر إسلامه إلى أن خرج رسول الله ﷺ إلى بدر فلحقه في الطريق فأسلم وشهدها وما بعدها ومات في خلافة عمر وقيل عثمان رضي الله عنهم.

(٣) الإصابة.

(٤) في الإصابة أنَّ السهم لم يزل حتى قدم وفد الطائف فأراهم أبو بكر إياه وسألهم هل فيكم من يعرف هذا السهم؟ فقال سعيد بن عبيدالله بن أبي أسيد الثقفي أنا بريته ورشته، وأنا رميت به، فقال: الحمدلله، أكرم الله عبدالله بيدك ولم يهنك بيده.

(٥) المعارف والإصابة ونور الأبصار والرياض النضرة وغيرها.

وكان عبدالله قد تزوج عاتكة بنت زيد بن عمرو العدوية أخت سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين بالجنة وكانت امرأة لها جمال وكمال وتمام في عقلها ومنظرها وجزالة رأيها، وكان بها معجباً فشغلته عن أموره فقال له أبو بكر طلقها. فطلقها، ثم ندم فقال:

أعاتك لا أنساك ما ذرَّ شارق ... وما لاح نجم في السماء محلق
أعاتك قلبي كل يوم وليلة ... لديك بما تخفي النفوس معلق
لها خلق جَزْل ورأي ومنصبٌ ... وخلقٌ سويّ في الحياء ومنطق
ولم أَرَ مثلي طلق اليوم مثلها ... ولا مثلها في غير شيء تطلق

وله فيها غير هذا، فرَّق له أبو بكر وأمره بمراجعتها، فراجعها فمات وهي عنده، فرثته بقولها:

فلله عينا من رأي مثله فتى ... أكرّ وأحمى في الهياج وأصبرا
إذا شرعت فيه الأسنة خاضها ... إلى الموت حتى يترك الرمح أحمرا
فأقسمت لا تنفك عيني سخينة ... عليك ولا ينفك جلدي أغبرا
مدى الدهر ما غنت حمامة أيكةٍ ... وما طرد الليل الصباح المنورا

وقال لها عند موته: لك حائطي (أي بستاني) ولا تتزوجي بعدي. فأجابته إلى ذلك، فلما انقضت عدتها خطبها عمر (في قصة طويلة ذكرها البخاري في التاريخ)[1].

ولد عبدالله إسماعيل فهلك ولا عقب له[2].

---

(١) الإصابة. قلت: وهي في الأغاني وروضة المحبين، ومنهما زدنا ما ليس في الإصابة. وقد تزوجها بعد عمر الزبير وبعده الحسين بن علي رضي الله عنهم أجمعين وكلهم قتل عنها وورثته وكان ابن عمر يقول: من أراد الشهادة فليتزوج بعاتكة.

(٢) المعارف وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: وقد انقرض ولده وكان آخرهم إسماعيل ابن عبدالله بن بكر.

عبد الرحمن:

ويكنى أبا عبدالله، وقيل أبا محمد، أمه أُم رُومان، وهو شقيق عائشة رضي الله عنهما، شهد بدراً وأُحداً مع المشركين[١] فكان إذا أقبل على المسلمين دعا عليه أبو بكر وأُمه بالهلاك، وإذا أدبر دعا بالتوبة[٢]، وكان من الشجعان وكان رامياً حسن الرمي، له مواقف في الجاهلية والإسلام مشهورة، دعا إلى البراز يوم بدر، فقام إليه أبوه رضي الله عنه ليبارزه، فقال له رسول الله ﷺ: متعني بنفسك. ثم منَّ الله عليه فأسلم في هدنة الحديبية، وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن.

وشهد اليمامة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه فقتل سبعة من أكابرهم[٣] وهو الذي قتل محكَّم اليمامة ابن طفيل، رماه بسهم في نحره فقتله.

وشهد الجمل مع عائشة وكان أخوه محمد مع علي رضي الله عنهم.

ولما أرادوا البيعة ليزيد قال لهم عبد الرحمن: أجئتم بها هرقلية قُوقية (وقوق ملك من ملوك الروم) تبايعون لأبنائكم؟ كلما مات قيصر كان قيصر مكانه؟ لا نفعل والله أبداً[٤].

وأبي البيعة فبعث إليه معاوية بمائة ألف درهم، فردها وأبى أن يأخذها وقال: لا أبيع ديني بدنياي[٥].

وكان رجلاً صالحاً لم تجرب عليه كذبة، وفيه دُعابة، وقد نفله عمر بن

---

(١) المعارف.
(٢) المحاسن المجتمعة في الخلفاء الأربعة للصفوري نقلاً عن البرماوي.
(٣) المعارف.
(٤) الفائق والإصابة والأمالي للقالي مع اختلاف يسير.
(٥) معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، والإصابة.

الخطاب رضي الله عنه ليلى ابنة الجودي وكان أبوها عربياً من غسان أمير دمشق لأنه كان نزلها قبل فتح دمشق فأحبها وهام بها وعمل فيها الأشعار، من ذلك قوله:

تـذكـرت ليلى والسَّمـاوة بيننـا   فمـا لابنـة الجـودي ليلى ومـاليـا
وأنـي تـلاقيـهـا؟ بلى ولـعـلهـا   إنَّ النـاس حجواً قـابلاً أن تـوافيا

فلما نفله إياها آثرها على نسائه فلامته عائشة فلم يفد فيه، ثم إنَّه جفاها حتى شكته إلى عائشة فقالت: أفرطت في الأمرين، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها، فجهزها إلى أهلها[١].

وخرج إلى مكة قبل أن تتم البيعة ليزيد، فمات فجأة سنة **٥٣** بموضع على عشرة أميال من مكة، ويقال إنَّه مات في نومة نامها.

ولما بلغ عائشة موته ظعنت من المدينة حاجَّة حتى وقفت على قبره فبكت عليه، وتمثلت بقول متمم بن نُويرَة في أخيه مالـك:

وكنـا كنـدمـاني جَـذيمـة حقبـة   من الدهر حتى قيـل لن يتصدعـا
فلمـا تفـرقنـا كـأني ومـالكـاً   لـطول اجتمـاع لم نبت ليلةً معـا

ثم قالت: والله لو حضرتك لدفنتك حيث مت، ولو حضرتـك ما بكيتك[٢].

ثم ضربت على قبره فسطاطاً وارتحلت بعد أن وكلت به إنساناً، فمر به عبدالله ابن عمر رضي الله عنهما فقال: لمن هذا الفسطاط؟ فأخبروه فقال: يا غلام انزعه فإنه يظله عمله[٣].

---

(١) الإصابة وابن عساكر.
(٢) معالم الإيمان والإصابة.
(٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

وولد عبد الرحمن محمداً، وعبدالله، وحفصة.

فأما محمد بن عبد الرحمن فولد عبدالله بن محمد وله عقب يقال لهم: آل أبي عتيق من بين ولد أبي بكر، وذلك أنَّ عدة من ولد أبي بكر تفاضلوا، فقال أحدهم: أنا ابن الصديق، وقال الآخر: أنا ابن ثاني اثنين، وقال محمد: أنا ابن عتيق، فنسب إلى ذلك هو وولده إلى اليوم[1].

محمد:

ويكنى أبا القاسم، أمه أسماء بنت عُميس الخثعمية، ولدته بذي الْحُلَيفة (المسمَّاة اليوم آبار علي، وقد صارت حياً من أحياء المدينة) لخمس ليال بقين من ذي القعدة سنة عشر من الهجرة وهي شاخصة إلى الحج في حجة الوداع، فاستفتى أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ فأمرها أن تغتسل وترحل، ثم تُهلّ بالحج وتصنع ما يصنع الحاج، إلاَّ أنَّها لا تطوف بالبيت، فكانت سبباً لحكم شرعي إلى قيام الساعة رضي الله تعالى عنها. ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه تزوجها علي بن أبي طالب فنشأ محمد ولدها في حجر علي رضي الله تعالى عنهما، وكان معه يوم الجمل، وشهد معه صفين، وولاه عثمان مصر، وكتب له العهد فكان سبباً لاستشهاده، وولاه أيضاً علي رضي الله عنه مصر فكان قيس بن سعد بعد رجوعه من صفين، فدخلها سنة سبع وثلاثين من الهجرة، فأقام بها إلى أن بعث معاوية بن أبي سفيان عمرو بن العاص في جيوش أهل الشام، ومعهم معاوية بن خُديج[2] فاقتتلوا وانهزم

---

(١) المعارف، وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: والعدد في ولد عبد الرحمن منهم الطلحيون بنو طلحة بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبي بكر أكثرهم بادية لهم عدد وقوة.

(٢) هو معاوية بن خديج بن جفنة السكوني ولي غزو المغرب مراراً آخرها سنة خمسين فأصيبت عينه في إحداها وقيل أصيبت في غزوة الحبشة وشهد فتح مصر وكان محله بمصر عظيماً. روي أن عائشة رضي الله عنها سألت عنه فقالت: كيف كان أميركم في غزاتكم؟ قالوا: ما نقمنا عليه شيئاً وأثنوا عليه. فقالت: أستغفر الله إن كنت لأبغضه من أجل أنَّه قتل أخي، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: اللهم من رفق بأمتي فارفق به؛ ومن شق عليهم فاشقق عليه. مات سنة ٥٢.

محمد واختفى في بيت امرأة فأُخذ من بيتها وقتل، ودفن حيث قتل، فلما كان بعد سنة أتى غلامه فحفر قبره فلم يجد فيه إلاَّ الرأس، فأخرجه ودفنه بالمسجد تحت المنارة، وقيل في القبلة، وكان علي رضي الله عنه يثني عليه ويفضله، وكانت له عبادة واجتهاد. ولما بلغ عائشة قتله حزنت عليه جداً، وتولت تربية ولده القاسم فنشأ في حجرها فكان من أفضل أهل زمانه[1].

ولد محمد بن أبي بكر القاسم بن محمد لأم ولد، وكان فقيهاً بالحجاز فاضلاً وتوفي بقديد سنة ١٠٨، وولد القاسم بن محمد عبد الرحمن بن القاسم وأم فروة، وتزوج أُم فروة محمد بن علي بن محمد، وله عقب بالمدينة وليسوا بالكثير[2].

وأمَّا البنات فهن:

أسماء:

شقيقة عبدالله وهي أكبر بناته[3] (وقد مرَّ ذكرها) ولدت قبل الهجرة بسبع وعشرين سنة، وأسلمت قديماً بمكة وتزوجها الزبير بن العوام، وهاجرت وهي حامل منه بولده عبدالله، فوضعته بقباء، ؛ قالت: ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها، ثم تفل في فيه، فكان أول ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرّك عليه، وكان أول مولود ولد في الإسلام، وعاشت أسماء إلى أن ولي ابنها الخلافة، ثم إلى أن قتل، وماتت بعده بقليل، وكانت تلقب بذات النطاقين لما مرَّ في حديث الهجرة من ربطها سفرة رسول الله ﷺ بشق نطاقها.

قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك ولا شيء غير

---

(١) نور الأبصار، والإصابة، وأسد الغابة وابن خلكان.

(٢) المعارف، وقال المسعودي في التنبيه والإشراف: العقب لمحمد من القاسم بن محمد وكان أحد فقهاء المدينة ومن خيار التابعين، وعقبه قليل من ولده محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن القاسم بن محمد.

(٣) المعارف.

فرسه، فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤنته، وأسومه، وأدق النوى لناضحه، وأعلف وأستقي الماء وأخرز غربه (والغرب الدلـو العظيمـة من الجلد) وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبز فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكن نسوة صدق ـ وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ، (قالت): فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعاني ثم قال: أخ أخ. ليحملني خلفه، (قالت): فاستحيت أن أسير مع الرجال وذكرت الـزبير وغيرته ـ وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحيت فمضى، وجئت الزبير فأخبرته فقال: والله لحملك النوى أشد عليَّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليَّ أبو بكر بعد ذلك بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني[1].

قال يحيى بن يعلى التيمي[2]: دخلت مكة بعد أن قتل ابن الزبير فرأيته مصلوباً، ورأيت أُمه أسماء عجوزاً طُوالة مكفوفة، فدخلت حتى وقفت على الحجاج، فقالت: أما آن لهذا الراكب أن ينزل؟ قال: المنافق؟ قالت: والله ما كان منافقاً، وكان صوَّاماً قواماً قال: اذهبي فإنَّك عجوز قد خرفت! قالت: لا والله ما خرفت، قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: يخرج من ثقيف كذاب ومُبير. فأما الكذاب فرأيناه، وأما المُبير فأنت هو.

وكانت تصدع فتضع يدها على رأسها وتقول: بذنبي، وما يغفر الله أكثر. بلغت مائة سنة لم يسقط لها سنّ، ولم ينكر لها عقل.

وماتت بعد ابنها بعشرين يوماً، وقيل غير ذلك[3].

قـال ابن سعد: ولـدت أسماء للزبيـر عبدالله، وعـروة، والمنذر،

---

(١) مسند الإمام أحمد والإصابة.

(٢) هو أبو المحياة يحيى بن يعلى بن حرملة التيمي الكوفي ثقة مات سنة ١٨٠ وهو ابن ٩٦ سنة.

(٣) الإصابة.

وعاصماً، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأُم الحسن، وعائشة، وقال ابن حجر العسقلاني: وأكبر أولادها الذكور عبدالله، والنساء خديجة[1].

عائشة أم المؤمنين:

وتكنى أم عبدالله وأمها أم رومان ولدت بعد مبعث رسول الله ﷺ بأربع سنين أو خمس وكانت مسماة لجبير بن مطعم فخطبها النبي ﷺ. وذلك أنه لما ماتت خديجة[2] جاءت خولة بنت حكيم[3] فقالت: يا رسول الله! ألا تتزوج؟ قال: من؟ قالت: إن شئت بكراً وإن شئت ثيِّباً: فأما البكر فابنة أحب الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر، وأما الثيّب فسودة بنت زَمَعة قد آمنت بك، قال فاذكريها عليَّ.

(قالت): فأتيت أم رُومان فقلت: ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة! قالت: وما ذاك؟ قلت: رسول الله يذكر عائشة، قالت وددت، انتظري أبا بكر، فجاء فذكرت ذلك له، قال: أو تصلح له وهي ابنة أخيه؟

فرجعت فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: قولي له: أنت أخي وأنا أخوك في الإسلام، وابنتك تصلح لي. فرجعت وأخبرته بذلك، فقال أبو بكر لأم

---

(١) السمط الثمين في مناقب أمهات المؤمنين للمحب الطبري والإصابة.

(٢) هي خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية أولى أمهات المؤمنين وأول من صدقت بالبعثة مطلقاً وكانت تدعى قبل البعثة الطاهرة تزوجها النبي ﷺ قبل البعثة بـ ١٥ سنة وقيل أكثر ولها من العمر أربعون سنة وهي أسن منه بـ ١٥ سنة أيضاً وكانت موسرة سافر رسول الله ﷺ قبل البعثة في تجارتها إلى الشام فرجع بربح وافر ثم تزوجها فولدت له أولاده كلهم إلاَّ إبراهيم فإنَّ أمه مارية القبطية وكانت قبله عند أبي هالة التيمي ثم عتيق بن عائذ المخزومي وقيل العكس، وذكر المحب في كتاب السمط الثمين أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا ذكر خديجة لم يكن يسأم من ثناء عليها واستغفار لها. ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح وقيل قبل ذلك ونزل النبي ﷺ في حفرتها ولم تكن شرعت الصلاة على الجنائز.

(٣) هي خولة بنت حكيم بن أمية السلمية وكانت امرأة صالحة فاضلة تصوم النهار وتقوم الليل وهي من اللائي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ فقالت عائشة رضي الله عنها: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل؟ فأنزل الله تعالى: ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء﴾. فلما أرجاها النبي ﷺ تزوجها عثمان بن مظعون ويجوز أن يكون وقع ذلك منها بعد وفاته.

رُومان: إنَّ المطعم بن عدي قد كان ذكرها على ابنه، والله ما أخلف أبو بكر وعداً قط.

ثم أتى مطعماً وعنده امرأته أم الفتى، فقال: ما تقول في أمر هذه الجارية؟ فأقبل على امرأته فقال: ما تقولين؟ فأقبلت على أبي بكر فقالت: لعلنا إن أنكحنا هذا الصبي إليك تصبئه وتدخله في دينك الذي أنت عليه. فقال أبو بكر: ما تقول أنت؟ فقال: إنَّها تقول ما تسمع.

فقام أبو بكر رضي الله عنه وليس في نفسه شيء من الموعد، وقال لخولة: قولي لرسول الله ﷺ فليأت، فدعته، فجاء فملكها (أي تزوجها)(١).

وأصدقها فيما قاله ابن إسحق أربعمائة درهم(٢)، وكان زواجه بها بمكة في شوال سنة عشر من النبوَّة، قبل الهجرة بثلاث سنين ولها ست سنين، وأعرس بها في المدينة في شوال في السنة الأولى من الهجرة ولها تسع سنين(٣).

قالت عائشة رضي الله عنها:

تزوجني رسول الله ﷺ وأنا ابنة ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن الخزرج فوُعِكْتُ (أي حممت) فتمزق (تقطع) شعري، فوفي (أي كثر) جُميمة، فأتتني أمي أم رومان وإني لفي أُرجوحة ومعي صواحب لي، فصرخت بي فأتيتها لا أدري ما تريد بي! فأخذتني بيدي حتى وقفتني على باب الدار وإني لأنْهَج(٤) حتى سكن بعض نَفَسي، ثم أخذت شيئاً من ماء فمسحت به وجهي ورأسي، ثم أدخلتني الدار، فإذا نسوة من الأنصار في البيت، فقلن: على الخير والبركة، وعلى خير طائر.

---

(١) رواه أحمد بن أبي عاصم والطبراني وغيرهما عن عائشة ـ قاله الزرقاني.
(٢) قال الزرقاني: هو خلاف ما في مسلم عنها أنَّ صداقه ﷺ لأزواجه كان خمسمائة درهم وهي زيادة صحيحة فيجب قبولها.
(٣) شرح المواهب ومسند أحمد.
(٤) أي أتنفس نفساً عالياً.

فأسلمتني إليهن، فأصلحن من شأني فلم يَرُعني إلاَّ رسول الله ﷺ ضحىً فأسلمتني إليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين[١].

وكانت أحب نسائه إليه ﷺ، كما قال ﷺ لعمرو بـن العاص حين سأله أي النساء أحب إليك[٢] ومن حبه لها أنه كان يدور على نسائه ويختم بها، وأمر السيدة فاطمة بحبها، واختار الإقامة عندها أيام مرضه[٣] وقام لهـا ووضعت خـدها على منكبـه حتى تنظر إلى لعب الحبشـة بحرابهم في المسجد[٤] وأنه كَان يقبلها وهو صائم، وقوله لها: إني لأعلم إذا كنت عليَّ راضية وإذا كنت غضبى، قالت: بم؟ قال: إذا كنت راضية قلت: لا ورب محمد، وإن كنت غضبى قلت: لا ورب إبراهيم، قالت: صدقت ما أهجر إلاَّ اسمك[٥]. ومسابقته لها في سفر فسبقته، فلما حملت من اللحم سابقته فسبقها. فقال: يا عائشة! هذه بتلك[٦].

ودعاه جار له فارسي إلى طعام فقال: وهذه معي (لعائشة)، فقال الرجل: لا (وأشار له)، قال: وهذه معي، فقال: لا (وأشار له) قال: وهذه معي، قال: نعم[٧].

* * *

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالت:

---

(١) الصحيحان ومسند أحمد وغيرها واللفظ للبخاري. وقد ظهر من يطعن بهذا الخبر، ويتكلم فيه بلا علم، استشكالاً منهم لزواج بنت تسع، وقد رأيت خلال اشتغالي الطويل بالقضاء بنت تسع وهي أكبر جثة، وأكمل جسداً من بنت ست عشرة.

(٢) تقدم الحديث في فضائل أبي بكر.

(٣) شرح المواهب قال: وكلها في الصحيح.

(٤) رواه الترمذي، قال الزرقاني: وأصله في الصحيح.

(٥) البخاري ومسلم والنسائي. وذكره الغزي في المراح.

(٦) أبو داود والنسائي وذكره الغزي في كتابه (المراح في المزاح) طبع المطبعة العربية في دمشق.

(٧) رواه مسلم ونقله في شرح المواهب وفي السمط الثمين. والأخبار في ذلك مستفيضة. وفي كتاب «المراح في المزاح» كثير منها قلت: ولعل ذلك كان قبل الحجاب.

فضّلْتُ على نساء النبي ﷺ بعشر: لم ينكح بكراً قط غيري، ولا امرأة أبواها مهاجران غيري، وأنزل الله براءتي من السماء، وجاء جبريل بصورتي من السماء في حريرة، وكنت أغتسل وهو في إناء واحد ولم يكن يصنع ذلك بأحد من نسائه غيري، وكان يصلي وأنا معترضة بين يديه دون غيري، وكان ينزل عليه الوحي وهو معي ولم ينزل وهو مع غيري، وقبض وهو بين سحري ونحري (السحر الرئة والمراد بين ذراعيها)، وفي الليلة التي كان يدور عليّ فيها، ودفن في بيتي[1].

وكانت مدة مقامه معها ﷺ تسع سنين، ومات عنها ولها ثماني عشرة سنة[2].

وكانت فقيهة حتى قيل بأن ربع الأحكام الشرعية منقول عنها. أما حديث خذوا شطر دينكم عن الحميراء المذكور بالنهاية بلا عزو، وحديث خذوا ثلث دينكم من بيت الحميراء فلم يثبتا[3].

وكانت عالمة بأكثر العلوم. قال أبو موسى الأشعري[4]: ما أشكل علينا أصحابَ رسول الله ﷺ حديث قط فسألنا عنه عائشة إلاَّ وجدنا عندها منه

---

(١) نقله في شرح المواهب قال: وفي سنده عميس بن ميمون واهي الحديث كما في الإصابة لكن شواهده كثيرة وقد رواه ابن سعد أيضاً والطبراني برجال الصحيح، قلت: وأكثر هذه الخصال مروي على انفراده في الصحيح فنزول صورتها في الصحيحين وكونه لم ينكح بكراً غيرها وأن أبويها مهاجران، وأن الله أنزل براءاتها من السماء وأنه توفي في بيتها ودفن فيه، كل هذا من المتفق عليه.

(٢) المواهب اللدنية للقسطلاني وهو في الصحيحين وغيرهما..

(٣) شرح المواهب وشرح المشكاة وفي كتابي (رجال من التاريخ) فصل عنها رضي الله عنها.

(٤) هو عبد الله بن قيس الأشعري قيل إنّه قدم مكة قبل الهجرة فأسلم ثم هاجر إلى الحبشة ثم قدم المدينة واستعمله النبي ﷺ على زبيد وعدن واستعمله عمر رضي الله عنه على الكوفة واستخلفة على البصرة وهو فقههم وعلمهم وولي الكوفة زمن عثمان وفتح على يديه تستر وعدة أمصار وهو أحد الحكمين في صفين وكان حسن الصوت في القرآن. اختلف في وفاته فأقل ما قيل فيها سنة ٤٢ وأكثره سنة ٥٣ وما اشتهر عند المؤرخين من ضعف في رأيه، فقد نبّه ابن العربي في كتاب (العواصم من القواصم) إلى فساده.

علماً[1]. وقال عروة بن الزبير: ما رأيت أعلم بفقه ولا طب ولا شعر من عائشة رضي الله عنها[2].

وكانت كريمة قالت أم ذرة[3] أُتيتْ بمائة ألف ففرقتها وهي يومئذٍ صائمة فقلت لها: أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه، فقالت: لو كنت أذكرتني لفعلت.

روت عائشة عن رسول الله ﷺ الكثير الطيب. توفيت رضي الله عنها ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلون من رمضان سنة ٥٨ وقيل سنة ٥٩ ودفنت بالبقيع وصلّى عليها أبو هريرة[4].

أم كلثوم:

هي تابعية مات أبوها وهي حمل فولدت بعد وفاة أبيها[5] فخطبها عمر بن الخطاب إلى عائشة فأنعمت، وكرهت أم كلثوم، فاحتالت حتى أمسك عنها، وتزوجها طلحة بن عبيدالله فولدت له زكريا وعائشة، ثم قتل عنها، فتزوجها عبد الرحمن بن عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي أخو عمر بن أبي ربيعة الشاعر[6].

٤ ـ مواليه

بلال:

هو بلال بن رباح (وقد تقدم ذكره)، وأمه حمامة من مولّدي مكة كانت

---

(١) الترمذي.

(٢) الإصابة والسمط الثمين.

(٣) هي مولاة عائشة تابعية مدنية ثقة.

(٤) الإصابة والسمط الثمين.

(٥) الإصابة وغيرها.

(٦) المعارف.

لرجل من بني جُمح، فأسر فاشتراه أبو بكر رضي الله عنه بخمس أواق فأعتقه وكان يعذب في الله.

وشهد بلال بدراً والمشاهد كلها وهو أول من أذَّن لرسول الله ﷺ، فلما قبض رسول الله ﷺ أتى أبا بكر فاستأذنه إلى الشام فأذن له[١] فلم يزل مقيماً بها ولم يؤذّن بعد النبي ﷺ، فلما قدم عمر إلى الشام لقيه فأمره فأذن فبكى عمر والمسلمون. وكان ديوانه في خثعم فليس بالشام حبشي إلاَّ وديوانه في خثعم. وهلك هناك. قال الواقدي: كان بلال من مولدي السَّراة فيما بين اليمن والطائف، ويكنى أبا عبدالله، وكان رجلاً شديد الأدمة نحيفاً طُوالاً أحنى له شعر كثير خفيف العارضين به شمط كثير، وكان لا يغير شيبه فمات بدمشق سنة عشرين وهو ابن بضع وستين سنة[٢].

عامر بن فهيرة:

كان للطفيل بن الحارث أخي عائشة لأمها أم رومان، وأسلم عامر فاشتراه أبو بكر فأعتقه، وكان ممن يعذب في الله، (وقد تقدم أن أبا بكر أعتق سبعة) وكان عامر مع رسول الله ﷺ حين هاجر إلى المدينة يخدمه وشهد يوم بدر وبئر معونة فاستشهد يومئذٍ[٣].

أبو نافع:

مولى عبد الرحمن بن أبي بكر وكان مكثراً من المال وإياه يعني بهذا القول (بخت أبي نافع) وكان ينزل البصرة وله بها دار مشهورة وفيه يقول ابن مفرّغ الحميري[٤]:

---

(١) انظر وصيته إياه في باب الوصايا.

(٢) قلت: وقبره في تربة الباب الصغير معروف مشهور رضي الله عنه.

(٣) الإصابة وأسد الغابة.

(٤) هو يزيد بن زياد بن ربيعة الحميري شاعر غزل اتصل بمروان بن الحكم فأكرمه، ثم صحب عباد بن زياد بن أبي سفيان فأخذه معه إلى خراسان وقد ولي إمارتها، ثم هجاه فسجنه عباد، ثم انتقل إلى الشام وهجاه وأهله فحبسه عبيدالله بن زياد ثم سكن الكوفة إلى أن مات سنة =

سقى الله أرضاً لي وداراً تركتها إلى جنب داريْ معقل بن يسار[1]
أبو نافع جارٌ لها وابن برثن فيالك جاريْ ذلةٍ وصَغار

فقيل لأبي نافع: إنَّه هجاك، قال: فإذا هجاني أموت أو يموت ابني طلحة؟ قالوا: لا، قال: فلا أبالي[2].

مرة بن أبي عثمان:

مولى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما وكانت عائشة كتبت إلى زياد بن أبي سفيان[3] بالوصاة به وبدأت بذكر زياد في عنوان الكتاب فلما رأى أنها قدمته ونسبته إلى أبي سفيان سُرّ بذلك وأكرم مرة وألطفه، ثم أقطعه مائة جَريب على نهر الأُبُلَّة[4] بالبصرة، وأمر أن يحفر له نهر فنسب إليه وله عقب بالبصرة[5].

سليمان بن بلال:

من موالي القاسم وكان بربرياً جميلاً عاقلاً حسن الهيئة وكان يفتي وولي خراج المدينة، وكان ثقة كثير الحديث وتوفي بالمدينة سنة ١٧٢ وقيل سنة ١٧٧[6].

= ٦٩. وهو جد السيد الحميري الشاعر الشيعي المنحرف.

(١) وينسب إليه في البصرة محلَّة مشهورة يسمونها (ماركيل) وهو لفظ حرَّفه الإنكليز عن معقل.

(٢) المعارف.

(٣) هو زياد بن أبي سفيان ويقال له ابن أبيه. أمير من الدهاة القادة الفاتحين أسلم في عهد أبي بكر رضي الله عنه، وهو من أهل الطائف، ولد عام الهجرة ولم ير النبي ﷺ وكان قوي المعرفة جيد السياسة وافر العقل منسوباً إلى الجور في الحكم، وكان من شيعة علي رضي الله عنه وولاه إمرة القدس، فلما استلحقه معاوية صار عضده الأقوى وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق فلم يزل في ولايته إلى أن مات سنة ٥٣ وأخبار في التاريخ شهيرة وهو أحد رهاة العرب.

(٤) عدّه ياقوت أحد متنزهات الدنيا، وهو يسمى اليوم (أبو الخصيب).

(٥) معجم البلدان والمعارف.

(٦) تهذيب التهذيب والمعارف.

كثير بن عبيد التيمي:

أبو سعيد الكوفي، رضيع عائشة رضي الله عنها ذكره ابن حبان[١] في الثقات وله عنده حديث أنس: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك[٢].

شديد:

حاجبه ومولاه[٣] له إدراك للنبي ﷺ، وكان هو الذي أحضر عهد عمر بعد أبي بكر رضي الله عنهما فروى أحمد من طريق قيس بن أبي حازم قال: رأيت عمر بيده عسيب نخل يُجلس الناس يقول: اسمعوا وصية خليفة رسول الله ﷺ، فجاء مولي لأبي بكر يقال له شديد بصحيفة فقرأها على الناس. يقول أبو بكر: اسمعوا وأطيعوا لمن في هذه الصحيفة فوالله ما آلوكم. قال قيس: ثم رأيت عمر بعد ذلك قد صعد المنبر[٤].

سعد

ويقال سعيد والأول أشهر وأصح. أخرج عنه ابن ماجة وروى عنه الحسن البصري وأشار إليه الترمذي[٥] وكان يخدم النبي ﷺ وكان يعجبه خدمته فقال: يا أبا بكر أعتق سعداً، فقال: يا رسول الله مالنا ماهنٌ (خادم) غيره، فقال رسول الله ﷺ: أعتق سعداً، أتتك الرجال (يعني السبي)[٦].

---

(١) هو محمد بن حبان بن أحمد الحافظ أبو حاتم التميمي البستي إمام عصره صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها وكان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال. وكان على قضاء سمرقند زماناً وكان عالماً بالطب والنجوم وفنون العلوم ثقة نبيلاً فهماً، مات سنة ٤٥٣.

(٢) تهذيب التهذيب والإصابة.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي.

(٤) الإصابة.

(٥) تهذيب التهذيب والإصابة.

(٦) مسند أحمد.

أبو القاسم:

أبو القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه شهد خيبر ويقال اسمه القاسم والأول أصح له صحبة ورواية. ذكره البغوي في الصحابة وأخرج له حديثين ثم قال: لا أعرف للقاسم غير هذا[١].

سعد المدني:

مولى آل أبي بكر رضي الله عنه وهو غير الذي قبله. حكى عن ابن عمر وابن الزبير والقاسم بن محمد وعنه ابنه موسى وكلاهما مجهول[٢].

صفية:

وهي أم محمد بن سيرين طيبها ثلاث من أزواج النبي ﷺ ودعون لها، وحضر إملاكها ثمانية عشر بدرياً فيهم أبيّ بن كعب يدعو وهم يؤمنون[٣].

ومن مواليه:

سعد بن عبيد بن كثير[٤] وعمرو[٥].

---

(١) الاستيعاب وأسد الغابة والإصابة.
(٢) تهذيب التهذيب.
(٣) المعارف.
(٤) لسان الميزان.
(٥) تاريخ الطبري. انظر آخر كتاب إلى أهل نجران.

المأثور من كلام أبي بكر



المأثور من كلام أبي بكر

١ - خطبه

خطبته يوم وفاة رسول الله ﷺ:

دخل على النبي ﷺ بعد وفاته وهو مسجى بثوب فكشف عنه الثوب وقال: بأبي أنت طبت حيّاً وطبت ميتاً، وانقطع لموتك ما لم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة، فعظمت عن الصفة، وجللت عن البكاء، وخصصت حتى صرت مسلاة[١] وعَمَمْتَ حتى صرنا فيك سواء، ولولا أن موتك كان اختياراً منك[٢] لَجُدْنا لموتك بالنفوس، ولولا أنَّك نهيت عن البكاء[٣] لأنفدنا عليك ماء الشؤون، فأما ما نستطيع نفيه عنا، فكمد وإدناف يتخالفان ولا يبرحان اللهم فأبلغه عنا السلام، اذكرنا يا محمد عند ربك، ولنكن من بالك، فلولا ما خلفت من السكينة لم نُقم لما خلفت من الوحشة، اللهم أبلغ نبيك عنا، واحفظه فينا.

ثمَّ خرج إلى الناس وهم في شديد غمراتهم، وعظيم سكراتهم فخطب خطبة قال فيها:

---

(١) أي إنك مع ما خصك الله به من المزايا العظيمة والفضل الكبير، قد نزل بك الموت فصرت للعباد مسلاة عن المصيبة وصار لهم فيك أسوة حسنة.

(٢) يريد قول النبي ﷺ: لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخيّر.

(٣) أي عن النياحة أو عن رفع الصوت بالبكاء، أما مجرد البكاء الذي لا يحلل المصاب منعه فإن الشرع لم يَنْهَ عنه.

أشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، وأشهد أنَّ الكتاب كما نزل، وأنَّ الدين كما شرع، وأنَّ الحديث كما حدَّث، وأنَّ القول كما قال، وأنَّ الله هو الحق المبين (في كلام طويل).

ثم قال:

أيها الناس! من كان يعبد محمداً فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإنَّ الله حيٌّ لا يموت، وإنَّ الله قد تقدم إليكم في أمره، فلا تدعوه جزعاً، وإنَّ الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم، وقبضه إلى ثوابه، وخلَّف فيكم كتابه وسنة نبيه، فمن أخذ بهما عرف، ومن فرق بينهما أنكر، يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامِين بالقسط، ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم، فعالجوه بالذي تعجزونه، ولا تستنظروه فيلحق بكم[1].

من خطبته يوم السقيفة:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! نحن المهاجرون، أول الناس إسلاماً، وأكرمهم أحساباً، وأوسطهم داراً، وأحسنهم وجوهاً، وأكثر الناس ولادة في العرب، وأمسهم رحماً برسول الله، أسلمنا قبلكم، وقدمنا في القرآن عليكم، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَالسَّابِقُوْنَ الأَوَّلُوْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ وَالأَنْصَارِ الَّذِيْنَ اتَّبَعُوْهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار، إخواننا في الدين، وشركاؤنا في الفيء، وأنصارنا على العدو، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تدين العرب إلَّا لهذا الحي من قريش، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله[2].

وإنَّ هذا الأمر إن تطاولت له الخزرج لم تقصر عنه الأوس، وإن

---

(١) مفتاح الأفكار في النثر المختار، وزهر الآداب، وكلها من كتب الأدب لا من كتب الصحاح.
(٢) العقد الفريد وعيون الأخبار والبيان والتبيين.

تطاولت له الأوس لم تقصر عنه الخزرج، وقد كان بين الحيين قتلى لا تنسى، وجراح لا تداوى، فإن نعق منكم ناعق فقد جلس بين لحيي الأسد، يضغمه (يَعَضه) المهاجري ويجرحه الأنصاري[1].

رواية أخرى لها:

بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق، فدعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام، فأخذ الله بقلوبنا ونواصينا إلى ما دعا إليه، فكنا معشر المهاجرين أول الناس إسلاماً، ونحن عشيرته وأقاربه وذوو رحمه، ونحن أهل الخلافة، وأوسط الناس أنساباً في العرب، ولدتنا العرب كلها، فليس منهم قبيلة إلاَّ لقريش فيها ولادة، ولن تصلح إلاَّ لرجل من قريش، هم أصبح الناس وجوهاً، وأسلطهم ألسنة، وأفضلهم قولاً، فالناس لقريش تبع، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء[2].

رواية أخرى لها:

إنَّ الله بعث محمداً رسولاً إلى خلقه، وشهيداً على أُمته، ليعبدوا الله ويوحدوه، وهم يعبدون من دونه آلهة شتى، ويزعمون أنها لهم عنده شافعة، ولهم نافعة، وإنما هي حجر منحوت، وخشب منجور، ثم قرأ ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِ اللَّهِ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُوْلُوْنَ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَقَالُوا مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، فخص الله المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه على شدة أذى قومهم لهم وتكذيبهم إياهم، وكل الناس لهم مخالف، زارٍ عليهم، فلم يستوحشوا لقلة عددهم، وشنف (بغض) الناس لهم وإجماع قومهم عليهم، فهم أول من عبد الله في الأرض، وآمن بالله وبالرسول، وهم أولياؤه وعشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر من بعده ولا ينازعهم إلاَّ ظالم، وأنتم يا معشر الأنصار من لا ينكر فضلهم في الدين، ولا سابقتهم العظيمة

(١) مفتاح الأفكار.
(٢) الرياض النضرة عن ابن شهاب الزهري.

في الإسلام، رضيكم الله أنصاراً لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء، وأنتم الوزراء، لا تفتاتون بمشورة، ولا تقضى دونكم الأمور[1].

من خطبة له بعد البيعة:

حمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس! إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن رأيتموني على حق فأعينوني، وإن رأيتموني على باطل فسدِّدوني. أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم، ألا أن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم[2].

من خطبة له بعد البيعة أيضاً:

أيها الناس! إني شيخ كبير، فاستعملوا عليكم من هو أقوى مني على هذا الأمر وأضبط له، فضحكوا وقالوا: لا تفعل أنت صاحب رسول الله ﷺ في المواطن، وأحق بهذا الأمر. فقال: أما إذا أبيتم فأحسنوا طاعتي ومؤازرتي، واعلموا أنما أنا بشر ومعي شيطان يعتريني، فإذا رأيتموني غضبت فقوموا عني، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، واتبعوني ما استقمت، فإن زِغت فقوموني[3].

---

(١) تاريخ الطبري. قلت: وهذا الاختلاف في الروايات إنما كان سببه أن القوم كانوا يستمعون الخطبة فيعلق في ذهن كل منهم بعض منها فيرويه.

(٢) العقد الفريد، وإعجاز القرآن، وعيون الأخبار وتهذيب الكامل وتاريخ الطبري، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد وسيرة ابن هشام. قلت: هذه بمثابة خطبة العرش التي يلقيها اليوم الملوك ورؤساء الحكومات يبينون بها خطتهم التي يسيرون عليها، وسنتهم التي يتبعونها ثم لا يفعلون ولكن أبا بكر رضي الله عنه قال وفعل.

(٣) مختصر الموافقة للزمخشري.

خطبة له حين أشار عليه الصحابة بترك الجهاد:

أيها الناس! أئن كثر أعداؤكم، وقلَّ عددكم، ركب الشيطان منكم هذا المركب؟ والله ليظهرن الله هذا الدين على الأديان كلها، ولو كره المشركون، قوله الحق، ووعده الصدق، ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ و ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِيْنَ﴾.

أيها الناس! لو أفردت من جمعكم لجاهدتم في اللّه حق جهاده، حتى أبلغ من نفسي عذراً أو أقتل مقتلاً، والله أيها الناس لو منعـوني عقالاً لجاهدتهم عليه، واستعنت بالله خير معين[1].

خطبة له حين الردَّة:

حمد اللّه وأثنى عليه ثم قال:

الحمد للّه الذي هدى فكفى، وأعطى فأغنى، إنَّ اللّه بعث محمداً ﷺ والإسلام غريب طريد، ثم رثَّ حبله، وخلق عهده، وضل أهله عنه، ومقت الله أهل الكتاب فلا يعطيهم خيراً لخير عندهم، ولا يصرف عنهم شراً لشر عندهم، قد غيروا كتابهم وأتوا عليه ما ليس فيه، والعرب الأميون صفر من الله لا يعبدونه ولا يدعونه، أجهدهم عيشاً، وأضلهم ديناً، ثم جمعهم الله بمحمد ﷺ وجعلهم الأمة الوسطى، ونصرهم بمن اتبعهم على غيرهم، حتى قبض الله نبيهم، فركب منهم الشيطان مركبه الذي أنزله الله عنه،

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. (إلى أن قال): وإن من حولكم من العرب منعوا شاتهم وبعيرهم، ولن يكونوا في دينهم وإن رجعوا إليه أزهد منهم يومهم هذا، ولن تكونوا في دينكم أقوى منكم يومكم هذا على ما فقدتم من بركة

---

(١) مفتاح الأفكار.

نبيكم ﷺ، ولقد وكلكم إلى المجلى الذي وجده ضالاً فهداه، وعائلاً فأغناه، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها. والله لا أدع القتال على أمر الله حتى ينجز الله وعده، ويوفي لنا عهده، ويقتل من قتل منا شهيداً من أهل الجنة، ويبقى من بقي منا خليفته ووريثه في أرضه، قضاء الله الحق، وقوله الذي لا خلف له. ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِيْنَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ﴾ . . . ثم نزل[1].

خطبته في ندب الناس لفتح الشام:

حمد الله وأثنى عليه وصلَّى على رسوله وقال:

ألا إن لكل أمر جوامع، فمن بلغها فهي حسبه، ومن عمل لله كفاه الله. عليكم بالجد والقصد، فإن القصد أبلغ. ألا إنَّه لا دين لأحد لا إيمان له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا عمل لمن لا نية له. ألا وإن في كتاب الله من الثواب على الجهاد في سبيل الله، لما ينبغي للمسلم أن يحب أن يُخص به. هي التجارة التي دلَّ الله عليها، ونجى بها من الخزي، وألحق بها الكرامة في الدنيا والآخرة[2].

خطبة له في الأنصار:

جاء مال من البحرين، فساوى فيه بين الناس، فغضب الأنصار وقالوا له: فضِّلنا. فقال أبو بكر: صدقتم إن أردتم أن أُفضلكم صار ما عملتموه للدنيا، وإن صبرتم كان ذلك لله عز وجل. فقالوا: والله ما عملنا إلَّا لله تعالى. وانصرفوا، فرقي أبو بكر المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى على النبي ﷺ ثم قال: يا معشر الأنصار! إن شئتم أن تقولوا: إنا آويناكم في ظلالنا، وشاطرناكم في أموالنا، ونصرناكم بأنفسنا، قلتم. وإن لكم من

---

(١) تهذيب ابن عساكر.

(٢) تاريخ الطبري.

الفضل مالاً يحصيه العدد، وإن طال به الأمد، فنحن وأنتم كما قال طُفَيل الغَنَوي[1].

جزى الله عنا جعفراً حين أزلقت بنا نعلنا في الواطئين فزلّتِ
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا تلاقى الذي لاقوه منا لملّت
هم أسكنونا في ظلال بيوتهم ظلال بيوت أدفأت وأظلّتِ[2]

خطبة له في الوعظ:

الحمد لله، أحمده وأستعينه وأستغفره، وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي بالله، بالهدى، وأعوذ به من الضلالة والردى، ومن الشك والعمى، ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، يُعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون. إلى الناس كافة رحمة لهم وحجة عليهم، والنسا حينئذٍ على شر حال، في ظلمات الجاهلية، دينهم بدعة، ودعوتهم فِرْية، فأعز الله الدين بمحمد ﷺ، وألف بين قلوبكم أيها المؤمنون ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

---

(١) هو طفيل بن عوف بن كعب (من بني غني) شاعر جاهلي فحل من الشجعان وهو أوصف العرب للخيل وربما سمي طفيل الخيل لذلك. عاصر النابغة الجعدي وزهير بن أبي سلمى ومات في حدود سنة ١٣ قبل الهجرة.

(٢) زهر الآداب ومفتاح الأفكار ورواها البلاذري ويحيى بن آدم القرشي في كتاب الخراج على غير هذه الصيغة، قال:
إنَّ رسول الله ﷺ لما ظهر على بني النضير قال للأنصار إن إخوانكم من المهاجرين ليس لهم أموال، فإن شئتم قسمت هذه وأموالكم بينكم وبينهم جميعاً، وإن شئتم أمسكتم أموالكم وقسمت هذه فيهم خاصة، فقالوا: لا، بل نقسم هذه فيهم، واقسم لهم من أموالنا ما شئت، فنزلت آية ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ وقال أبو بكر ما قال مع اختلاف فيه عما رويناه هنا يسير.

تَهْتَدُوْنَ﴾ فأطيعوا الله ورسوله، فإنَّه قال عز وجل: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾.

أما بعد أيها الناس: إني أوصيكم بتقوى الله العظيم في كل أمر وعلى كل حال، ولزوم الحق فيما أحببتم وكرهتم، فإنَّه ليس فيما دون الصدق من الحديث خير، من يكذب يفجر، ومن يفجر يَهلك، وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من التراب، وإلى التراب يعود؟ هو اليوم حي وغداً ميت، فاعملوا وعدوا أنفسكم في الموتى، وما أُشكل عليكم فردوا علمه إلى الله، وقدموا لأنفسكم خيراً تجدوه محضراً، فإنَّه قال عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنَّه لا بد من لقاء ربكم، والجزاء بأعمالكم صغيرها وكبيرها إلَّا ما غفر الله إنَّه غفور رحيم، فأنفسَكم أنفسكم والمستعان الله ولا حول ولا قوة إلَّا بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾.

اللهم صلِّ على محمد عبدك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك. وزكنا بالصلاة عليه. وألحقنا به. واحشرنا في زمرته وأوردنا حوضه. اللهم أعنا على طاعتك. وانصرنا على عدوك[١].

خطبة له في الترغيب والترهيب:

أما بعد! فإني أوصيكم بتقوى الله. وأن تثنوا عليه بما هو أهله. وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة. وتجمعوا الإلحاف بالمسألة. فإنَّ الله تعالى أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُوْنَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَبَا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِيْنَ﴾ ثم أعلموا عباد الله أنَّ الله تعالى قد أرتهن بحقه أنفسكم وأخذ على ذلك مواثيقكم. واشترى منكم القليل الفاني بالكثير

---

(١) العقد الفريد.

الباقي. وهذا كتاب الله فيكم. لا تفني عجائبه ولا يطفأ نوره. فصدقوا قوله. وانتصحوا كتابه. واستبصروا فيه ليوم الظلمة. فإنَّما خلقكم للعبادة. ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون.

ثم اعلموا عباد الله أنكم تغدون وتروحون في أجل قد غُيِّب عنكم علمُه. فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل الله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلاَّ بالله، فسابقوا في مهل آجالكم قبل أن تنقضي آجالكم، فيردكم إلى أسوأ أعمالكم، فإن أقواماً جعلوا آجالهم لغيرهم ونسوا أنفسهم، فأنهاكم أن تكونوا أمثالهم الوحا الوحا، النَّجا النجا (أي العجلة والسرعة)، إن وراءكم طالباً حثيثاً أمره، سريعاً سيره[1].

خطبة له في الوعظ:

الحمد لله رب العالمين، أحمده وأستعينه، أسأله الكرامة فيما بعد الموت فإنَّه قد دنا أجلي وآجالكم، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيّاً وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِيْنَ﴾ ومن يطع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضلَّ ضلالاً مبيناً.

أوصيكم بتقوى الله والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم وهداكم به، فإن جوامع هدى الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم، فإنَّه من يطع الله وأولي الأمر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد أفلح وأدى الذي عليه من الحق، وإياكم واتباع الهوى فقد أفلح من حفظ من اتباع الهوى والطمع والغضب وإياكم والفخر، وما فخر من خلق من تراب ثم إلى التراب يعود ثم يأكله الدود، ثم هو اليوم حي وغداً ميت، فاعملوا يوماً بيوم وساعة بساعة، وتوقوا دعاء المظلوم، وعدوا أنفسكم في الموتى. واصبروا فإنَّ العمل كله بالصبر، واحذروا فالحذر ينفع. واعملوا فالعمل يقبل.

(١) الحلية، وابن عساكر، والعقد، وعيون الأخبار.

واحذروا ما حذركم الله من عذابه. وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته. وافهموا وتفهموا. واتقوا وتوقوا. فإنَّ الله قد بين لكم ما أهلك به من كان قبلكم وما نجا به من قبلكم. قد بين لكم في كتابه حلاله وحرامه. وما يحب من الأعمال وما يكره. فإني لا آلوكم ونفسي نصحاً، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلاَّ بالله.

أوصيكم بالله لفقركم وفاقتكم أن تتقوه. وأن تثنوا عليه بما هو أهله. وأن تستغفروه إنَّه كان غفاراً: واعلموا أنَّكم ما أخلصتم لله من أعمالكم. فربَّكُم أطعتم. وحظكم حفظتم واغتبطتم. وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بين أيديكم. تستوفوا لسلفكم وتعطوا جرايتكم حين فقركم وحاجتكم إليها. ثم تفكروا عباد الله فيمن كان قبلكم: أين كانوا أمس وأين هم اليوم؟ أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؟ قد نُسوا ونسى ذكرهم ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ وهم في ظلمات القبور. ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً﴾ وأين من تعرفون من إخوانكم وصحابتكم. قد مضوا وقد وردوا على ما قدّموا. فأقاموا عليه وخلوا في الشقاء أو في السعادة فيما بعد الموت. إنَّ الله ليس له شريك وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً. ولا يصرف عنه سوءاً إلاَّ بطاعته واتباع أمره، فإنَّه لا خير في خيرٍ بعده النار، ولا شر في شرٍّ بعده الجنة.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، وصلوا على نبيكم ﷺ(١).

خطبة له في الزهد:

حمد الله وأثنى عليه ثم قال:

إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك: فرفع الناس رؤوسهم. ثم قال: ما لكم يا معشر الناس! إنكم لطعَّانون عجلون، إن من الملوك من إذا ملك زهده الله فيما في يده، ورغّبه فيما في يدي غيره، وانتقصه شطر أجله،

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر وحلية الأولياء، وهذه الكتب كلها وأمثالها لا تصلح للاعتماد عليها.

وأشرب قلبه الإشفاق، فهو يحسد على القليل، ويتسخط الكثير، ويسأم الرخاء. وتنقطع عنه لذة البهاء، لا يستعمل العبرة، ولا يسكن إلى الثقة. فهو كالدرهم القسي (الزائف). والسراب الخادع، جذل الظاهر حزين الباطن، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره. وضحا ظلّه (أي مات). حاسبه الله فأشد حسابه. وأقل عفوه. ألا إن الفقراء هم المرحومون. وخير الملوك من آمن بالله. وحكم بكتاب الله. وسنة نبيه ﷺ. وإنكم اليوم على خلافة نبوّة ومفرق محجة. وسترون بعدي ملكاً عضوضاً (أي فيه استبداد) وأمة شعاعاً (متفرقة) ودماً مُفَاحاً (مراقاً). فإن كانت للباطل نزوة. ولأهل الحق جولة. يعفو لها الأثر. وتموت السنن. فالزموا المساجد واستشيروا القرآن. والزموا الجماعة. وليكن الإبرام بعد التشاور. والصفقة بعد طول التناظر[1].

من خطبة له:

وكان يقول في خطبته: أين الوِضاء الحسنة وجوههم. المعجبون بشبابهم؟ أين الملوك الذين بنوا المدائن. وحصّنوها بالحيطان؟ أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب؟ قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور. الوحا الوحا. النَّجاء النَّجاء[2].

من خطبة له:

وخطب الناس يوماً فقال: يا معشر المسلمين! استحيوا من الله عز وجل. فوالذي نفسي بيده إني لأظلُّ - حين أذهب إلى الغائط في الفضاء - متقنعاً بثوبي استحياء من ربي عز وجل[3].

ومن خطبة له:

عن أوسط[4] قال: قدمت المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ بسنة فألفيت

(١) زهر الآداب والعقد وصبح الأعشى والبيان والتبيين.

(٢) حلية الأولياء، وظاهر من أسلوب هذه الخطب (والله أعلم) أنها موضوعة مصنوعة.

(٣) حلية الأولياء. وفي روضة العقلاء لابن حبان نحوها.

(٤) هو أوسط بن إسماعيل بن أوسط ويقال أوسط بن عامر وقيل ابن عمرو البجلي الحمصي أدرك =

أبا بكر يخطب الناس فقال: قام فينا رسول الله ﷺ عام الأول فخنقته العبرة ثلاث مرار ثم قال: سلوا الله المعافاة فإنَّه لم يؤت أحدٌ مثل يقين بعد معافاة، ولا أشد من ريبة بعد كفر. وعليكم بالصدق فإنَّه يهدي إلى البر. وهما في الجنة. وإياكم والكذب فإنَّه يهدي إلى الفجور وهما في النار (وزاد في رواية) ولا تحاسدوا. ولا تباغضوا. ولا تقاطعوا ولا تدابروا. وكونوا إخواناً كما أمركم الله تعالى[1].

وقد مضى في هذا الكتاب عدد من خطبه، فانظرها في مواضعها.

٢ ـ كتبه

كتابه لأهل الردَّة:

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ إلى من بلغه كتابي هذا من عامة وخاصة. أقام على إسلامه أو رجع عنه:

سلام على من اتبع الهدى. ولم يرجع بعد الهدى إلى الضلالة والعمى. فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاَّ هو. وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، نقرّ بما جاء به، ونكفر من أبي ونجاهده. (أما بعد) فإنَّ الله تعالى أرسل محمداً بالحق من عنده، إلى خلقه بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، لينذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين. فهدى الله بالحق من أجاب إليه، وضرب رسول الله ﷺ بإذنه من أدبر عنه، حتى صار إلى الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم توفى الله رسوله ﷺ وقد نفذ أمر الله، ونصح لأمته، وقضى الذي عليه، وكان الله قد

= النبي ﷺ ولم يره وسكن دمشق وكانت داره بها عند الباب الشرقي وتولى إمرة حمص من قبل يزيد وكان ثقة قليل الحديث توفي سنة ٧٩.

(١) مسند الإمام أحمد وابن عساكر والإصابة وقال: أخرجه ابن ماجة وغيره بسند صحيح.

بين له ذلك. ولأهل الإسلام، في الكتاب الذي أنزل، فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُوْنَ﴾ وقال: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَئِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُوْنَ﴾ وقال للمؤمنين: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَئِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ فمن كان يعبد محمداً، فإنَّ محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله وحده لا شريك له، فإنَّ الله له بالمرصاد، حي قيوم لا يموت ولا تأخذه سنة ولا نوم، حافظ لأمره منتقم من عدوه بحزبه.

وإني أُوصيكم بتقوى الله، وحظكم ونصيبكم من الله، وما جاء به نبيكم ﷺ، وأن تهتدوا بهديه، وأن تعتصموا بدين الله فإن كلّ من لم يهده الله ضال وكل من لم يعافه مبتلي، وكل من لم يعنه الله مخذول، فمن هداه الله كان مهتدياً، ومن أضلَّه الله كان ضالاً ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلَ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُرْشِداً﴾ ولم يقبل منه في الدنيا عمل حتى يقربه، ولم يقبل منه في الآخرة صرف ولا عدل (أي توبة ولا فدية. وقيل نافلة ولا فريضة). وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه بعد أن أقر بالإسلام وعمل به اغتراراً بالله، وجهالة بأمره، وإجابة للشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيْسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّته أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِيْنَ بَدَلاً﴾ وقال جلَّ ذكره: ﴿إِنَّ الشَّيطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾. وإني بعثت إليكم خالد بن الوليد في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وأمرته أن لا يقاتل أحداً ولا يقتله، حتى يدعوه إلى داعية الله، فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً قبل منه، وأعانه عليه. ومن أبى أمرت أن يقاتله على ذلك. ثم لا يبقى على أحد منهم قدر عليه. وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة وأن يسبي النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلاَّ الإسلام، فمن آمن فهو خير له ومن تركه فلن يعجز الله، وقد أمرت رسولي أن يقرأ كتابي في كل مجمع لكم، والداعية

الأذان، فإذا أذَّن المسلمون فأذِّنوا كفّوا عنهم، وإن لم يؤذنوا فاسألوهم ما عليهم، فإن أبوا عاجلوهم، وإن أقرّوا قبل منهم، وحملهم على ما ينبغي لهم[١].

كتابه إلى المهاجر بن أبي أمية:

لما قبض رسول الله ﷺ سمع بموته نساء من كندة وحضرموت، فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف، فقال رجل منهم:

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته ... أن البغايا رُمن أي مرام
أظهرن من موت النبي شماتة ... وخضبن أيديهن بالعُلام
فاقطع هديت أكُفَّهن بصارمٍ ... كالبرق أومض من متون غمام[٢]

فرُفعت امرأتان (منهن) إلى المهاجر بن أبي أمية[٣] وكان أميراً على اليمامة كانت قد غنت إحداهما بشتم النبي ﷺ فقطع يدها ونزع ثنيتها، وغنت الأخرى بهجاء المسلمين فقطع يدها، ونزع ثنيتها، فكتب إليه أبو بكر رضي الله عنه:

بلغني الذي فعلت بالمرأة التي تغنت بشتم النبي ﷺ، فلولا ما سبقتني فيه لأمرتك بقتلها، لأن حد الأنبياء ليس يشبه الحدود، فمن تعاطى ذلك من مسلم أو مرتد أو معاهد فهو محارب غادر، أما التي تغنت بهجاء المسلمين، فإن كانت ممن يدعي الإسلام فأدب وتعزير دون المثلة، وإن كانت ذميّة فلعمري لما صفحت عنه من الشرك أعظم، ولو كنت تقدمت إليك في مثل

(١) تاريخ الطبري وابن خلدون ومفتاح الأفكار.

(٢) عيون الأخبار.

(٣) هو المهاجر بن أبي أمية واسمه حذيفة ويقال سهيل بن المغيرة بن عبدالله المخزومي شقيق أم المؤمنين أم سلمة شهد بدراً مع المشركين ثم أسلم وولاه رسول الله ﷺ على صدقات كندة والصدف (وهو مخلاف باليمن) ثم بعثه أبو بكر رضي الله عنه إلى قتال المرتدين باليمن وله فيه أثر كبير. وهو الذي فتح حصن النجير بحضرموت.

هذا (أي لو أمرتك أمراً سابقاً) لبلغت منك مكروهاً، فاقبل الدَّعة وإياك والمثلة في الناس فإنَّها مأثم ومنفرة إلَّا في قصاص[1].

كتاب آخر إلى المهاجر:

إذا جاءكم كتابي هذا ولم تظفروا، فإن ظفرتم بالقوم فاقتلوا المقاتلة، واسبوا الذريَّة إن أخذتموهم عَنوة، أو ينزلوا على حكمي، وإن جرى بينكم صلح قبل ذلك فعلي أن تخرجوهم من ديارهم، فإني أكره أن أقرَّ أقواماً فعلوا فعلهم في منازلهم، ليعلموا أن قد أساءوا، وليذوقوا وبـال بعض الذي أتوا[2].

كتابه إلى أهل نجران:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من عبدالله أبي بكر خليفة محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران، أجارهم من جنده ونفسه وأجاز لهم ذمة محمد ﷺ إلَّا ما رجع عنه محمد رسول الله ﷺ بأمر الله عزَّ وجل في أرضهم وأرض العرب ألَّا يسكن بها دينان، أجارهم على أنفسهم بعد ذلك وملّتهم وسائر أموالهم وحاشيتهم وعاديتهم وغائبهم وشاهدهم وأسقفهم ورهبانهم وبِيَعهم حيثما وقعت وعلى ما ملكت أيديهم من قليل أو كثير عليهم ما عليهم فإذا أدوه فلا يحشرون ولا يعشرون ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، لهم بكل ما كتب لهم رسول الله ﷺ وعلى ما في هذا الكتاب من ذمة محمد رسول الله ﷺ وجوار المسلمين، وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق. شهد المسور بن عمرو وعمرو مولى أبي بكر[3].

كتابه إلى أهل اليمن:

لما اجتمع الناس لغزو الشام خرج أبو بكر ذات يوم ومعه رجال من

---

(١) تاريخ الطبري والسيوطي وشرح الشفاء. قلت: تأمل شدته في عقابها مسلمة، ولينه معها ذمية، وأعجب بعد من قائل يقول: إنَّ الإسلام دين التعصب والشدة على غير من اتبعه...

(٢ و٣) تاريخ الطبري.

الصحابة حتى انتهى إلى عسكرهم فرأى عدَّة حسنة، ولكنه لم يرض عدتها للروم فقال لأصحابه: ما ترون في هؤلاء إن أرسلتهم إلى الشام في هذه العدة؟ فقال عمر رضي الله عنه: ما أرضى هذه العدة لجموع بني الأصفر.

فقال لأصحابه ماذا ترون أنتم؟

فقالوا: نحن نرى ما رأى عمر. فقال: ألا أكتب كتاباً إلى أهل اليمن ندعوهم به إلى الجهاد، ونرغبهم في ثوابه؟ فرأى ذلك جميع أصحابه وقالوا: نعم ما رأيت، افعل، فكتب.

بسم الله الرحمن الرحيم من خليفة رسول الله إلى من قريء عليه كتابي هذا من المؤمنين والمسلمين من أهل اليمن، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلاَّ هو، أما بعد فإن الله كتب على المؤمنين الجهاد وأمرهم أن ينفروا خفافاً وثقالاً، ويجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، والجهاد فريضة مفروضة والثواب عند الله عظيم، وقد استنفرنا المسلمين إلى جهاد الروم بالشام، وقد سارعوا إلى ذلك، وقد حسنت بذلك نيتهم وعظمت حسبتهم، فسارعوا عباد الله إلى ما سارعوا إليه، ولتحسن نيتكم فيه فإنَّكم إلى إحدى الحسنيين: إمَّا الشهادة وإما الفتح والغنيمة، فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يرض من عباده بالقول دون العمل، ولا يزال الجهاد لأهل عدوانه حتى يدينوا بدين الحق ويقروا بحكم الكتاب حفظ الله لكم دينكم، وهدى قلوبكم، وزكى أعمالكم، ورزقكم أجر المجاهدين الصابرين[1].

كتابه بشأن الداريين:

كان من خبر الداريين أن تميماً الداري سأل رسول الله ﷺ إذا فتح الله عليه الشام أن يهب له بعض القرى ففعل وكتب له كتاباً، فلما ولي أبو بكر كتب لهم كتاباً، وكتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنهما:

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

بسم الله الرحمن الرحيم.

من أبي بكر إلى أبي عبيدة بن الجراح، سلام عليكم، فإني أحمد الله الذي لا إله إلاَّ هو.

(أما بعد) فمن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليمنع من الفساد في قرى الداريين، وإن كان أهلها قد جلوا عنها وأراد الداريون أن يزرعوها فعلوا، فإذا رجع أهلها إليها فهي لهم وأحق بهم والسلام عليكم[1].

كتابه إلى عمرو بن العاص:

بسم الله الرحمن الرحيم.

(أما بعد) إني كنت قد رددتك إلى العمل الذي كان رسول الله ﷺ ولاّكه مرة وسمَّاه لك أخرى مبعثك إلى عمان، إنجازاً لمواعيد رسول الله ﷺ، فقد وليته ثم وليته، وقد أحببت - أبا عبدالله - أن أفرغك لما هو خير لك في حياتك ومعادك منه، إلاَّ أن يكون الذي أنت فيه أحب إليك[2].

كتابه إلى أبي عبيدة:

أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه تيسر عدوكم لمواقعتكم وما كتب به إليهم ملكهم من عِدَته إياهم أن يمدُّهم من الجنود بما تضيق به الأرض الفضاء، ولعمر الله لقد أصبحت الأرض ضيقة عليهم برحبها، وأيم الله ما أنا بيائس أن تزيلوه عن مكانه الذي هو به عاجلاً إن شاء الله تعالى، فبثَّ خيلك في القرى والسواد، وضيِّق عليهم بقطع الميرة، ولا تحاصر المدائن حتى يأتيك أمري، فإن ناهدوك فانهض إليهم واستعن بالله عليهم، فإنَّهم ليس يأتيهم مدد إلاَّ مددناكم بمثله أو ضعفه، وليس بكم بحمد الله قلَّة ولا ذلَّة، ولا أعرفنّ ما جبنتم عنهم، فإنَّ الله فاتح لكم ومظهركم على عدوِّكم،

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٢) الخميس للديار بكري.

ومعزّكم بالنصر، وملتمس منكم الشكر لينظر كيف تعملون، وجاءك عمرو (ابن العاص) فأوصيك به خيراً فقد أوصيته ألّا يضيع لك حقّاً والسلام عليكم[١].

كتابه إليه أيضاً:

كتب إليه أبو عبيدة رضي الله عنهما يخبره بأن الروم اجتمعوا بأنطاكية، فأجابه بهذا الكتاب:

(أما بعد) فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر هرقل ملك الروم، فأما منزله بأنطاكية فهزيمة له ولأصحابه، وفتح من الله عليك وعلى المسلمين، وأما حشده أهل مملكته وجمعه لكم الجموع فإن ذلك ما قد كنا وكنتم تعلمون أنه سيكون منهم، ما كان من قوم أن يدعوا سلطانهم ويخرجوا من مملكتهم بغير قتال، ولقد علمت والحمد لله أن قد غزاهم رجال كثير من المسلمين يحبون الموت، حب عدوهم الحياة، يحتسبون من الله في قتالهم الأجر العظيم، ويحبون الجهاد في سبيل الله أشد من حبهم أبكار نسائهم، وعقائل أموالهم. الرجل منهم عند الهيج خير من ألف رجل من المشركين. فالقهم بجندك ولا تستوحش لمن غاب عنك من المسلمين فإنّ الله تعالى ذكرُه معك، وأنا مع ذلك ممدّك بالرجال بعد الرجال، حتى تكتفي ولا تريد أن تزداد والسلام عليكم[٢].

كتابه إلى يزيد بن أبي سفيان:

(أما بعد) فلقد بلغني كتابك تذكر فيه تحوُّل ملك الروم إلى أنطاكية وإلقاء الله الرعب في قلبه من جموع المسلمين، فإنّ الله تبارك وتعالى وله الحمد قد نصرنا ونحن مع رسول الله ﷺ بالرّعب، وأيدنا بملائكته الكرام، وإن ذلك الدين الذي نصرنا الله فيه بالرعب هو هذا الدين الذي ندعو الناس

---

(١) الخميس.

(٢) الخميس للديار بكري.

إليه اليوم، فوربك لا يجعل الله المسلمين كالمجرمين، ولا من يشهد أنه لا إلّه غيره كمن يعبد آلهة أخرى ويدين بعبادة آلهة شتّى، فإذا لقيتهم فانبذ إليهم بمن معك، وقاتلهم فإنَّ الله لن يخذلك، وقد نبأنا الله أنَّ الفئة القليلة منا تغلب الفئة الكثيرة بإذن الله وأنا مع ما هنالك ممدّكم بالرجال في أثر الرجال حتى تكتفوا ولا تحتاجوا إلى زيادة إنسان إن شاء الله والسلام[1].

وانظر أيضاً كتاب سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه تأليف عمر رضا كحالة ص ٦١ و٨١ و١٢٦ و١٢٧ و٢١٦ و٢٣٣ فإن في كل منها كتاباً من أبي بكر رضي الله عنه.

٣ ـ وصاياه

وصيته عكرمة:

قال لعكرمة[2] حين وجهه إلى عمان: يا عكرمة! سر على بركة الله، ولا تنزل على مستأمن، ولا تؤمنن على حق مسلم، وأهدر الكفر بعضه ببعض، وقدم النذر بين يديك، ومهما قلت إني فاعل فافعله، ولا تجعل قولك لغواً في عقوبة ولا عفو، ولا ترج إذا أُمِّنت، ولا تخافنَّ إذا خوفت، ولكن انظر متى تقول وما تقول، ولا تعدنّ معصية بأكثر من عقوبتها، فإن فعلت أثمت، وإن تركت كذبت، ولا تؤمنن شريفاً دون أن يكفل بأهله، ولا تكفلن ضعيفاً أكثر من نفسه، واتق الله، وإذا لقيت فاصبر[3].

---

(١) الخميس للديار بكري.

(٢) هو عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله ﷺ، ثم أسلم عام الفتح وخرج إلى المدينة ثم إلى قتال أهل الردة وكان من صالحي المسلمين، ثم سار إلى الشام مجاهداً أيام أبي بكر رضي الله عنه فأبلى البلاء الحسن ومات شهيداً في وقعة اليرموك كما أشرنا إليه في حاشية ص ٣١، ذكر السيد الكتاني في كتابه التراتيب الإدارية أن النبي ﷺ كان إذا نظر إلى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قرأ ﴿تخرج الحي من الميت﴾ لأنهما من خيار الصحابة وأبواهما عدوان لله ورسوله.

(٣) عيون الأخبار.

وصيته بلالاً:

جاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال: يا خليفة رسول الله! إن كنت إنما أعتقتني لله عز وجل لأملك نفسي وأتصرف فيما ينفعني، فخلِّ سبيلي حتى أجاهد في سبيل ربي، فإنَّ الجهاد أحب إليَّ من المقام.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فإن الله شهيد أني لم أعتقك إلاَّ له، وأني لا أريد منك جزاءً ولا شكوراً، فهذه الأرض ذات الطول والعرض فاسلك أي فجاجها أحببت. فقال: كأنك أيها الصديق عتبت عليَّ في مقالتي ووجدت في نفسك منها؟ قال: لا والله ما وجدت في نفسي من ذلك، وإني لا أحب أنَّ تدع هواك لهواي ما دعاك هواك إلى طاعة ربك، قال: فإن شئت أقمت معك.

قال أبو بكر: أما إذا هواك في الجهاد فلم أكن لآمرك بالمقام، وإنما أردتك للأذان، ولأجدن لفراقك وحشة يا بلال، ولا بد من التفرق فرقة لا التقاء بعدها حتى يوم البعث، فاعمل صالحاً يا بلال، وليكن زادك من الدنيا ما يذكرك الله ما حييت، ويحسن لك به الثواب إذا توفيت.

فقال له بلال: جزاك الله من وليّ نعمةٍ ومن أخ في الإسلام خيراً، فوالله ما أمرك لنا بالصبر على الحق والمداومة على العمل بالطاعة ببدع، وما كنت لأؤذن لأحد بعد النبي ﷺ[1]:

وصيته عمرو بن العاص والوليد بن عقبة:

شيع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة[2] مبعثهما على الصدقة، وأوصى كل واحد منهما بوصية واحدة:

---

(١) الخميس للديار بكري.

(٢) هو الوليد بن عقبة بن أبي معيط أحد رجال قريش ظرفاً وحلماً وشجاعة وأدباً كان شاعراً وهو أخو عثمان رضي الله عنه لأمه. أسلم يوم الفتح وبعثه رسول الله ﷺ على صدقات بني المصطلق ثم ولاه عمر صدقات بني تغلب وولاه عثمان الكوفة بعد سعد ثمَّ عزله وحده على الشراب وحبسه وأعزل الفتنة من بعد ومات سنة ٦١.

اتق الله في السر والعلانية، فإنّه ﴿مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾، فإن تقوى الله خير ما تواصي به عباد الله، إنك في سبيل من سبل الله لا يسعك فيه الإدهان (المداهنة) والتفريط والغفلة عما فيه قوام دينكم، وعصمة أمركم، فلا تَنِ ولا تفتر[1].

وصيته يزيد بن أبي سفيان:

ووصى يزيد بن أبي سفيان[2] حين وجهه لفتح الشام فقال:

إني قد وليتك لأبلوك وأجرِّبك وأُخرِّجك، فإن أحسنت رددتك إلى عملك وزدتك، وإن أشأت عزلتك، فعليك بتقوى الله فإنّه يرى من باطنك مثل الذي يرى من ظاهرك، وإن أولى الناس بالله أشدهم تولياً له، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً إليه بعمله، وقد وليتك عمل خالد (يعني ابن سعيد بن العاص) فإياك وعُبِّيَّةَ الجاهلية (أي كبرها وفخرها) فإنَّ الله يبغضها ويبغض أهلها، وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم، وأبدأهم بالخير، وعدهم إياه، وإذا وعظتهم فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضاً، وأصلح نفسك يصلح لك الناس، وصلِّ الصلوات لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها، وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لُبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به، ولا تريِّثهم فيروا خللك ويعلموا علمك، وأنزلهم في ثروة عسكرك، وامنع مَن قِبَلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك لعلانيتك فيختلط أمرك، وإذا استشرت

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) هو يزيد بن أبي سفيان القرشي الأموي أمير الشام وأخو الخليفة معاوية. كان من فضلاء الصحابة. أسلم يوم الفتح واستعمله رسول الله ﷺ على صدقات بني فراس وكانوا أخواله وكان أفضل أولاد أبي سفيان ويقال له يزيد الخير. أمره أبو بكر رضي الله عنه على جيش وسيره إلى الشام ثم أمره عمر على فلسطين ثم على دمشق فمات في طاعون عمواس سنة ١٨ ولم يعقب وقيل تأخر موته إلى سنة ١٩ بعد أن افتتح قيسارية رضي الله عنه.

فاصدق الحديث تصدق المشورة، ولا تَخزُنْ عن المشير خبرك فتؤتي من قبل نفسك، وأسمر بالليل في أصحابك تأتك الأخبار، وتنكشف عندك الأستار، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك. وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك، فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط، وأعقب بينهم بالليل، واجعل النوبة الأولى أكثر من الأخيرة فإنَّها أيسرها لقربها من النهار، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تَلِجَّنَّ فيها ولا تسرع إليها ولا تَخْذُلْهَا مدقعاً (أي لا تجبنن أمام تنفيذها). ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم، ولا تجالس العباثين، وجالس أهل الصدق والوفاء، وأصدق اللقاء، ولا تجبن فيجبن النَاس، واجتنب الغلول (الخيانة) فإنَّه يقرب الفقر ويدفع النصر، وستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له[1].

قلت: وقد وضع أبو بكر رضي الله عنه في هذه الوصية القصيرة أساس السياسة الحكيمة، وأقام فيها عمود الحكم العادل في الحكومة القوية، وجمع فيها قواعد السياسة والحرب، حتى لو أن شارحاً شرحها، لكان له من شرحها كتاب يحوي كل ما يحتاج إليه الوالي والقائد... وينصف العدالة والفضيلة من ماكيافلي الذي صنع كتاب الأمير، وجمع فيه ما يحتاج إليه الوالي والقائد، ولكن كتاب ماكيافلي دستور الوالي الأوروبي، وكتاب أبي بكر دستور الوالي المسلم، والإسلام مذ كان دين العدل والفضيلة وملاكه تقوى الله، والعدل في عباد الله، وليس للمسلم أن يأخذ بمقالة ماكيافلي الذي أجاز للأمير أن يقتل الفضيلة ويدوس على رفاتها ليصل إلى غايته!

هذا هو فرق ما بيننا وبين أوروبا وهذا ما جاءت به بديهة أبي بكر في وصيته لعكرمة، وذلك ما جاءت به أناة ماكيافلي وتفكيره.

---

(١) تاريخ ابن الأثير.

وصيته إياه أيضاً:

عن يزيد بن أبي سفيان قال: قال لي أبو بكر رضي الله عنهما حين بعثني إلى الشام: يا يزيد! إن لك قرابة عسيت أن تُؤْثرهم بالإمارة، وذلك أكبر ما أخاف عليك، فإنَّ رسول الله ﷺ قال: من ولي من أمر المسلمين شيئاً فأمّر عليهم أحداً محاباة فعليه لعنة الله، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً حتى يدخله جهنم، ومن أعطى أحداً حمى الله فق دانتهك في حمى الله شيئاً بغير حقه فعليه لعنة الله، أو قال تبرأت منه ذمة الله عز وجل[١].

وصيته قيس بن مكشوح:

أوصى أبو بكر أبا عبيدة رضي الله عنهما بقيس بن مكشوح[٢] فقال له: قد صحبك رجل عظيم الشرف فارس من فرسان العرب لا أظن له عظيم حسبة، ولا كثير نية في الجهاد، وليس للمسلمين غنى عن مشورته ورأيه وبأسه في الحرب، فَأَدْنِهِ وألطِفه وأرِه أنك غير مستغنٍ عنه ولا مستهين بأمره، فإنَّك تستخرج منه بذلك نصيحته لك وجهده على عدوك.

ثم دعا قيساً فقال له:

إني بعثتك مع أبي عبيدة الأمين الذي إذا ظُلم كظم، وإذا أُسيء إليه غفر، وإذا قُطِع وصل، رحيم بالمؤمنين، شديد على الكافرين، فلا تعصيَنَّ له أمراً، ولا تخالفنَّ له رأياً، فإنه لن يأمرك إلَّا بخير، وقد أمرته أن يسمع

---

(١) مسند الإمام أحمد.

(٢) هو قيس بن المكشوح المرادي، والمكشوح لقب لأبيه لقب به لأنه ضرب على كشحه أو كوي واختلف في اسم المكشوح ونسبه وكان قيس فارساً شجاعاً شاعراً وهو ابن أخت عمرو بن معدي كرب وكانا متباعدين وكان ممن ارتد عن الإسلام باليمن ثم رجع إلى الإسلام وهاجر وشهد الفتوح وله آثار صالحة في القادسية وفي فتح نهاوند وغيرها قالوا: وقتل مع علي رضي الله عنه.

منك، ولا تأمره إلّا بتقوى الله، فقد كنا نسمع أنك شريف بئيس (قوي) مجرِّب، وذلك في زمان الشرك والجاهلية الجهلاء، فاجعل بأسك وشدتك ونجدتك اليوم في الإسلام على من كفر بالله وعبد غيره، فقد جعل فيه الأجر العظيم والعز للمسلمين. فقال: إن بقيت ولقيت فسيبلغك من حيطتي على المسلم وجهدي على الكافر ما يسرّك ويرضيك.

فقال له أبو بكر رضي الله عنه: افعل ذلك[1]

وصيته رافعاً الطائي:

قال رافع الطائي[2]: صحبت أبا بكر في غزاة، فقلت: يا أبا بكر! أوصني ولا تطوِّل عليَّ فأنسى، فقال: يرحمك الله يرحمك الله، بارك الله عليك، بارك الله عليك، أقم الصلاة المكتوبة لوقتها، وأدّ زكاة مالك طيبةً بها نفسك وصُمْ رمضان، وحج البيت، ولا تكوننَّ أميراً.

قلت: إنَّه ليخيَّل إليَّ أن أمراءكم اليوم خياركم.

قال: إنَّ هذه الإمارة اليوم يسيرة، وقد أوشكت أن تفشو وتكثر، حتى ينالها من ليس لها بأهل، وإنه من يكُ أميراً فإنَّه من أطول الناس حساباً، وأغلظهم عذاباً، ومن لا يكن أميراً فإنَّه من أيسر الناس حساباً، وأهونهم عذاباً، لأن الأمراء أقرب من ظلم المؤمنين، ومن يظلم المؤمنين فإنَّه يخفر

---

(١) تاريخ الخميس. ولما بلغ أبا بكر مبارزته البطريقين بالجابية قال: صدق قيس ووفي وبر.

(٢) هو رافع بن عمرو يقال عميرة بن جابر وقيل هو رافع بن أبي رافع السنبسي الوائلي الطائي له صحبة كان لصاً في الجاهلية يعمد إلى بيض النعام فيجعل فيه الماء ويَخْبَؤُه في المفاوز، فلما أسلم كان دليلاً للمسلمين وهو دليلهم في غزوة ذات السلاسل وهي الغزوة التي صحب فيها أبا بكر، والحديث مفصل في ترجمته في تهذيب ابن عساكر. وكان دليل خالد حين توجه من العراق إلى الشام والقصة مفصلة في كتاب سيف الله خالد بن الوليد ومنهم من قال بل ذلك غيره وخطأهم في هذا الحافظ ابن حجر وقال: إنه واحد اختلف في اسم أبيه. وكان يغذي أهل ثلاثة مساجد يسقيهم الحيس (شيء يتخذ من التمر) وما له إلّا قميص واحد. مات في آخر خلافة عمر رضي الله عنه.

الله، هم جيران الله، وهم عوَّاذ الله، والله إن أحدكم لتصاب شاة جاره، أو بعير جاره، فيبيت وارم العضل يقول: شاة جاري وبعير جاري... فإنَّ الله أحق أن يغضب لجيرانه.

وسألته بعد ذلك لما ولي عما قيل من بيعتهم.

فقال وهو يحدثني عما تكلمت به الأنصار، وما كلمهم به عمر بن الخطاب، وما ذكرهم من إمامته إياهم بأمر رسول الله ﷺ في مرضه:

فبايعوني لذلك وقبلنا منهم، وتخوفنا أن تكون فتنة تكون بعدها ردَّة[1].

وصيته سلمان:

قال سلمان: أتيت أبا بكر فقلت: اعهد إليَّ، فقال:

يا سلمان! اتّق الله، واعلم أنَّه ستكون فتوح فلا أُعْرِفَن ما كان حظك منها، ما جعلته في بطنك، أو ألقيته على ظهرك. واعلم أنه من صلَّى الصلوات الخمس، فإنَّه يصبح في ذمة الله تعالى، فلا تقتلن أحداً من أهل ذمة الله، فتخفر الله في ذمته، فيكبك الله في النار على وجهك[2].

عهده إلى قواده في حروب الردَّة:

هذا عهد من أبي بكر خليفة رسول الله ﷺ (لفلان) حين بعثه فيمن بعثه لقتال من رجع عن الإسلام وعهد إليه أن يتقي الله ما استطاع في أمره كله سره وعلانيته، وأمره بالجد في أمر الله ومجاهدة من تولى عنه، ورجع عن الإسلام إلى أماني الشيطان بعد أن يعذر إليهم فيدعوهم بداعية الإسلام، فإن أجابوه أمسك عنهم، وإن لم يجيبوه شنَّ غارته عليهم حتى يقرُّوا له، ثم ينبئهم بالذي عليهم والذي لهم، فيأخذ ما عليهم ويعطيهم الذي لهم، لا ينظرهم ولا يرد المسلمين عن قتال عدوهم، فمن أجاب إلى أمر الله عز وجل

---

(١) الرياض النضرة، وتاريخ الخلفاء للسيوطي وقال: خرجه أحمد.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر، والسيوطي عن أحمد في الزهد.

وأقر له قبل ذلك منه وأعانه عليه بالمعروف، وإنما يقاتل من كفر بالله على الإقرار بما جاء من عند الله، فإذا أجاب الدعوة لم يكن عليه سبيل وكان الله حسيبه بعد فيما استسر به، ومن لم يجب داعية الله قتل وقوتل حيث كان وحيث بلغ مراغمة لا يقبل من أحد شيئاً أعطاه إلاَّ الإسلام. فمن أجابه وأقر قبل منه وعلمه، ومن أبى قاتله، فإن أظهره الله عليه قتل منهم كل قتلة بالسلاح والنيران، ثم قسم ما أفاء الله عليه إلاَّ الخمس فإنَّه يبلغناه، وأن يمنع أصحابه العجلة والفساد وأن لا يدخل فيهم حشواً حتى يعرفهم ويعلم ما هم لا يكونوا عيوناً ولئلّا يؤتي المسلمون من قبلهم، وأن يقتصد بالمسلمين ويرفق بهم في السير والمنزل ويتفقدهم ولا يعجل بعضهم عن بعض، ويستوصي بالمسلمين في حسن الصحبة ولين القول[1].

وصيته عائشة رضي الله عنهما:

دخلت عائشة على أبيها رضي الله عنهما في مرضه الذي توفي فيه وطلبت إليه وهي حزينة كئيبة أن يعهد بالأمر، فرفع رأسه إليها وقال:

يا أمه! هذا يوم يجلى لي عن غطائي وأعاين جزائي، إنْ فرحاً فدائم وإن ترحاً فمقيم. إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعة، وكان الخذل تفريطاً، فشهيدي الله ما كان يقيلني إياه، تبلغت بصفحتهم، وتعلَّلت بِدرّة لِقحْتَهم، وأقمت صلابي معهم في إدامتهم، لا مختالاً أشِراً، ولا مكاثراً بطراً، لم أَعْدُ سدّ الجوعة وَوَرْيَ العورة وَقُوَاتَةَ القوام (أي القوت الضروري) حاضري الله من طوى ممعض، تهفو منه الأحشاء وتجب له الأمعاء، واضطررت إلى ذاك الْبَرص (الشيء القليل) إلى المعتب الآجن، وإذا أنا مت فردّي إليهم صفحتهم ولقحتهم وعبدهم ورحاهم ودثارة ما فوقي اتقيت به أذى البرد، ودثارة ما تحتي اتقيت نزّ الأرض كان حشوها قطع السعف[2].

---

(١) تاريخ الطبري.

(٢) مفتاح الأفكار.

وصيته عمر رضي الله عنهما:

إني مستخلفك من بعدي وموصيك بتقوى الله، إنَّ لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وعملاً بالنهار لا يقبله بالليل، وإنه لا تقبل نافلة حتى تؤدي الفريضة، فإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلَّا الحق أن يكون ثقيلاً، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وخفته عليهم، وحق لميزان لا يوضع فيه إلَّا الباطل أن يكون خفيفاً، إنَّ الله عز وجل ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم، فإذا ذكرتهم قلت إني أخاف ألَّا أكون من هؤلاء. وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ولم يذكر حسناتهم، فإذا ذكرتهم قلت: إني لأرجو ألَّا أكون من هؤلاء. وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكون المؤمن راغباً راهباً. ولا يتمنى على الله غير الحق ولا يلقي بيده إلى التهلكة.

فإذا حفظت وصيتي فلا يكن غائب أحب إليك من الموت وهو آتيك وإذا ضيعت وصيتي فلا يكن غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجز الله[1] يا عمر! أبغضك مبغض وأحبك محب وقدماً يبغض الخير ويحب الشر. فقال عمر: لا حاجة لي فيها (يعني الإمارة) فقال له: ولكنَّ لها بك حاجة يا بن الخطاب، إني إنما أستخلفك نظراً لما خلفت ورائي. قد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى إن كنا لنهدي لأهله فضل ما يأتينا منه، ورأيتني وصحبتي، وإنما اتبعت أثر من كان قبلي، والله ما نمت فحلمت، ولا توهمت فسهوت، وإني لعلى السبيل ما زغت. إن أول ما أحذرك يا عمر نفسك، إن لكل نفس شهوة فإذا أعطيتها تمادت في غيرها، واحذر هؤلاء النفر من أصحاب رسول الله فإنَّهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أجوافهم وأحب كل امرىء منهم نفسه، وإن لهم لحيرة عند زلة

---

(١) البيان والتبيين وابن الأثير والعقد الفريد ووصايا العلماء عند حضور الموت.

واحد منهم، فإياك أن تكونه فإنَّهم لن يزالوا خائفين لك فَرِقين منك ما زلت خائفاً من الله وفَرِقته، ولك مستقمين ما استقامت طريقتك. وهذه وصيتي وأقرأ السلام عليك[1].

وانظر وصيته لخالد في كتاب سيف الله خالد بن الوليد ص ٥٣.

٤ ـ فقر من كلامه

والذي نفسي بيده. ما أخذتها (يعني الخلافة) رغبة فيها، ولا إرادة استئثار على أحد من المسلمين، ولا حرصت عليها يوماً ولا ليلة قط، ولا سألتها الله عز وجل سراً ولا علانية، ولقد تقلدت أمراً عظيماً لا طاقة لي به، إلّا أن يعينني الله عز وجل[2].

طوبى لمن مات في النَّأْنَأة (أي في بدء الإسلام حين كان ضعيفاً قبل أن يكثر أنصاره)[3].

كن حِلْس بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة، أو منيّة قاضيـة.

يقبض الصالحون الأوَّل فالأوَّل، حتى يبقى من الناس حُثالة كحثالة التمر والشعير، لا يبالي الله بهم[4].

إياكم والكذب فإنَّ الكذب مجانب للإيمان[5].

إنَّ المسلم ليؤجر في كل شيء حتى في النكبة، وانقطاع شِسعه (أي سير نعله)، والبضاعة تكون في كمه فيفقدها فيفزع لها فيجدها في غَبْنه.

---

(١) الخراج لأبي يوسف.

(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر.

(٣) الفائق للزمخشري.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٥) مسند الإمام أحمد.

ربما قال الشاعر الكلمة من الحكمة[1].

احرص على الموت توهب لك الحياة[2].

كثير القول ينسى بعضه بعضاً، وإنما لك ما وعي عنك.

أكيس الكيس التقوى، وأحمق الحمق الفجور، وأصدق الصدق الأمانة، وأكذب الكذب الخيانة[3].

الحبّ والبغض يُتوارثان[4].

إن البلاء موكل بالمنطق[5].

ثلاث من كنَّ فيه كن عليه: البغى، والنكث، والمكر.

ذلّ قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة.

لا تكتم المستشار خبراً فتؤتي من قبل نفسك.

خير الخصلتين لك أبغضهما إليك[6].

إني لأبغض أهل البيت ينفقون رزق الأيام في اليوم[7].

سلوا الله العفو والعافية والمعافاة، واعلموا أنَّ الصبر نصف الإيمان، واليقين الإمان كله[8].

قيل لأبي بكر رضي الله عنه: هل شربت الخمر في الجاهلية؟ قال:

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي.

(٢) عيون الأخبار.

(٣) حلية الأولياء، وتهذيب تاريخ ابن عساكر، وطبقات الشعراني. وكلها مما لا يعتمد في النقل عليه.

(٤) العقد الفريد.

(٥) مجمع الأمثال والفائق.

(٦) نهاية الأرب للنويري.

(٧) البخلاء للجاحظ.

(٨) الفائق للزمخشري وقال: والمعافاة أن يعفو الرجل عن الناس ويعفوا عنه فلا يكون يوم القيامة قصاص، وقيل هي من العافية وذلك أن يعافيك الله من الناس ويعافيهم منك.

أعوذ بالله. فقيل له: فلم؟ قال: كنت أصون عرضي، وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيعاً في عقله ومروءته. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدق أبو بكر (مرتين)(١).

ونظر إلى رجل يبيع ثوباً فقال له: أتبيع الثوب؟ قال لا. عافاك الله! قال: لقد علمتم لو تتعلمون، قل: لا، وعافاك الله(٢).

قال له رجل: لأسبنك سباً يدخل معك قبرك، قال: معك والله يدخل لا معي(٣).

وقال: والله إن عمر لأحب الناس إليَّ، ثم قال: كيف قلت؟ قالت عائشة رضي الله عنها: قلت والله إن عمر لأحي الناس إليَّ. فقال: اللهم أعزَّ، والولد أَلْوَط (أي ألصق بالقلب وأحب)(٤).

وقضى بعاصم(٥) بن عمر رضي الله عنهما لأم عاصم، وقال لعمر: ريحها وشمها ولطفها خيرٌ له منك(٦).

ومرَّ بابنه عبد الرحمن وهو يماظّ (ينازغ) جاراً له فقال: لا تماظ جارك فإنَّه يبقى ويذهب الناس(٧).

وغضب من رجل فاشتد غضبه، فقال له أبو بَرْزة الأسلمي: أضرب عنقه، فقال للقائل: ويلك! ما هي لأحد بعد رسول الله(٨).

---

(١) منتخب كنز العمال وتهذيب تاريخ ابن عساكر.
(٢) العقد الفريد.
(٣) الكامل للمبرد.
(٤) الفائق.
(٥) هو عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ولد في حياة النبي ﷺ وكان حسن الصورة جميلاً طويلاً وهو جد عمر بن عبد العزيز لأمه وكان شاعراً مات بالربذة سنة ٧٠.
(٦) تاريخ الخلفاء.
(٧) الفائق.
(٨) تاريخ الخلفاء.

ودخل حائطاً (بستاناً) وإذا هو بدبسي (طائر) في ظل شجرة، فتنفس الصعداء ثم قال: طوبي لك يا طير تأكل من الثمر، وتستظل بالشجر، وتصير إلى غير حساب، يا ليت أبا بكر مثلك[١].

وذكر رضي الله عنه المسلمين فقال: من ظلم منهم أحداً فقد أخفر الله، ومن وَلِيَ من أمر الناس شيئاً فلم يعطهم كتاب الله فعليه بَهلة الله (أي لعنته)، ومن صلَّى الصبح فهو في خفرة الله[٢].

وكان يوتر من الليل ويقول: أحرزت نهبي وأبتغي النوافل[٣].

وعزي عمرَ رضي الله عنهما عن طفل أصيب به فقال: عوضك الله منه ما عوضه منك[٤].

وكان إذا عزّى رجلاً قال: ليس مع العزاء مصيبة، ولا مع الجزع فائدة، الموت أهون ما بعده، وأشد ما قبله، اذكروا فقد رسول الله ﷺ تصغر مصيبتكم، وعظم الله أجركم[٥].

وكان إذا صلَّى على ميت قال: اللهم عبدك أسلمه الأهل والمال والعشيرة والذنب عظيم، وأنت غفور رحيم[٦].

وكان إذا مُدح قال: اللهم أنت أعلم بي من نفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللهم اجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون[٧].

---

(١) تاريخ الخلفاء.
(٢) تاريخ الخلفاء.
(٣) الفائق.
(٤) الفائق.
(٥) تهذيب ابن عساكر.
(٦) تاريخ الخلفاء.
(٧) أسد الغابة.

وكان يقول: وددت أني شعرة في جنب عبد مؤمن.
ويقول: يا ليتني شجرة تعضد وتؤكل[١].

وكان آخر دعائه في خطبته: اللهم اجعل خير زماني آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك. فكان إذا قالهُ عرف أنَّه قد فرغ من خطبته[٢].

وكان من دعائه. اللهم هب لي إيماناً ويقيناً، ومعافاة ونية[٣].
وكان آخر ما تكلم به: رب توفني مسلماً وألحقني بالصالحين[٤].

تعليــق:

والذي يبدو لي الآن وأنا أعدّ هذه الطبعة من الكتاب بعد أربع وخمسين سنة من طبعته الأولى أن أسلوب هذه الخطب المنسوبة إلى أبي بكر رضي الله عنه، إذا قرّناها بما صحّ من خطب رسول الله ﷺ وخطب أصحابه أنها رويت مزيداً فيها، مضافاً إليها، أما رسائله فإنها أقرب في أسلوبها إلى رسائل ذلك العصر، أما الوصايا فوسط بينهما، أما من جهة سند ذلك كله، وطريق وصوله إليها. فقد بينت بعض رأيي فيه، بما سبق من تعليقاتي عليه.

---

(١) صفة الصفوة.
(٢) العقد الفريد.
(٣) فضائل الصحابة والآل.
(٤) الرياض النضرة وتاريخ الطبري.

الخاتمة

هذا ما يسّر الله، وانتهى إليه الجهد، ووقفت عنده الطاقة. نقدِّمه وفي النفس شعور بالنقص، وعلى اللسان اعتراف بالتقصير، ولكنه أول كتاب في سيرة أبي بكر رضي الله عنه، ولا بد فيه من عجز البداية، عن بلوغ النهاية، مع بعد الغاية.

ومن ذا الذي يستوفي في كتاب واحد سيرة أبي بكر كلها وهي أفضل سيرة في الإسلام بعد سيرة سيد العالمين وخاتم النبيين ﷺ، وأكملها وأحفلها بكل جميل وجليل؟

ومن ذا يستوفي في كتاب واحد سيرة يقرؤها الناقد البصير فيشك ويتردَّد وما يدري أسيرةَ رجل من الناس يقرأ، أم (قاموساً) علويّاً جمع الله فيه الفضائل كلها ليكون المعجزة الحيَّة على نبوَّة محمد ﷺ، والتفسير الناطق لأحكام القرآن؟

ولا يدري أنفساً بشرية يرى، أم نفس مَلك من الملائكة أودعها الله جسم إنسان من الناس، ويعجب كيف اجتمعت في نفس الصديق المزايا الخُلقية جمعاء من أبلغها في الرقة إلى أعرقها في الشدة، فكانت نفسه كالبحر يلين حتى يغترف الطفل من مائه، ويلهو بحصاه، ويشتد حتى يجتاح المدن ويدكّ الجبال. وكانت بعدُ كالبحر في عظمته، وجلاله وعمقه وسعته،

لا يدري ما تكنّ من السجايا والفضائل، إلاَّ من عرف ما يحوي البحر من الدرر والجواهر.

ومن ذا يستوفي في كتاب واحد سيرة رجل تسلّم الأمر وليس ثابتاً على الإسلام إلاَّ قريتان، وليس في العرب إلاَّ منتقض عليه عدوٌّ له، وسلمه لخليفته وقد ثبت واستقر، وبسط رواقه على الجزيرة وضرب خيامه في قلب فارس والروم تخفق فوقها راية الإسلام الغلاَّبة الظافرة، فكان بما عزم الله له من قتال المرتدين وتسيير الجيوش إلى الشام والعراق، من أعظم الناس أثراً في التاريخ، وكان صاحب الفضل على كل من ينعم اليوم بالحضارة:

ذلك لأنه لولا دمشق وبغداد وقرطبة، لم تكن باريز ولندن ونيويورك، ولولا أبو بكر لم تكن دمشق ولا بغداد ولم تتم هذه الفتوح التي أنقذت الحضارة الأولى وصنعت الحضارة الأخيرة.

فإذا نحن قصَّرنا وعجزنا فما ذاك إلاَّ لجلال الموضوع وسعة المجال، وحسبنا عذراً أن قد بذلنا جهدنا، واستنفدنا طوقنا.

وقد اقتصرنا في هذا الكتاب على ذكر ما هو من سيرة أبي بكر رضي الله عنه، فلم نرو فيه حروب الردة ولا حروب الفتح، وإن كان الصديق هو الذي فتح للمسلمين أبواب الشام والعراق، وهو الذي أثار على الظلم والجهل والكفر هذه الحروب، وهو الذي رسم خططها، وسمي قوادها، وتم في زمانه الشيء الكثير منها. . . ذلك لأن معظم أخبارها مبسوط في كتاب سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي ألفه صديقنا الفاضل عمر رضا كحالة، ولو أنَّا ذكرناها لا تسع الكتاب كثيراً واستحال من كتاب في سيرة أبي بكر إلى كتاب في التاريخ الإسلامي، فليطالعها القارىء ليلمّ بسيرة الصديق الأعظم وينظر إليها من جهاتها كلها.

ولم نروِ الرسالة المشهورة التي بعث بها أبو بكر وعمر إلى عليّ رضي الله عنهم حين أبطأ عن البيعة، وإن أشرنا إليها في حاشية الكتاب، لأنا

وجدنا الثقات من المصنفين متفقين على أنها موضوعة مصنوعة، وأنها من كلام أبي حيان التوحيدي، فليقرأها من شاء في نهاية الأرب للنويري، ولينظر ما قاله فيها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة وما ساق من الأدلة على أنَّها موضوعة لا أصل لها. كما أن نهج البلاغة نفسه ليس كله من كلام علي أمير المؤمنين، ولا أسلوبه أسلوب عصر علي، ولا ما فيه من أفكار يوافق ما صح عن علي. وعلي كان أبلغ قولاً وأعلى قدراً من الشريف الذي ألّف نهج البلاغة، وإن لم يخل من بعض ما ثبت عن علي رضي الله عنه وأرضاه.

وقد حرصنا على أن نتأدب بأدب السنة، وأن نُثبت الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر، رجاء أن يكتب لنا وللقراء ثوابها، وثوابها جزيل كثير: فقد روي مسلم في صحيحه عن النبيَّ ﷺ أنه قال: من صلَّى عليَّ واحدةً صلى الله عليه عشراً، ومن صلَّى عليَّ في كتاب لم تزل الصلاة جارية عليه (وفي رواية لم تزل الملائكة يستغفرون له) ما دام أسمى في ذلك الكتاب.

وروى النسائي وابن حبَّان والحاكم وصححه الترمذي أنَّه ﷺ قال: البخيل من ذكرت عنده فلم يصل عليَّ.

وروى أحمد في مسنده أنَّه ﷺ: ما صلَّى أحد صلاة إلَّا صلت عليه الملائكة ما دام يصلي عليَّ، فليقلَّ من ذلك أو ليكثر.

وذكر النووي في التقريب أن من آداب المحدث الصلاة عليه ﷺ كلما ذكر، والترضي عن الصحابي. وإن كان الصحابة والتابعون لم يلتزموا ذلك ولم يكن من عادتهم، فمن فعله بنية نرجو له الثواب، ومن ترك الترضي عن الصحابة كلما ذكروا لم يكن عليه شيء.

على أننا قد اكتفينا من الترضي بمواضع دون مواضع، وعذرنا في ذلك أنَّه قد تتوالى الأسماء في الجملة الواحدة فنكتفي بالترضي مرة. ولنا بذلك أسوة في كبار المحدثين والمصنفين، وليس ما يمنع الراغبين في هذا الثواب من أن يترضوا عنهم كلما ذكروا فيكون لهم ولنا الثواب إن شاء الله.

هذا وما أحب أن أختم هذه الكلمة قبل أن أذكر بالخير السادة آل عبيد، وأن أخص الشكر الصديق الفاضل السيد أحمد عبيد على ما أسدى من يدٍ وقدم من معونة على تـأليف هذا الكتـاب، وكان لنـا في علمه وأدبه وخلقه خيرعون وأحسن مرشد، وأسأل الله أن يكثر فينا من أمثاله فإن أمثاله قليل في المؤلفين، بَلْهَ الناشرين.

والحمد لله أولاً وآخراً على ما أنعم به وهدى إليه، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد سيد الأولين والآخرين. وعلى صاحبه في الغار وخليفته في الأرض، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، والآل والعترة الطاهرين.

دمشق: في النصف من شوال سنة ١٣٥٣

علي الطنطاوي

فَهَارِس



(١)
فهرس الموضوعات

(٢)

فهرس التراجم
الواردة في حواشي الكتاب



(٣)

فهـرس المصـادر

١ ـ الأخبار الطوال للدينوري.
٢ ـ الأدب المفرد للبخاري.
٣ ـ الأذكياء لابن الجوزي.
٤ ـ الاستيعاب لابن عبد البر.
٥ ـ أسد الغابة لابن الأثير.
٦ ـ الأسماء والكِنى للدولابي.
٧ ـ الاشتقاق لابن دريد.
٨ ـ الإصابة لابن حجر.
٩ ـ إعجاز القرآن للباقلاني.
١٠ ـ أعلام النبوّة للماوردي.
١١ ـ الأغاني للأصفهاني.
١٢ ـ الاقتضاب لابن السيد.
١٣ ـ الأمالي للقالي.
١٤ ـ أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر.
١٥ ـ البخلاء للجاحظ.
١٦ ـ بلوغ الأدب للألوسي.
١٧ ـ بهجة المحافل للعامري.
١٨ ـ البيان والتبيين للجاحظ.
١٩ ـ تاريخ ابن الأثير.
٢٠ ـ تاريخ ابن جرير الطبري.
٢١ ـ تاريخ ابن خلدون.
٢٢ ـ تاريخ الخلفاء للسيوطي.
٢٣ ـ التاريخ الصغير للبخاري.
٢٤ ـ تدريب الراوي للسيوطي.
٢٥ ـ التراتيب الإدارية للكتاني
٢٦ ـ تفسير الخازن.
٢٧ ـ تفسير الفخر الرازي.
٢٨ ـ تهذيب الأسماء واللغات للنووي.
٢٩ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر (خ).
٣٠ ـ تهذيب التهذيب لابن حجر.
٣١ ـ تهذيب الكامل.
٣٢ ـ تيسير الوصول لابن الديبع.
٣٣ ـ جامع الترمذي.
٣٤ ـ الجامع الكبير للسيوطي (خ).
٣٥ ـ جمهرة الخطب.
٣٦ ـ حاشي الجمل على الجلالين.
٣٧ ـ حلية الأولياء لأبي نعيم.
٣٨ ـ حياة الحيوان للدميري.
٣٩ ـ الخراج لأبي يوسف.
٤٠ ـ الخراج ليحيى بن آدم.
٤١ ـ الخميس للديار بكري.
٤٢ ـ خلاصة التذهيب للخزرجي.
٤٣ ـ رحلة ابن جبير.
٤٤ ـ الروض الأنف للسهيلي.

٤٥ ـ روضة المحبّين لابن القيّم.
٤٦ ـ روضة العقلاء لابن حبّان.
٤٧ ـ الرياض النضرة للمحب الطبري.
٤٨ ـ زاد المعاد لابن القيّم.
٤٩ ـ زهر الآداب للحصري.
٥٠ ـ السمط الثمين للمحب الطبري.
٥١ ـ سنن أبي داود.
٥٢ ـ سنن النسائي.
٥٣ ـ سيرة ابن هشام.
٥٤ ـ سيرة عمر بن الخطاب لابن الجوزي.
٥٥ ـ شرح البخاري للقسطلاني.
٥٦ ـ شرح بهجة المحافل لليمني.
٥٧ ـ شرح عقيدة الطحاوي.
٥٨ ـ شرح المشكاة لملا علي.
٥٩ ـ شرح المواهب للزرقاني.
٦٠ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.
٦١ ـ صبح الأعشى.
٦٢ ـ صحيح البخاري.
٦٣ ـ صحيح مسلم.
٦٤ ـ صفوة الصفوة لابن الجوزي.
٦٥ ـ طبقات ابن سعد.
٦٦ ـ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى.
٦٧ ـ طبقات الشعراني.
٦٨ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه.
٦٩ ـ عمدة التحقيق.
٧٠ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة.
٧١ ـ الفائق للزمخشري.
٧٢ ـ فتاوى ابن تيمية.
٧٣ ـ فتح الباري لابن حجر.
٧٤ ـ فتوح البلدان للبلاذري.
٧٥ ـ فضائل الصحابة والآل للنقشبندي (خ).
٧٦ ـ قمع النفوس للحصني (خ).
٧٧ ـ الكامل للمبرد.
٧٨ ـ لسان الميزان لابن حجر.
٧٩ ـ مجمع الأمثال للميداني.
٨٠ ـ المحاسن المجتمعة للصفوري.
٨١ ـ مختصر الموافقة للزمخشري (خ).
٨٢ ـ مرآة الجنان لليافعي.
٨٣ ـ المراح في المزاح للغزي.
٨٤ ـ مروج الذهب للمسعودي.
٨٥ ـ مسند الإمام أحمد.
٨٦ ـ المعارف لابن قتيبة.
٨٧ ـ معالم الإيمان للقيرواني.
٨٨ ـ معجم البلدان للحموي.
٨٩ ـ مفتاح الأفكار لأحمد مفتاح.
٩٠ ـ مفردات الراغب الأصفهاني.
٩١ ـ مناقل الدرر لابن رأس غنمة (خ).
٩٢ ـ منتخبات أخبار اليمن للحميري.
٩٣ ـ منتخب كنزل العمال للهندي.
٩٤ ـ المواهب اللدنية للقسطلاني.
٩٥ ـ الموشح للمرزباني.
٩٦ ـ نهاية الأرب للنويري.
٩٧ ـ نور الأبصار.
٩٨ ـ الوزراء والكتاب للجهشياري.
٩٩ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان.
١٠٠ ـ وصايا العلماء عند حضور الموت (خ).

صدر حديثاً للمؤلف

ذكريات

علي الطنطاوي

الجزء الثالث والرابع

وستصدر بقية الأجزاء تباعاً
إن شاء الله